

كتاب
الجمهورية

30 يونيو

ما قبلها..ما بعدها.. ما حولها



سمير الجمـــل





www.gombook.net.eg

رئيس مجلس الإدارة

سـعد سليم

رئيس التحرير

وليـد البلاسى

٣٠ يونيـو

ما قبلها.. ما بعدها.. ما حولها

سـمير الجمل

دار
الجمهورية
للصحافة

١١١ ــ ١١٥ ش رمسيس
ت : ٢٥٧٨٣٣٣٣

يونيو ٢٠١٧

أسعار البيع فى الخارج

سوريا	٣٠٠ ل.س
لبنان	١٢٠٠ ل.ل
الأردن	٤٫٥ دينار
الكويت	٣ دنانير
السعودية	٣٠ ريالاً
البحرين	٣ دنانير
قطر	٣٠ ريالاً
الإمارات	٣٠ درهماً
سلطنة عُمان	٣ ريالات
تونس	٦ دنانير
المغرب	٩٠ درهماً
اليمن	٩٠٠ ريال
فلسطين	٦ دولارات
لندن	٦ جك
أمريكا	١٥ دولاراً
استراليا	١٥دولاراً استرالياً
سويسرا	١٥فرنكاً سويسرياً

الاشتراك السنوى

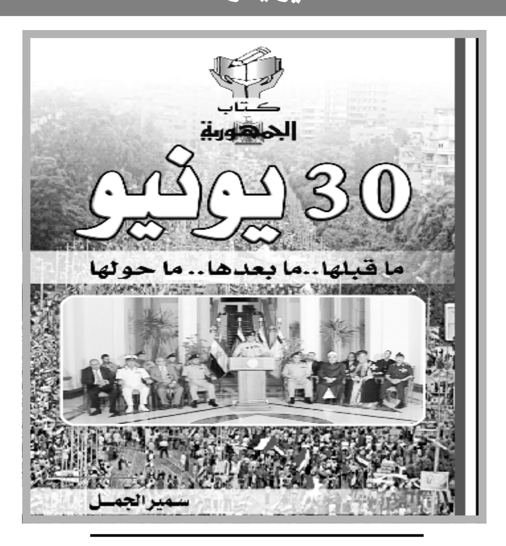
داخل جمهورية مصر العربية ٦٠ جنيهًا
الدول العربية ٣٠ دولاراً أمريكيا
اتحاد البريد الافريقى وأوروبا ٣٨ دولارا أمريكياً
أمريكا وكندا
٤٥ دولارا أمريكيًا
باقى دول العالم
٥٨ دولارا أمريكيًا

إذا وجدت أى مشكلة فى الحصول على «كتاب الجمهورية»

وإذا كان لديك أى مقترحات أو ملاحظات فلا تتردد فى الاتصال على أرقام :

25781010 25783333

http://www.eltahrir.net



الإشراف الفنى وتصميم الغلاف

سيد عبد الحفيظ

المراجعة اللغوية

محمد كمال

وليد عباس

٣٠ يونيـو

ما قبلها.. ما بعدها.. ما حولها

فى الميدان

إلى رجاء التى نزلت إلى الميدان فى ٣٠ يونيو فأدركت معها أن مصر قد عادت إلى أهلها.

وإلى محمد ومى وميادة.. أمكم حملت العلم فاحملوه.. مع عمر وعلى ويوسف وزينب وتامر وأحمد وبسمة.. إلى آخر المدى.

سمير

٣٠ بعد ٢٥

هل هو ربيعهم أم خريفنا؟.. وهل يناير ٢٠١١ ثورة أم مؤامرة وماذا عن ٣٠ يونيو التى غيرت المسار.. هل هى ثورة الشعب أم ثورة الجيش؟!

أسئلة تعبنا من طرحها ولكننا سنتعب أكثر من السكوت عليها قبل أن يقول التاريخ كلمته.. ويحاكم كل فئة بما استفادت.. وبما أفادت من تجارة الفوضى الخلاقة التى قررت الإدارة الأمريكية أن تطلقها فى المنطقة لكى تمهد لتقسيمها وتقطيعها وتمزيقها.. واللعبة القديمة المعروفة «فرق تسد».. وقد حذر القرآن الكريم من الذين فرقوا دينهم ودنياهم وكانوا شيعاً، اللعبة قديمة ومكشوفة وسنقرأ تفاصيلها ونحن نحكى قصة المؤامرة والمتآمرين الذين أفسدت عليهم ثورة ٣٠ يونيو أطماعهم فى البلاد والعباد ولما تمكنوا من السلطة أصابهم الهلع.. ولم يصدقوا أنفسهم أن شريط الأحداث والحوادث.. قد جرى على هواهم وقد قالوا بعد

خلع مبارك لا مطمع لنا فى مقعد الرئاسة ويكفى أن نكون شركاء فى الصورة.. فوق الأرض.. بعد أن كنا تحتها فى الظلمات وخلف قضبان السجون.. ولأن التاريخ لا يكذب..فقد لعبوا نفس اللعبة مع ثورة ٢٣ يوليو.. لكن جمال عبدالناصر كان يعرف جيداً.. أنهم مع مصالحهم حتى لو كانت فى أحضان إبليس وهم من يرفعون شعار الدين ويشهرون سلاحًا فى وجه كل من يعارضهم وكأنهم أوصياء على الناس من دون الله نعم اقترب منهم جمال وصافحهم وأعلنوا أنهم يهدفون إلى التخلص من الاحتلال الإنجليزى والملك الفاسد.. وكان جمال يعرفهم جيدًا ويلاعبهم بنفس أسلحتهم.. وفى ذهنه أنهم هتفوا للملك.. وقالوا إذا كان الشعب مع الوفد.. فإن الله مع الملك هكذا بمنتهى البساطة وهكذا تتجاوز الوصاية حدود الناس إلى رب الناس والعياذ بالله.. وإلا من الذى أخبرهم بأن الله سبحانه وتعالى مع الملك وليس مع الوفديين أو السعديين.

هى لعبتهم منذ أعلنوا عن أنفسهم عام ١٩٢٨ بتنظيم ماسونى وهيئة تدعى أنها إسلامية.. وكأن ما عداهم هو فى قائمة الكفر والشرك.. فهل كان الإسلام قبل الإخوان يبحث عن مرشد بعد وفاة محمد صلى الله عليه وسلم ومن تبعه من الخلفاء الراشدين!

قالوا ما لنا ومال الرئاسة ولبسوا أقنعة الزهد حتى

إذا جاء لهم «الأوردر» الأمريكى انزلوا. غيروا القناع سريعاً بآخر عنوانه «الحكم لله».. مع أن الحكم لهم.. طلبوه ووضعوا أيديهم عليه ولم يصدقوا أنفسهم فإذا بهم يريدون تغطية وجه مصر بقناع إخوانى بغيض وانتفض الشعب وجيشه يحرسه فى ٣٠ يونيو.. لكى يهدم معبدهم فوق رءوسهم.. ورأس من مول ودعم وساند بحجة أنهم صورة الإسلام الأمريكانى أو المعتدل الذى يريدونه فى المنطقة.. ليس حباً فى الإسلام.. ولكن تمهيدًا لإشعال فتيل الفتنة والحرب بين ما هو سنى وشيعى.. وقبلها بين اليسارى واليمينى.. والجنوبى والشمالى والغنى والفقير والأسمر والأبيض.. تلك هى لعبتهم التى عرفناها ولكننا للأسف نلعبها.. أو بمعنى أدق يلعبها البعض منا لحسابهم بأسماء ومسميات مختلفة.. مثل ديمقراطية وحرية وحقوق إنسان كأننا أمه من الهمج والبربر.. والحقيقة تقول إننا علمنا الدنيا وقت إن كانت فى عظيم جهلها وظلامها.

يناير ثورة لم تكن فى الحسبان.. لكنها بدأت من الفضاء الإلكترونى وسنرى أن بطل المشهد هو الشاب وائل غنيم أحد كبار موظفى جوجل فى منطقة الشرق الأوسط وأجنحته فى ذلك شباب جماعة ٦ أبريل.. والاشتراكيون الثوريون.. وقبلهم جماعة كفاية.. ولما امتدت نيران مستصغر الشرر التى بدأت ٢٥ يناير

وارتفع موج النار دخل الإخوان على الخط لسرقة الثورة باعتبارهم الفصيل المنظم الذى له رأس.. وذراعان وسلاح.. وكانت أمريكا تلعب علنًا وقالت لمبارك وهو أحد رجالهم اترك مكانك «ناو» أى الآن على غرار ما كان هتاف الجماهير يتردد فى ميدان التحرير ارحل.. وبدأت أجهزة مخابرات عديدة تستثمر الفوضى التى عصفت بالبلاد وارتفع معها سقف الطموح من رفض التوريث إلى طرد الرئيس.. وتحقق هذا.. وشاركت جموع الناس بالقلب وبالهتاف وبالحضور.. رغبة فى تغيير يحرك ذلك الجمود الذى حول مصر إلى عزبة خاصة للأب والهانم والابن الموعود بالتركة التى وصفها الأب ذات مرة بأنها «خرابة» ناسياً أنه من خربها هو ورجاله وقعدوا على أطلالها.

ومن بعيد ومن قريب كان الجيش المصرى يحاول أن يحافظ على أركان الدولة أو ما تبقى منها.. خصوصاً أن مبارك تخلى فى بيانه لسلطته وسلمها إلى المجلس الأعلى للقوات المسلحة.. والجيش المصرى لا يمكن بحال أن يصطدم بشعبه.. ولا الشعب يمكن أن يفعلها مع حراس ترابه.

وكم من الألعاب دارت فى السر والعلن بعد ١١ فبراير حتى جرت الانتخابات الرئاسية فى عام ٢٠١٣ ووصل

الإخوان إلى قصر الاتحادية.. وكانت قيادة الجيش تحت رئاسة المشير طنطاوى تمسك بزمام الأمور بكل الحكمة والحنكة.. عينها وقلبها على الشعب والبلد.. وتحملت فى ذلك ما لا يمكن احتماله.. من تطاول وشكوك ورذالة واعتصمت بالصبر حتى ينجو قارب الوطن من تلك العواصف العاتية التى أحاطت به من كل جانب داخلياً وخارجياً ويكفى لإنعاش الذاكرة فقط أن تعود إلى تلك المظاهرات التى كانت تستهدف وزارة الدفاع.. وأيضًا وزارة الداخلية وصور العملاء تلك الأفعال الإجرامية على أنها وطنية ومن سقطوا فيها من الشهداء بكل الزور والبهتان. واسألوا الطرف الثالث عند ماسبيرو والمجمع العلمى ومجلس الوزراء.

ولولا حكمة رجال الجيش ما أمكن لهذا البلد أن يصل إلى انتخابات رئاسية.. صحيح أنها جاءت بالإخوان.. لكنها أنقذت البلد من مصائب أعظم وأشد.. ورب ضارة نافعة.. وسرعان ما انكشف أمر هؤلاء العصابة.. الذين خططوا لتقسيم البلاد وبيعها بالقطعة لحساب من يدفع ومن يؤيد.

وجاء ٣٠ يونيو ٢٠١٣ لكى يكشف الستار وعلى الملأ عما فعلوه بإعلانهم الدستورى الغبى المشهور.. فقد أصابهم الهلع بعد الوصول إلى السلطة.. وأرادوا

امتلاك كل شىء وأخونته بأسرع وقت.. ورد الله كيدهم فى نحورهم.. وفضحهم هم ومن معهم.. فى خندق المؤامرة وسرقة الوطن.

فى يناير ٢٠١١ حركوا الشعب أو طائفة منه.. وفى ٣٠ يونيو تحرك الشعب بنفسه.. وعاد الجيش إلى شعبه.. والشعب إلى جيشه.. وكان مشهد ٣ يوليو عندما وقف الفريق أول عبدالفتاح السيسى وزير الدفاع يتلو البيان التاريخى.. يلخص الحالة المصرية ويحاول أن يجمع شتاتها.. رغم أن بعض من وجدوا فى المشهد.. فرضهم الظرف.. وجاءت بهم الضرورة.. فالجرح ينزف والألم شديد.. لكن الوطن عودنا دائماً وأبداً أن يظهر نفسه أولاً بأول وأن يغتسل ذاتياً.. وهكذا انكشف البرادعى والسلفية لكن المركب يمضى.. ويشق طريقه باسم الله مرساها ومجريها..

ومن يريد أن يرى الصورة كاملة فعليه أن يرصد ما قبل ٣٠ وما حولها وما بعدها..

لذا وجب أن نحكى قصة المؤامرة والمتآمرين من الداخل والخارج.. ثم نرصد رموز مشهد ٣ يوليو.. ثم نتوقف بعد ٣ سنوات مع إنجازات تقول بوضوح.. لقد تغير البلد.. ونفض عن نفسه غبار التبعية.. وأن يكون فاعلاً وليس مفعولاً به.. وأن يسترد هيبته ويفرض كلمته.. بعد فترة عزله عربياً وإفريقياً وعالميا.. وهنا

تطل السعودية بوجهها العربى الأصيل لكى تمد يد العون والدعم والتأييد ثم تتوالى العلامات والبشارات أن ٣٠ يونيو قد استعادت ثورة يناير صافية بعد تنقية الشوائب وبعد اتضاح الصورة.

وأبدا لم تكن حركة تصحيح وتعديل للمسار الثورى المصرى بل فرضت نفسها بقوة.. وصارحت أهلها وهى تحنو عليهم ألا تخافوا ولا تحزنوا وأنتم الأعلون بإذن الله.. وهنا يبرز فى مقدمة الصورة ذلك المقاتل الهادئ الذى ناداه الشعب أن يخلع بدلته العسكرية وأن يتولى الزمام ومنحه فى ذلك تأييداً جماهيرياً لم تعرفه البلاد لزعيم من قبل يكاد أن يقترب من الإجماع وبدأت خارطة الطريق تتحقق خطوة خطوة لإعادة اكتمال مؤسسات الدولة.. بل لإعادة الدولة نفسها التى كانت على شفا حفرة من الانهيار التام لولا عناية الله وفضله ورجال أشداء حملوا أرواحهم على أكفهم من أجل هذا الشعب الذى يستحق ما هو أكثر.

٣٠ يونيو على هذا النحو رواية لا تزال فصولها لم تكتمل بعد ومن الواجب أن يقرأ الكبير والصغير تفاصيلها لأنها نقطة فارقة.. وفاصلة.. بين شعب كان فى خدمة أولى الأمر والسلطة.. وقيادة تفخر فى كل وقت وحين أنها ما جاءت إلا لكى تخدم شعبها وأهلها وفيها يكتفى الرئيس بنصف راتبه.. ويحمل نصف

ميـراثه من أبيـه تبـرعـاً لوجـه الوطن.. هـذا الرجل الذى شطب من قاموس الجماهير هتافها للرئيس وأن تعده بأن تفديه بـالروح والدم.. لكى يصـبح الـهـتـاف «تحـيـا مصر» رجل لا يـسـتـخـدم كلمة «أنـا» ويفضل عليـهـا نحن وأنتم وفى ذلك لا بأس من التـضحيـة بالشعبيـة من أجل الشعب لأن ما ينفع الناس يمكث فى الأرض.. وكم عانى البلد من الحلول الوقتية والمسكنة وكم كان يحـتـاج إلى تأسيس جاد تلمسه الأجيال بعضـهـا من بعض.. ومن كان يستشعر دائماً وأبداً أنه يخاف من رب الناس.. لن يعمل إلا كل ما يخدم الناس وبكل الإخلاص.. والكمال لله وحده.

٣٠ يـونيــو.. هـى الأحــداث والأشــخــاص والمواقف والتـواريخ والأرقـام.. والأفـعـال والمقـاصـد والرؤيات.. حتى تعـرف وتثق تمام الثقـة أن «مصـر.. ضد الكسر» لأنهـا فى رعاية اللـه وحراسته.. ولهذا ربط بين اسمها والأمن فى قرآنه الكريم وأنجيله المقدس.. ومن أرادها بسوء قصمه الله ولكم فيـمـا جرى قبل ٣٠ وحـولـهـا وبعدها عبرة يا أولى الأبصار والألباب والأفئدة.

(المؤلف)

القاهرة/حلوان يونيو ٢٠١٧





المؤامرة..
من الألف إلى الياء

من الدوحة..
إلى واشنطن!!

كانت الأخبار تأتى من برامج بعينها عن اختفاء شاب يعمل مهندساً فى مجال الإلكترونيات ويعيش أغلب الوقت فى دبى وحالته المادية يمكن وصفها بـ«المنعنشة».. وبالتالى فإن مشاركته فى ثورة يناير لم يكن سببها الجوع أو الاضطهاد.. وإن كان قد هتف على مواقع الإنترنت: «عيش.. حرية.. عدالة اجتماعية».

كان الخبر غامضاً وبطله غير المعروف أكثر غموضاً.. يمكن ظهور الشاب بعد ١٢ يوماً مع منى الشاذلى دون غيرها أزاح الكثير من الغموض.. ليس فقط عن «وائل غنيم» ولكن عن منى الشاذلى نفسها ذات الوجه المبتسم التى انفردت قبلها بلقاء فى البيت الأبيض مع الرئيس الأمريكى «بوش» أثار الكثير من التساؤلات وقتها وكيف وصلت إليه؟!

كان حسام البدراوى الطبيب والعضو البارز فى الحزب الوطنى أيام مبارك هو الذى قاد غنيم إلى قناة دريم.. ولكنه ترك له المجال لكى يبكى.. وتبكى معه الناس باعتباره بطلاً للثورة.. ولكنه اكتفى بأن أطلق على نفسه لقب «مناضل كيبورد»مثلما قالوا أن أيقونة الثورة هو «خالد سعيد» وأثبت غنيم المهندس المولود فى ٢٣ ديسمبر ١٩٨٠ أنه ينافس «أمينة رزق» فى المأساويات.. وتكشف لنا الأيام بعد ذلك أن الشاب الذى يشغل مدير تسويق شركة جوجل للشرق الأوسط هو المشرف على صفحة «كلنا خالد سعيد» الذى أسسها الإخوانى «عبدالرحمن منصور».. وستعرف أن الباشمهندس وائل هو زميل اليهودى الأمريكى «جاريد كوهين» مدير إدارة الأفكار فى الشركة نفسها وهو فى الوقت نفسه أصغر مستشار أمريكى فى مكتب وزارة الخارجية فى عهد كونداليزا رايس ومن بعدها «هيلارى كلينتون» وهو عضو زميل فى برنامج «جيل جديد» التابع لمنظمة بيت الحرية أو «فريدم هاوس» والتى تعمل على خلق جيل عربى محب لأمريكا وإسرائيل..

وكوهين هو من درب الشباب المصرى على استخدام التكنولوجيا الرقمية فى إطار ما يسمى بحروب «الجيل الرابع» وهنا يظهر اسم «بريجينسكى» وكان مستشاراً للأمن القومى فى عهد الرئيس الأمريكى «كارتر» وهو أول من دعا إلى تقسيم العالم العربى على أسس عرقية وطائفية وأصدر فى السبعينيات كتابه «بين جيلين» الذى تنبأ فيه بكل ما حدث بعد ذلك من أحداث فى عالمنا العربى المكتوب عليه سواء أكان

بمزاجه أو غصباً عنه أن يكون تابعاً للأمريكان والغرب فى فنه وملبسه ومصطلحاته وموضاته وفى حديث لهذا «الكوهين ابن الكوهينة» لمجلة «فورين بوليس» عام ٢٠١٢ قال فخوراً بعد ثورات ربيعهم العربى: «كنت أول من دعا إلى تفكيك النظام الاقليمى العربى وطمس عروبته وإعادة تشكيله على أسس عرقية وطائفية..» والسؤال الذى حتماً يدور فى ذهنك فى تلك اللحظة إذا كانت جميلة الجميلات «كوندليزا» وقت أن كانت وزيرة للخارجية الأمريكية قد قالتها «وش»: سنعمل على خلق شرق أوسط جديد واعتبرنا كلامها «فنجرة بق».. وبعد أن تركت منصبها تحقق ما بشرت به وانظر إلى العراق وسوريا وليبيا واليمن وتونس.. لكن السؤال الأهم اذا كانت أمريكا تحارب الإسلام سراً وعلانية وقال «نيكسون» فى كتابه «النقطة الساخنة» عام ٩٠ إن عدونا الحالى بعد سقوط الاتحاد السوفييتى هو العالم العربى الإسلامى لكن عوامل قوته هى نفسها عوامل ضعفه لأنه منقسم على نفسه بين سُنة وشيعة.. وتحت كل قسم عشرات المذاهب والملل.

فما الذى جمع «تنتون» الأمريكى على «تنتن» الإخوانى هذه قصة سنعرفها لكن «صبرك على رزقك» لأن الحكاية فيها الكثير من عوامل التشويق والإثارة لدرجة الرعب ولأن الشيطان الأعظم الأمريكى نجح بالصبر الطويل أن يفكك الاتحاد السوفييتى.. ويحوله إلى دويلات أغلبها ولَّى فراراً شطر البيت الأبيض.. بعدها اتجه إلى منطقتنا.

قصة الجيل الرابع

فى مؤتمر حاشد تم عقده فى ١٣ أغسطس ٢٠١٢ فى تل أبيب وقف الخبير العسكرى الأمريكى «ماكس مانوارينج» يقول:

إنها ليست الحرب المعتادة التى تخوضها الجيوش.. لكنها الحرب التى تنطلق من خارج الدولة لإنهاكها حتى تتآكل فى بطء وثبات من الداخل ثم تقبل الخضوع، إنها حرب اللا عنف أو الحرب غير العسكرية.. ذات المقاومة غير العنيفة والتى تهدف إلى زعزعة الاستقرار باستخدام الفوضى المنظمة وصناعة الأزمات وإفشال الدولة.

كانت كلمة «ماكس» قد أزاحت الستار عن خبايا ما يسمى بحروب «الجيل الرابع».. وما بين تل ابيب وأمريكا.. وتركيا.. وقطر.. وعواصم أخرى.. كان يتم طبخ وجبات هذه الحرب ودعمها مالياً.

ومن أطلق مبكراً على ثورة ٢٥ يناير بأنها ثورة «الفيس بوك» كان يعبر إلى حد كبير عن أثر وسائل الاتصالات فى صناعة الثورة وتوجيهها عن بعد.. إلى جانب أدوار الفضائيات وما يسمى بمنظمات المجتمع المدنى والنشطاء والخبراء بأسماء ومسميات قد تختلف لكنها فى نهاية المطاف تسعى إلى الهدف نفسه.

«اصنع صورة» واجعل الناس يلتفون حولها.. وينظرون إليها كأسطورة.. هكذا بدأت ثورة الياسمين فى تونس.. ولأن الشغل

أمـريكانى سـتـجـد أن الأسـمـاء مـسـتـوردة ومـسـتـوحـاة ـ ثورة «البـرتـقـال» فى أوكـرانيـا وثورة «الورد» فى جـورجـيـا وثورة «الليمون» فى قيرغيزستان.

واخـتـاروا لنا فى المنطقـة العـربيـة اسم «الربيع» يطلقـونه على الثورات التى تفجرت تباعاً وفى أوقات قريبة للغاية وفقًا لجدول زمنى.. متفق عليه عندما دقت ساعة تقسيم الوطن العربى وقد بدأت فـى الجنوب الســودانى.. ومـع وجـود الإخـوان على رأس السلطة فى مـصـر. كـان الاتفـاق قـد جـرى على ترك حـلايب وشلاتين.. مقابل دولة جديدة فى دارفور أرض المعادن والذهب والخيرات.

ودولة علـى أرض سيناء يتم اقـتطاعـهـا من قلب مـصـر مكافـأة للأمريكان والصـهاينة على مساندتهم للإخوان فى الوصول إلى الحكم.. وحـتى تنتـهـى أزمـة فلسطين دون أن تدفع إسـرائيل الدولة المغتصبة للأرض مليماً فى هذه الفاتورة.

وستكشف لك هذه الأوراق.. كيف اشتبكت المصالح بين نوعيات مختلفة فى كل شىء.. إلا أنها اتفقت على طعن مصر والحصول عليـهـا مـقـسـمـة بين الأقـبـاط والمسلمـين وأهل النوبة والفلسطينيين.. ولا بأس من دولة للصعايدة إذا اقتض الحال.

وحتى ترى الصورة على بعضها حاول أن تربط بين نقاط عديدة واحدة تمثل الإخوان وأخرى لجماعة ٦ أبريل ومنظمات المجتمع المدنى والنشطاء وحـركـة «كـفـاية» بقـايا نظام مـبـارك وعندك

مجموعة رجال الأعمال أصحاب القنوات والجرائد الخاصة.. ولا تغفل الأمريكان ومعهم تركيا وقطر وأخيراً دخل الألتراس على الخط وما خفى كان «أدهى»! وتصور كل هؤلاء الزبانية وقد نهشوا لحم شعبنا الطيب وغرسوا أنيابهم فيه بلا رحمة.. وسلطوا على عقول الناس كل ما هو تافه وسطحى ويسهم فى تغييب العقل يتساوى فى ذلك من يقدم الفيلم السافل والمسلسل الهابط والأغنية الرديئة... وتاجر المخدرات.. يعاونهم صناع الشائعات والأخبار الكاذبة.

أكاديمية التغيير

بحضور الرئيس الأمريكى كلينتون مع كونداليزا رايس.. احتضنت الدوحة عام ٢٠٠٦ «منتدى المستقبل» وكانت هذه ضربة البداية نحو إشعال الثورات فى العواصم العربية وظهرت مصطلحات مثل التغيير - المجتمع المدنى - الإصلاحات الديمقراطية - واحتضن القطرى جاسم سلطان ما يسمى بمشروع «النهضة» وهو رجل إخوانى.. وتأسست «أكاديمية التغيير» فى الدوحة.

وتولى أمرها هشام مرسى زوج ابنة الشيخ يوسف القرضاوى وهذه الأكاديمية مقرها الرئيسى فى أمريكا.. وفيها يدرس الشباب الذى يتم اختياره أسلوب زلزلة العقول وإدارة حرب اللا عنف وحركات العصيان المدنى واستخدام الدروع الواقية ومقاومة الشرطة.. وكانت عمليات التمويل تتم من قطر وشركات تابعة للإخوان ومنظمة فريدم هاوس والملياردير اليهودى جورج

سوروس.. وشاركت أيضاً منظمة هيومان رايتس واتش التى تعمل فى مجال حقوق الإنسان.

وفيلسوف التغيير هو جورج شارب أو الأب الروحى للفوضى.. ومن أبرز نجوم التغيير: أسماء محفوظ ـ إسراء عبدالفتاح ـ أحمد ماهر ـ وأحمد دومة الذى كان إخوانياً ثم انضم إلى ٦ أبريل ومعهم محمد عادل وأحمد صلاح الدين ومن هنا لا يدهشك حصول أسماء محفوظ على جائزة ساخاروف وقيمتها ٥٠ ألف يورو.. وإسراء عبدالفتاح التى أخذت هى الأخرى جائزة وتغير حالها من الفقر والعدم إلى الأبهة والعز والسفريات.. وهذه هى اليمنية كرمان توكل التى وصلت إلى سيدنا نوبل شخصياً مما يؤكد لك ولغيرك أن جائزة نوبل أمريكية منحازة.

فإذا عرفت قصة صعود الطبيب الجراح الذى تحول إلى مهرج وهو باسم يوسف ولماذا جاء عمرو حمزاوى من أمريكا قبل الثورة مباشرة ولماذا تحول علاء الأسوانى إلى روائى عالمى.. ولماذا يلعب سعد الدين إبراهيم على راحته.. ولماذا يبعثر الإخوان ملايينهم التى لا تنفد؟ إذا عرفت كل هذا سترى العجب لأن المصالح تتصالح.

ابن خلدون..
بمليــون دولار

هذا الرجل حكاية لها العجب.. وهو يعترف بما يفعل ولا يخجل من ذلك استناداً إلى جنسيته الأمريكية التى يحملها إلى جانب المصرية.. اتهاماته بالجاسوسية وحبسه وغلق مركزه كل هذا لم يمنعه أن يواصل شغله لأن المكاسب الكبيرة فى قيمة مكانته كأستاذ جامعى تخصص فى علم الاجتماع إلى جانب حضوره فى المشهد السياسى.

أكثر من مرة اعترف فى مقابلات تليفزيونية بأنه «الكوبرى» الذى ركبه الإخوان إلى الأمريكان ويسأل الناس من أين يأتى هذا الرجل بالدم البارد الذى يتحدث به وكأنه فى مهمة قومية.

وتعالوا نرجع إلى عام ١٩٨٨ عندما قام بتأسيس مركز ابن خلدون «للدراسات الإنمائية» وقد تكلفت عملية التأسيس هذه مليون دولار قال إنه جمعها من جوائز حصل عليها أولها من

الإمارات وأيضـًا من أتعاب واستشارات إلى جانب قطعة أرض كان يملكها أقام عليها المركز وهو ما يعطى الانطباع بأن الرجل أنفق تحويشة عمره على تأسيس المركز حباً فى الوطن ولكنه لم يذكر ما حصل عليه من الأمريكان بالملايين وهنا يجب أن نعرف بأن مجال عمل المركز: المجتمع المدنى والتحول الديمقراطى والسلام والملل والنحل والاعراف والمرأة.. وهى عناوين مهذبة تخفى خلفها الكثير من المصائب.. لأن التحول الديمقراطى يقوم بالانقلاب على الأنظمة ليس لأنها غير مقبولة شعبياً ولكن لأنها غير مهضومة أمريكياً.. والمجتمع المدنى أن الذى يضع أنفك باسم حقوق الإنسان فى كل صغيرة وكبيرة وتمثل وسيلة ضغط على الحكومات. والسلام أن تبعد نهائياً عن معاداة إسرائيل أولاً وأمريكا ثانيًا.. وأن تكون الأولى لك «ماما» والثانية «بابا» و«تيتة» «وعمو» ثم تأتى إلى الهدف الثالث وهو الاهتمام بالطوائف والمذاهب والملل ليس بهدف التقريب بينها لكن فى إثارة الفتن والطائفية بين مسلم ومسيحى وسنى وشيعى وعلوى وكردى وصعيدى وبحيرى وأسود وأبيض ونوبى وسيناوى ويمينى وشمالى.. وأخيرًا المرأة ليس تقديراً لها ولكن بإطلاق العنان لها فى حريتها الكاملة بلا سقف.. فإذا نظموا حملة للتحرش فهذا معناه أن نحمى الفتاة أن تتصرف فى الشارع على راحتها فى مسلكها وملبسها وحركاتها دون أن يتعرض لها أحد مهما بلغت من الاستفزاز.. وليس معنى ذلك الاعتداء على الفتيات تحت أى بند.. لكن لا يعقل أن نترك لها الحبل على الغارب ثم نشكو مما تتعرض له وفى أوروبا

والدول المتحررة.. إذا خرجت إحداهن عارية يتم القبض عليها.. لأن تصرفها «فعل فاضح».. لكنها يجوز وفقاً لمفاهيم الفرنجة أن تتعرى على راحتها فى شاطئ العراة.

فهل يدهشك بعد ذلك أن أستاذ علم الاجتماع بالجامعة الأمريكية يعمل لحساب «بيت الحرية» الأمريكانى الذى نجح فى تفكيك الاتحاد السوفييتى والدول الاشتراكية فى أوروبا وهذا البيت المشبوه «فريدم هاوس» هو الذى حول بولندا إلى المعسكر الأمريكى عبر منظمة تضامن التى كان يقودها «ليش فاليسا» «أبو شوارب» فى الثمانينات وقام بتحويل النشطاء فى صربيا وأوكرانيا وجورجيا وفيرغيزستان من خلال المعهد الجمهورى والوطن الديمقراطى.

وصاحبنا «خبرة» فى هذا الميدان وهو يصطاد الشباب العاطل عديم الخبرة ويغريه بالمال والرحلات والشهرة ويتم تجنيده وهذا هو تعبير أكبر أساتذة تدبير الانقلابات وإشعال الثورات «جين شارب» «وبيتر اكرمان» وهنا يجب الاعتراف بفضل الباحث «عمرو عمار» الذى كشف أمر هذه العصابة فى كتابه المتميز «الاحتلال المدنى - أسرار ٢٥ يناير والمارينز الأمريكى» وصاحب مركز ابن خلدون علاقاته متينة ووثيقة بهؤلاء ويعتبر ناظر مدرسة «شاب واكرمان» فى مصر وقانونهم وكما جاء لسان أصحاب هذه المدرسة.

إننى أفكر فى أكبر عشرين متسكعاً فى العالم لكى ألعب فى عقولهم وأدربهم وأوجه كما أريد.

وهنا يلعب سعد الدين إبراهيم دور مقاول الأنفار الذى يورد الشباب إلى هذه البيوت التى هى أقرب إلى بيوت الدعارة السياسية باسم الحرية وكان مندوب فريدم فى مصر شريف منصور بن أحمد صبحى منصور الرجل القرآنى الذى أنكر السنة النبوية المشرفة ولا يعترف بها .. وبعد اعتقال مجموعة من القرآنيين.. هرب الأب إلى أمريكا عام ٢٠٠٢ وطلب اللجوء السياسى وحصل عليه لأنه ضد السنة النبوية وأحد أبرز أعضاء «ابن صهيون».

ومنظمة بيت الحرية غير حكومية تأسست عام ١٩٤١ وهى تابعة للمخابرات الأمريكية ودعمها الرئيس الأمريكى فى هذا الوقت «فرانكلين روزفلت» وكان هدفها مكافحة الشيوعية وتخريب الاتحاد السوفييتى وتفكيكه لكنها توسعت فى نشاطها ووجدت لها من العملاء من يساندونها وكله بتمنه.

يعنى إيه مجتمع مدنى؟

هنا يجب أن نعرف بأن بلادنا كانت سباقة فى نشاط المجتمع المدنى وتأسست أول جمعية أهلية فى عام ١٨٢١ حتى بلغت أكثر من ١٦ ألفاً و٨٠٠ ألف جمعية ومنظمة تعمل فى ميادين عديدة ثقافية وخيرية وفى مجالات رعاية المرأة والاطفال والمساجين وحماية المستهلك وتشمل منظمات المجتمع المدنى: النقابات المهنية والجمعيات الأهلية والمنظمات غير الحكومية والأحزاب السياسية.. لكن لماذا تثير بعض هذه المنظمات كل هذا القلق حول تمويلها وأهدافها ونشاطها دون غيرها.. وفى

ذلك يقول الخبراء إن منظمات لا يزيد عددها على عشر فقط من العدد الرهيب هى التى تحوم حولها الشبهات.

وقد بدأت منظمة فريدم هاوس نشاطها فى مصر ببرنامج «جيل جديد» أرادت من خلاله تحويل الشباب العاطل إلى معروفين ونشطاء بشرط عدم معاداة أمريكا وإسرائيل وعندما يصل هؤلاء النشطاء إلى برامج تليفزيونية بعينها وفى القنوات الخاصة بشكل لافت يجب أن تربط بين هؤلاء وهؤلاء.

وكان من ضمن برامج منظمة أمريكية أخرى هى «موفمنتس دوت أورج» تدريب نشطاء المارينز المصرى «البلاك بلوك ـ الألتراس» وقد بدأ ذلك فى عام ٢٠٠٨ وارجع إلى تاريخ ظهور الألتراس وتطور نشاطهم من مجرد التشجيع فى المدرجات إلى النزول للشارع ومهاجمة الداخلية ومؤسسات الدولة ولعب خيرت الشاطر دوراً بارزاً فى استقطاب هؤلاء الشباب وتمويلهم.. فهل يعقل مثلاً أن يسافر مشجع شاب إلى تونس على نفقته الخاصة من تذاكر طيران وإقامة رحلة لا تقل تكلفتها عن عشرة آلاف جنيه لكى يشتم مصر وجيشها وشرطتها هناك ومن الطبيعى أن المنظمات الأمريكية التى تحدثنا عنها لها صلة وثيقة بالمخابرات ويكفى أن نذكر من هذه الأسماء أعضاء بيت الحرية: بريجينسكى ورامسفيلد» وكيل وزارة الدفاع فى عهد بوش وولفتيز، مستشار الأمن القومى انتون ليك، جيمس ولزى مدير وكالة الاستخبارات الأمريكية ـ ٩٣ : ٩٥ ثم عين رئيساً لمجلس أمناء «فريدم هاوس» فإذا تكلمت عن هؤلاء سنجد أن أغلبهم من الصهاينة اليهود.

ونعـود إلى سـعـد الدين إبراهيم الذى درس فى أمـريكا وكـان رئيسًا لاتحاد الطلاب العرب هناك خلال الدراسة واعترف فى حـديث لـه بعـد سنوات من نشـاطه: إن اليـهـود يريدون لنا الديمقراطية.. عندما سألوه عن الشبهات التى تحيط بمنظمات التجارة بالحرية والديمقراطية الأمريكية الصهيونية.. ويكفى أن نعرف بأن أكبر ممول لهذه المنظمات رجل الأعمال الملياردير اليهودى جورج سورس الذى يحتل المرتبة رقم ٩٩ بين أغنياء العالم وتزيد ثروته على ٩٠ مليار دولار وهو مجرى الأصل وكان يعمل صرافاً وعندما قام المجلس العسكرى بمهاجمة بعض هذه المنظمات المشبوهة هددت أمريكا بقطع المعونة العسكرية وهنا يجب توجيه التحية إلى السيدة الفاضلة الدكتورة فايزة أبو النجا وزيرة الدولة للعلاقات الخارجية فى عام ٢٠١٢ التى قامت بكشف هذه المنظمات بشجاعة وكانت المفاجأة أن هذه المنظمات لم تقصر نشاطها على الشباب من ٦ أبريل والألتراس.. لكنها تعاونت مع الإخوان والسلفيين من حزب النور.. وأشهر المنظمات التى تم إغلاق مكانها فى مصر:

«المعهد الجمهورى الحر - الديمقراطى الأمريكى - فريدم هاوس - كونراد إديناور ومصادرة أموالها وكان هدفها نشر الفوضى وإسقاط الدولة وحكمت المحكمة بمصادرة أموال هذه المكاتب فى ٢٠١٣/٦/٤ والحكم بالحبس على ٢٧ متهما من سنتين إلى خمس سنوات وحاول الإخوان وقتها التشكيك فى إجراءات فايزة أبو النجا وإهانتها فى مجلس الشعب وقتها ولكنها كانت أقوى من كل هؤلاء العملاء، والتمويل الأجنبى لهذه المنظمات

يعتبر شكلا من أشكال السيطرة والهيمنة وتفكيك مفاصل الدولة بعيداً عن التدخل العسكرى المباشر بعد أن أصبحت أوراق أمريكا مكشوفة للغاية فى العراق وسوريا وليبيا واليمن وقبلها فى أفغانستان.

وقد حاولت الإدارة الأمريكية عن طريق سعد الدين إبراهيم إيجاد إسلام أمريكى بمواصفاتهم وراهنت فى ذلك على الإخوان.. ولما جاءت ٣٠ يونيو عاد المخطط إلى نقطة الصفر بعد أن كان قاب قوسين أو أدنى من الوصول إلى إعادة تقسيم المنطقة وفقاً لخريطة الشرق الأوسط الجديد.

الرجـــل «الدلدول»

الرجل السلبى «الدلدول» الذى كشف نفسه بنفسه وفضحه رب السماوات والأرض بيده وبفعله الهروبى الكبير تحيط به لعنات الملايين وهو الرجل الدلدول «البرادى».. ثم خرجت الأخبار بعد ذلك لكى تذكر بما لا يدع مجالاً للشك أن هذا الجيش هو أعظم جيوش العالم.

ما الغريب فى تصريح هذا البرداعى الذى رشحه بعضهم لقيادة مصر واحتشدوا لاستقباله فى مطار القاهرة استقبال الفاتحين فإذا به يخذلهم ويهرب ولم يكن وقتها يحتل منصبًا رسميًا.. ويكررها بعد ذلك بسنوات وهو يحمل لقب الرجل الثانى فى الدولة نائبًا لرئيس الجمهورية.. ظهر أيام مبارك فى عام ٢٠١٠ وقت تأسيس ما يسمى بالجمعية المصرية للتغيير على غرار أكاديمية التغيير الأمريكى وفرعها فى قطر الذى يديره زوج ابنة الشيخ القرضاوى.

كـان الناس ينظرون إلى مـحـمـد البـرادعى الذى كـان يرأس الوكالة الدولية للطاقة على أنه رجل المرحلة واتضح فيما جرى بعد ذلك أنه رجل المهزلة.. فتاريخه خلال عمله بوكالة الطاقة مكلل بالخزى والعار ضد العراق واتهامه الباطل بامتلاك أسلحة دمار شامل كذريعة للهجوم الأمريكى الذى أدى إلى احتلال هذا البلد الكبير وتدميره كقوة كبرى فى المنطقة فى مخطط أمريكى صهيونى هدفه الاستيلاء على النفط والثروات المعدنية وإعادة تقسيم المنطقة فيما سمى بالشرق الأوسط الجديد على أساس طائفى ومذهبى ومن هنا ستجد أن الاهتمام بالأقليات من جانب منظمات المجتمع المدنى لا يأتى انحيازًا إنسانيًا لها.. بقدر ما هى نقطة هامة على أجندة تقسيم المنطقة بالسكين الأمريكى الصهيونى.. والبرادعى هو الرجل الذى دعا صراحة إلى إطلاق المحافل الماسونية فى مصر وإعطاء الحرية الكاملة للبهائيين بدعوى حرية الفكر والاعتقاد وتسجيل هذه العقيدة المشبوهة فى الرقم القومى وهو ما يعنى الاعتراف من جانب الدولة وهناك فارق بين الاعتقاد الشخصى.. والتبشير بهذا الاعتقاد ما يثير القلق فى المجتمع.. يعتمدون فى ذلك على إغراء مادى للشباب وهو ما يعنى العداء لصحيح الدين.. وإذا كان هناك من يعتنق الإسلام لكنه يمارسه بطريقة دموية حتى ضد المسلمين أنفسهم ويكفرهم.. فهل نأمن شر معتقدات أخرى ليست سماوية ومشكوكاً فيها.

ورغم أن البرادعى اعتبر تصريحه هذا جاء مغلوطًا بسبب ترجمة غير دقيقة فإنه يعود لإدانة فى عام ٢٠١١ عندما تقدم

بوثيقة تنص على ضرورة فتح الباب أمام حرية الاعتقاد بصرف النظر عن الديانة أو المذهب.

ولأنه يعرف ماذا يقول؟ ومتى؟.. فها هو البرادعى يعود فى حديث صحفى مع زميلنا لبيب السباعى رئيس مجلس إدارة الأهرام الأسبق حيث طالب بأن يقتصر دور الجيش المصرى على مكافحة الإرهاب والجريمة المنظمة والحروب الأهلية.. ودققوا جيداً فى هذا الكلام الذى يخص الشرطة أكثر من الجيش المكلف بحماية الأمن القومى للبلاد، وهذا الكلام رفضه المشير حسين طنطاوى رفضاً قاطعاً وبعدها خاطب اللواء محمد العصار نائب وزير الدفاع الإدارة الأمريكية قائلاً: إذا لم نجد لديكم ما نحتاج من السلاح سوف نبحث عن البدائل وهذا ما وقع بالفعل حيث ظهرت أسلحة روسيا وفرنسا فى قوة الجيش المصرى وبشكل غير مسبوق يعطى مصر مكانتها وقوتها التى تستحقها فى المنطقة بأكملها.

وأبعد من ذلك طالب البرادعى بأن يكون الدستور الألمانى هو النموذج الأمثل لأنه يجيز الزواج المدنى ويجعل التجنيد اختيارياً كما أنه يفتح أبواب الحرية بلا حساب وهو لا يكف عن اللعب فى هذه المنطقة ولا يخجل من تكرار ذلك ومعه شلة سارت خلفه وكررت نفس الطلب وكأن الدستور الألمانى لا مثيل له مع أن الدساتير تضعها الشعوب وفق ظروفها واحتياجها لكن الألمانى يجيز الحكم الذاتى للأقليات ما يعنى التقسيم وملة مسيحية وأخرى مسلمة وثالثة نوبية وقد خاطب الأهالى

فى ذلك وطالبهم بتدويل قضيتهم.. ولكن كل نوبى هو مصرى أصيل يعرف أبعاد المخطط ويرفضه وإن كان بعض النوبيين قد وافقوا على هذا الرأى الشاذ.. وأيده عمرو حمزاوى الباحث بمعهد كارتيجى الأمريكى للسلام الذى جاء قبل الثورة لكى يلعب دوره ويصبح من أبطال المشهد.

ويستشهد «عمرو عمار» الخبير الأمنى فى كتابه: «الاحتلال المدنى.. أسرار ٢٥ يناير والمارينز الأمريكى» برأى للدكتور ممدوح حمزة الذى كان أيضًا من رموز مشهد ٢٥ يناير وما بعدها حيث قال: البرادعى أمريكانى وهو موظف عندهم.. ولم يكن فى أى وقت يأخذ مطلب ترشيحه للرئاسة فى مصر على محمل الجد حتى إنه بعد ذلك رفض إسقاط رئاسة محمد مرسى للجمهورية عام ٢٠١٣ فى اجتماع عقدته جبهة الإنقاذ المصرية التى كانت تضم رموز ما يسمى بالنخبة وعلى رأسهم حمدين صباحى.. وحسن نافعة.. فإذا وجدت أن الأدوار انقلبت والمواقع تغيرت فلا يدهشك هذا.. لأنها المصالح قد تتناطح بقدر ما تتصالح.. ونافعة تعرف على شقيقة الدكتور البرادعى فى جامعة القاهرة «منى» وطلب منها أن تتصل به وتبلغه رغبة النخبة فى الحضور وقد اعترفوا جميعًا أن البرادعى لم يكن يرد عليهم بسهولة إلا عبر وسيط إما أخته أو أخيه.. وكان بعضهم يصوره على أنه «سعد زغلول».. ونافعة أحد الذين طالبوا الشباب بالحشد لاستقبال البرادعى كزعيم منتظر ولأن هدف التغيير فى البداية رفض التوريث وليس الانقلاب على مبارك وخلعه.. ومن الطبيعى أن يوجد الإخوان فى المشهد على

استحياء فإذا نجحوا انتقلوا إلى الصدارة وإذا فشلوا تملصوا وخلعوا يدهم.. وهو نفس السيناريو الذى جرى مع الأيام الأولى لثورة ٢٥ يناير.

وتوقع أعضاء الجمعية الوطنية للتغيير أن يهتم البرادعى لكنه لم يحضر اجتماعًا واحدًا لها وكان يمكث خارج البلاد أكثر مما يوجد بداخلها.. وكثرت المشاكل داخل الجمعية عندما اكتشف نافعة أن جورج إسحاق جمع بعض التبرعات باسمها ولم يتم توريد المبالغ ولكن البرادعى كعادته «لا يحل ولا يربط»!

ويؤكد نافعة بعد ذلك أن البرادعى مقلب كبير فهو بعيد عن الواقع المصرى وخبرته السياسية قليلة ولا يقبل النقد وهو رجل ناعم يعيش حياة رغدة وقد وصل إلى جائزة نوبل عبر خضوعه للتوجهات الأمريكية.. وقد كان يتأفف من السلام على بعض الناس.

وسترى بعد ذلك كيف أن «نافعة» تحول إلى سمسار للمصالحة مع الإخوان بعد ثورة ٣٠ يونيو وكان يظهر ويتوارى لتسويق هذه المصالحة وفشل ولكنه لم ييأس.. وقد اعترف هو نفسه بأن المشاكل داخل جمعية التغيير كان سببها شهوة أغلب الأعضاء نحو الشهرة والمال والوجاهة والحضور فى المشهد السياسى خصوصاً بعد ٢٥ يناير.

وإذا ذكرت محاسيب البرادعى ستجد إبراهيم عيسى رمز الحمالة والشارب.. وأيمن نور بهلوان الألعاب السياسية ولنا

وقفة «اسبشيال» معه لأنه حدوتة يجب أن نحكيها.. ومن المحاسيب عبدالرحمن يوسف القرضاوى وسعد الكتاتنى وعصام سلطان وسخرية البرادعى كانت مقصودة ومن مفاتيح اللعبة.. فهو يعرف أكثر من غيره.. أن إخراج هذا الجيش الوطنى العظيم من المشهد السياسى.. يعنى هدم العمود الرئيسى الذى تقوم الدولة عليه.. وهو أشبه بالعمود الفقرى بالنسبة للإنسان وأى خلل فيه يعنى انهيار الجسم إن لم يكن الشلل.

نعم قد يكون محاسيب البرادعى أصحاب رغبة وطنية فى الوقوف ضد توريث جمال مبارك ثم إلى تغيير مبارك نفسه بعد ارتفاع سقف المطالب وقناة الجزيرة من هناك فى الدوحة تنفخ فى النار وتشعلها وأغلب من أحاطوا بالبرادعى كانوا هم أبرز الحضور على الساحة السياسية وبعد ثورة يناير اختلفت المصالح والتوجهات ومن صفقوا للجيش الذى لا يتخلى عن شعبه.. هتفوا «يسقط يسقط حكم العسكر»!

فلا نستغرب إذا اتفقوا فى لحظة ثم تعاركوا واختلفوا وانفضوا من حول «البوب» الذى فر هاربًا لأنه «ياى ياى» يخشى من مشاهد الدم فى رابعة والنهضة.. لكن ظل الجيش المصرى البطل هو مفتاح الأمن بكل أشكاله فهو الأمن القومى والاجتماعى والاقتصادى والمعمارى والإنسانى.. فهو خير أجناد الأرض وهو فى رباط إلى يوم الدين ولو كره الكارهون المتأمركون.

لغز عفيفى.. الأمريكانى

تفرد له بعض القنوات مساحة.. وهو يعترف بأنه يمتلك أجهزة تستطيع أن تحرك البلد كله.. وأبعد من ذلك يفخر بأنه قائد ثورة ٢٥ يناير.. وقد احترنا والله فى هوية القائد الحقيقى.. خصوصاً أن توفيق عكاشة كان هو الآخر يدعى بأنه قائد الثورة فى ٣٠ يونيو.. لكن الاختلاف أن الأول أدار الثورة من أمريكا والثانى من مدينة الإنتاج الإعلامى.

وكنا نسأل أنفسنا مع اندلاع ثورة يناير.. والجزيرة تغطيها برجالها من بره ومن جوه.. ولكن هذا الرجل كان لغزاً.. وكنا نندهش من حجم المعلومات التى يعرفها وكان كثيراً ما يوجه بالهجوم على وزارة الداخلية أو وزارة الدفاع وما أدهشنا أكثر أنه يحمل رتبة «العقيد».. فمن هو «عمر عفيفى» الذى كان مع الإخوان ضد مبارك ثم هاجمهم.

قصة «عمر عفيفى» تكشف الكثير من الأوراق فى العلاقة بين عملاء الداخل والخارج.. فهو ضابط شرطة تخرج عام ١٩٨٦ ووصل إلى رتبة العقيد وعمل فى المرور ثم حامت حوله الشبهات وفاحت رائحة فضائحه النسائية وتم نقله إلى السويس لكنه لم يرتدع حيث مارس غرامياته هناك ولأنه لا يفوت فرصة وانتهازى فقد تنازل عن محضر ضد الفنان أحمد رمزى بعد حادث تصادم مع سيارته وطلب منه أن يساعده للعمل بالمباحث.. ونجح رمزى فى ذلك وعمل بشرطة الجزيرة ولكنه عاد إلى تجاوزاته وتم نقله إلى المطافئ.. ولأنه يخطط لهدف بعينه.. استغل رحلة مع بعثة المركز العربى لحقوق الإنسان إلى تونس.. وسافر لكى يلعب «بديله» مع فتاة تونسية حاولت أسرتها منعه من العودة إلى القاهرة بعد أن وعدها بالزواج.. وعاد لكى يقدم استقالته بعد أن تصاعد الموقف مع اللواء إسماعيل الشاعر مساعد وزير الداخلية الذى اصطدم معه حتى طرده الرجل من مكتبه.. وقد حاول أن يلعب بورقة الاستقالة قبل أن يقدمها وأن يكتب عموداً بـ«الأهرام» ولما أغلقت فى وجهه الأبواب لأن سيرته تلوثت وبدأ يسىء إلى جهاز الشرطة الذى ينتمى إليه.. اتجه إلى أمريكا يطلب حق اللجوء السياسى وهى خطوة كان يعرف مقدماً كيف يصل إليها فقد سبق ذلك تأليفه لكتاب عبيط بعنوان «عشان ما تنضربش على قفاك» هاجم فيه الداخلية وهو الكتاب الذى مهد له الطريق إلى أمريكا وهو يعرفه جيداً وإن كذب وأنكر وادعى أنه ألف هذا الكتاب لأنه مفلس.. خصوصاً أن الكتب فى بلادنا لا تغنى

ولا تسمن من جوع حتى مع أكبر المؤلفين وليس مع هذا الهراء السخيف وكما يتضح من عنوانه وقد عرفه الناس أيام ثورة ٢٥ يناير وسألوا عنه من يكون؟ ومن أين يأتى بمعلومات كان يذكرها قبل أن تحدث.. وهو ما يؤكد علاقته بأجهزة المخابرات الأمريكية خصوصاً أنه ذهب إليها جاهزا..

وفى أثناء ثورة يناير اجتمع مع اليهودى الاشكينازى «مايكل بوزنر» مساعد وزيرة الخارجية الامريكية وضم هذا الاجتماع سعد الدين إبراهيم وأمين محمود وإبراهيم حسين وطارق خليل.. وكان قد استغل موضوع ضرب الطالبة سمية أشرف ومقتل خالد سعيد وقام بتصعيده إلى مساعد وزيرة الخارجية الأمريكية وجاكسون ديل نائب رئيس تحرير مجلة الواشنطن بوست والمعروف أنها صحيفة يهودية ويمتلكها أيوجين إسحاق ماير.. ومواقفها العدائية ضد مصر والإسلام أكثر من أن تحصى وهى ضد فلسطين على طول الخط أى أنها مع إسرائيل قلباً وقالباً.

وخرج على قناة فوكس نيوز الأمريكية اليهودية ليعلن حبه لأمريكا على الهواء وهو أمر طبيعى لأنهم أهل نعمته.. ولكنه من باب التمويه أعلن حبه لمصر التى قام بإشاعة الفوضى فيها وطالب الشباب بالتوجه إلى وزارة الداخلية وحرقها ومواجهة الشرطة بعنف وعدم الاستسلام لها.

مع العلم أن صاحب فوكس هو الملياردير اليهودى روبرت مردوخ المعروف بلقب إمبراطور الإعلام.. وهى أيضاً ضد كل

ما هو عربى وإسلامى على طول الخط.. فلماذا فتحت أبوابها لعفيفى دون غيره.. إلا إذا كانت تعرف ميوله وتوافق على ما يفعل.

وقد صورته الكاميرات فى أمريكا خلال مظاهرة ضد الجيش المصرى شارك فيها العميل الواضح سعد الدين إبراهيم الذى تجده فى كل مصيبة ولا ندرى ما علاقة ذلك بكونه أحد الباحثين عن الديمقراطية والتى لا يجدها إلا فى أمريكا مرة مع الإخوان وأخرى مع عميل اسمه عفيفى.

وفى المظاهرة يوجد شريف منصور من مركز ابن خلدون أو ابن صهيون وشادى طلعت وقد سأل عن الشاشات الفخمة التى كانت تبث فى ميدان التحرير ما تذيعه قناة الجزيرة للآلاف الموجودة أولاً بأول وقد قدمت عمر عفيفى على أنه محرك الثورة والثوار من أمريكا.. فهل يغيب عنك «الباشمهندس» وائل غنيم مدير التسويق فى «جوجل» التى وفرت الإنترنت بعد أن قطعته الحكومة المصرية فى أيام الثورة.. مثلما منحت قناة الجزيرة تليفونات الثريا الدولية للإخوان والثوار ليظل الحبل السرى مربوطاً بين الداخل والخارج.

وكانت اللوحة التى يحملونها فى المظاهرة تقول إن العسكرية المصرية قتلت ٢٧ وجرحت ٣٠٠ وكتبوا أسفل اللوحة كلمة «مسيحيين» وذلك فى أعقاب ما جرى عند ماسبيرو وحرق مدرعات الجيش وقتل بعض من فيها.. وهو ما يربطنا بما يسمى أقباط المهجر وقد خرجت الكنيسة المصرية الوطنية لكى

تتبرأ من هؤلاء وتقول إن أقباط مصر فى بلدهم ولهم كل الحق الذى يسمح لهم بالدفاع عن أنفسهم وبحماية شركاء الوطن وقد أثار الكابتن عزمى مجاهد فى برنامج «على مسئوليتى» مع أحمد موسى سبب زيارة أم خالد سعيد إلى أمريكا واللقاء مع عمر عفيفى؟!.. وكانت قد ذهبت إلى إيطاليا وقابلت أم الطالب الإيطالى «روجينى» ونصحتها بأن تتجه إلى المحكمة الدولية.. وهذه إشارة أخرى ترشدك إلى تشابك الخيوط وإن تنوع العملاء والهدف دائماً وأبداً كسر شوكة الدولة وإشاعة الفوضى الخلاقة التى بشرت بها كونداليزا.. وفتحت شهية الإدارة الأمريكية لكى تقول لمبارك وهو صديقهم أن يرحل الآن فوراً.. ليس كراهية فيه.. لكن حباً فى مصالحهم وهو ما يروج له الزبانية.

وتلخص لنا حكاية عفيفى كيف يتم صناعة العميل.. واللعبة تبدأ من بعض الإعلاميين فى مصر الذين يقدمون هؤلاء ويقومون بالتلميع وتراهم يتنقلون من قناة إلى أخرى يحملون بعض الملابس فى سياراتهم ويغيرونها من برنامج إلى آخر.. وكأن البلد ليس فيه سوى هذه الوجوه المشبوهة.. ثم تكون الخطوة التالية أن يتجه العميل شطر أمه أمريكا «قطيعة تقطعه هو وهى فى يوم واحد».

لقد ظهر عمر عفيفى فى عز جبروت حبيب العادلى مع عمرو أديب وغيره قبل أن يطل على الجزيرة ثم يظهر من أمريكا مطالباً المتظاهرين بأن يتجهوا إلى مبنى الإذاعة والتليفزيون

واقتحامه ثم يخرج فى مظاهرة لكى يبكى على شهداء سقطوا لأنهم استمعوا إليه واعتدوا على منشآت الدولة ورجالها وكان هذا هو الجزاء الأوفى.. وهو أيضاً الذى طالب بمحكمة دولية للجيش والشرطة فى مصر لأنهم استخدموا أسلحة كيميائية وغازات سامة وهى نفس لعبة البرادعى مع العراق.

والسؤال: كيف تم تلميعه؟ وكيف هرب؟ وكيف طالب الامريكان بالتدخل ودعم جماعة ٦ أبريل وهو الذى يهلل لأسماء محفوظ وأحمد ماهر ودومة وأيمن نور وحازم أبو إسماعيل ووجدى غنيم وكانت رسالته للشباب: كون مجموعتك فى «الكتمونى».. ومن شفرته «على مجموعة الصيد تجهيز الشباك وتحديد أماكن البساريا».. وهى إشارة واضحة ضد الجيش والشرطة.. الغريب أن بعض أجهزة الإعلام تأخذ منه المعلومة كما هى وتروجها.. مع أن الشبهات تحيط به من كل جانب ومع ذلك يستمر من ٢٥ يناير إلى ٣٠ يونيو ثم هو الآن يريد أن يواصل دوره الأسود الحقير هو وأمثاله.

خريطة لويس.. للتقسيم

كـان الهـدف.. تقـسـيم العـالم العـربى من جـديد فى «سايكس بيكو» أخرى.. والتقسيم لن يتم إلا إذا اشتعلت الحـروب الطائفـيـة.. ومن أجل ذلك اخـتـرعـوا نظرية الفوضى الخـلاقة ولا تندهش من التناقض لأن الفوضى خلاقة بالنسبة لهم وحتى يضمنوا تحقيق أهدافهم تنوعت السبل والغاية تبرر الوسيلة ولهذا جمعوا بين الإخوانى والإرهابى والأبريلى وحقوق الإنسان والألتراس والبلاك لوك والاشـتـراكى الثـورى ومـا يسـتـجـد من «دلاديل» أو عملاء أو أتباع أو مهاويس أو مرتزقة.

ودعنى هنا أحكى لك حكاية التـقسـيم من أولها.. أصلـها وفصلـها مفكر إنجليزى يهودى أمريكى شهير هو «برنارد لويس».. يقال عنه «مستشرق».. وعليكم الشك كثيراً فى كل من يحمل هذه الصفة وكم فعل بنا هؤلاء بعد أن درسوا مجتمعاتنا دينياً وسياسياً واجتماعياً ثم قالوا كلمتهم وضربوا ضربتهم وحتى يطمئن قلبك وتعرف لويس،

استمع إلى ما جاء على لسانه فى حوار مع وكالة الإعلام الأمريكية عام ٢٠٠٥ ونقله الباحث عمرو عمار فى كتابه «الاحتلال المدنى» - فقد قال: «إن العرب والمسلمين قوم فاسدون مفسدون فوضيون لا يمكن تحضرهم وإذا تركناهم لأنفسهم سوف يهجمون على العالم المتحضر فى شكل موجات بشرية إرهابية تدمر الحضارات ولذلك فإن الحل هو إعادة احتلالهم واستعمارهم وفى حال قيام أمريكا بهذا الدور فإن عليها أن تستفيد من التجربة الإنجليزية - الفرنسية لتجنب الأخطاء ومن الضرورى إعادة تقسيم الأقطار العربية والإسلامية إلى وحدات عشائرية وطائفية ولا داعى لمراعاة خواطرهم أو التأثر بانفعالاتهم وردود الفعل عندهم ولا بأس بعد الاحتلال أن ندربهم على الديمقراطية طبعاً لم يذكر «الباشمهندس» لويس أن الديمقراطية التى يريدونها لنا.. ستكون على مزاجهم وحسب مواصفاتهم ولا بأس أن تتطور خطة لويس ويتم إدخال بعض التعديلات عليها من هنا وهناك.. وقد حدث هذا مع الجنرال الأمريكى المتقاعد «رالف بيترز» الذى نشر فى عام ٢٠٠٦ بحثاً بعنوان «حدود الدم» فى مجلة القوات المسلحة يشرح فيه حلولاً لمشكلة الأقليات بالمنطقة بإجراء تعديلات على الحدود بطريقة القص واللزق وجاء «جيمس وولزى» الرئيس الأسبق لجهاز المخابرات الأمريكية لكى يضع «التاتش» الخاص به فى هذه الطبخة السامة وملخصها وأهم ما فيها: علينا أن نقنع العرب والمسلمين بأننا فى صفهم ونعمل لمصلحتهم ثم علينا أن نضع لهم إسلاماً يناسبنا ثم نجعلهم يقومون بالثورة ولن يتحقق هذا إلا بخلق حالة دائمة من التوتر.. والمعنى أنهم سوف يضعون «إسلاماً أمريكياً» باستخدام

مجموعة من أهل الإسلام أنفسهم.. عندها من الاستعداد التضحية بالإسلام كله من أجل الوصول إلى السلطة والنفوذ وأوهام الخلافة.

هيا بنا نتحاور

لن يقولوا لك اترك دينك.. ولكن يكفى أن يرفعوا أمامك بعض الشعارات البراقة مثل حوار الأديان.. وهو الشعار الخادع لأن الحوار يكون بين أتباع الأديان تحت البند القرآنى الكريم «لكم دينكم ولى دين» ويكشف لنا الكاتب الكبير عاطف عبدالغنى فى «كتابه «الدين الأمريكانى» تفاصيل اللعبة عندما جاء إلى القاهرة مفكر سويدى فتحت له الجامعة الأمريكية أبوابها باعتبارها «بيت أبوهم» فى مصر وهو «هانز كونج» وحضروا له مقابلات مع شخصيات عامة ذهبت بحسن نية.. وبعد حوارات قدم «كونج» للحاضرين نموذجًا لصلاة «ميكس» أو كشرى للأديان كلها تقول «الله الخفى الخالد... الواسع، الله الغنى الرحيم هو الحميد العظيم فى كل صلاة هو القوى ورب الحق.. اخترت إبراهيم ليكون عبدك وليكون والد كثير من البشر وبعثت رسائلك عبر الرسل واسمك مقدس فى كل العالم ومشيئتك لا راد لها، الله الحى المجيد هذا هو دعاؤنا وذنوبنا كثيرة اغفر لأبناء إبراهيم» العم هانز الذى يدعى أنه متخصص فى الشأن الدينى من الفاتيكان.. اكتشفنا أنه مطرود ونصاب وسبق له أن نشر كتاباً بعنوان «هل يوجد إله».. وتحول إلى «عولمة الدين».. يعنى المطلوب منى كمسلم وأنا الذى أؤمن بكل الأنبياء والرسل.. أن أختصر الأمر عند إبراهيم عليه السلام فقط رمزاً للديانات الثلاث وكذلك أخى المسيحى.

وبالمناسبة الماسونية وهى الحركة الصهيونية العالمية تلعب نفس

اللعب وتدخل من نفس الباب.. تقول لك كلنا نؤمن بالله.. ثم بعد ذلك لا تتكلم عن شىء.. فى تفاصيل عقيدتك.. لا قرآن ولا سنة وكانت حجة من احترفوا النصب باسم حوار الأديان وعولمة الدين.. أن الأزمات بين البشر تأتى بسبب اختلاف العقائد.. ولهذا يجب أن نتوحد جميعاً تحت مظلة واحدة.. وهؤلاء هم أنفسهم الذين يتاجرون ليلهم ونهارهم بحق الاختلاف واحترام التعددية.. وإسلامنا سبقهم إلى ذلك «ولو شاء الله لجعلكم أمة واحدة».. وسيحكم بيننا يوم القيامة فيما اختلفنا حوله وفيه.

واليهود عندهم أسطورة تقول إن هناك مبعوثاً من السماء سوف يظهر لكى يوحد العالم ويحكمه تحت راية اليهود وأطلقوا عليه زورا وبهتاناً اسم المسيح المخلص وفى كتاب الإنجليزى «وليم جاى كار» «أحجار على رقعة شطرنج» يقول: لقد استأجر اليهود الأستاذ اليسوعى الألمانى بجامعة أنجولد ستان بعد أن ارتد عن دينه المسيحى واعتنق المذهب الشيطانى وأنشأوا مؤسسة روتشيلد لكى تراجع بروتوكولات حكام صهيون وتطرحها فى قالب جديد هدفه إقامة حكومة عالمية للتلوث وقد كون هذا الرجل جماعة النوريين وهى نواة الماسونية وكان ذلك عام ١٧٧٦ .. فكيف لأتباع الشيطان أن يكون من أهل النور والأنوار والبناء والإخاء والمساواة إلا أنها الشراك الخداعية التى ظهرت بعد ذلك باسم «العولمة».

وقد صدر «نورمان بنويش» فى الثلاثينيات من القرن العشرين كتابا بعنوان «الأساس الدينى للعولمة» ثم ظهر بعد ذلك ما يسمى ببرلمان الأديان العالمى ومحفل التفاهم.. وكل هذا مهد

لميلاد ستنا وتاج رأسنا «الأمم المتحدة» أو قل الخاتم فى أصبع أمريكا.. وبالطبع فإن جميع منظمات الأمم التى هى متحدة.. تابعة للأمريكان صندوق النقد الدولى ـ البنك الدولى ـ منظمة العمل الدولية ـ محكمة العدل ـ منظمة الصحة العالمية.. وليس من المدهش أن يطالب القس الأسقف وليام سوينج الذى ينتمى إلى الكنيسة الأسقفية فى كاليفورنيا بإنشاء منظمة الأديان المتحدة.. على غرار منظمة الأمم ورحبت الديانات المشكوك فى أمرها بهذا الاقتراح مثل البهائية وعبدة الكواكب والاشجار ورفضت الكنيسة الشرقية الأرثوذكسية هذا الاقتراح وذكرت مجلة التايمز الأمريكية أن التغيير فى منطقة الشرق الأوسط لابد أن يبدأ من القاهرة.. وعندما عقد مؤتمر السكان والتنمية عام ١٩٩٤ رفض الأزهر الشريف التوقيع على هذه الوثيقة المشبوهة التى تبيح الشذوذ وحرية الإجهاض والجنس الآمن.. وهذه ألعاب الأمم التى هى منحدر.. لذلك يأتى الاهتمام بحرية المرأة.. وحرية الإفراط فى كل شىء.. ولأن الأديان السماوية تحرم الأفعال الشاذة والانفلات حاولوا المساواة بينها وبين ديانات الملاحيس.. ومن أجل ذلك يجب على الإعلام والفنون أن تمهد لكل هذا الجنون «دون اللحظة».. «اعمل اللى فى نفسك» اتجنن قبل ١٨ سنة.. استرجل وتراه فى ملابس النساء ومشاهد السحاق والشذوذ فى الأفلام.. وهذا الانفلات فى البرامج والموسيقى الشيطانية.. وأفلام الرعب ولم يتوقف الأمر عند هدم الإسلام. بل اتجه إلى المسيحية وظهرت منظمة تسمى نفسها «منظمة الكتاب المقدس» وهو اسم خادع.. لأن هذا

الكتاب المزعوم هو عبارة عن كوكتيل من المسيحية والإسلام والبوذية والهندوسية والكونفوشيوسية واليهودية والسيخ والزرادتشية... وعقائد أخرى فى أمريكا وإفريقيا وآسيا.

وعندما وقع اختيار البيت الأبيض على الإخوان لم يكن حبًا فيهم. ولكن ثقة فى أنهم أداة جيدة لأهدافهم الكبرى فى تقسيم المنطقة على النحو التالى.

مصر: ثلاث دول.. واحدة مسلمة وأخرى مسيحية وثالثة للنوبة الأولى فى القاهرة والثانية فى الإسكندرية والثالثة فى جنوب الصعيد.

السعودية: دولة مثل الفاتيكان فى مكة والمدينة.. ودولة أخرى تابعة للأردن الكبير وثالثة ناحية اليمن للشيعة وقد تم تقسيم السودان إلى جنوب مسيحى وشمال مسلم وفى الطريق دولة فى دارفور كانوا يخططون لضم حلايب وشلاتين إليها .. وكان هناك مخطط آخر لعمل دولة لكل العصابات التى يقال عنها إسلامية فى سيناء وهو ما بدأ محمد مرسى أثناء رئاسته للبلاد فى التمهيد له بمنح الجنسية المصرية لآلاف من هؤلاء.

هذا بخلاف دول فى المغرب العربى للأمازيج والبلوساريو والأكراد والدروز والعلويين.. وما يستجد من طوائف وملل.. وهو ما تلعب عليه جمعية ما يسمى بحقوق الإنسان وبدلاً من أن نعمل على لم شمل هؤلاء الفرقاء تحت راية وطن واحد يمزقونها إلى قصاقيص لا تسمن ولا تغنى من جوع.

جواسيس الإعلام والهامبورجر

هل يمكن لدولة أن تكون ديمقراطية.. وتتاجر بالديمقراطية وفى نفس الوقت تكون دولة مستبدة وظالمة وتاريخها الصغير المتواضع ملوث بالدم والتآمر والوساخة إنه السؤال الذى طرحه بعض المفكرين الأمريكان.. واختاره المترجم القدير صلاح عويس.. فى تقديمه لكتاب «أحزان الإمبراطورية» للكاتب الأمريكى البروفيسور «تشالمرز جونسون» وهو الجزء الثامن من ثلاثة كتب أصدرها حول الإمبراطورية العسكرية وطابعها السرى ويكشف فيها عورات الدولة العظمى وتناقضها.. وكيف الأمريكان بعد أن اغتصبوا أرضًا كانت ملكًا للهنود الحمر وصارعوا الإنجليز فى ذلك..

توسعوا واعتبروا أنفسهم دولة فوق الجميع وقد قال بوش الابن فى عام ٢٠٠٢: «أمتنا هى أعظم قوة أبدية فى التاريخ».. ولها

الحق فى ضم أى دولة من أمريكا اللاتينية إلى ولاياتها كما فعلوا مع «مكسيكو» التى تم اغتصابها من المكسيك.

وفى وثائق إعلان استقلال أمريكا وبداية تأسيسها.. ومنذ تقلد «جورج واشنطن» سلطته كأول رئيس فى ٣٠ أبريل عام ١٧٨٩ فى مدينة نيويورك كان السؤال المهم الذى طرحه على نفسه : «من تريد أن تكون»؟ وكانت الإجابة: نريد أن نكون دولة الرب أو المجتمع الكامل.. وقبل أن تتصور أنها دولة دينية يجب أن تعرف بأن إيمانهم بالرب يتوقف عند حدود القوى العليا العظمى.. ولا إيمان بوحى أو أنبياء بعد ذلك.. إنها نفس الفكرة التى قامت عليها «الماسونية» التى تدعو إلى توحيد الأديان وخلطها فى دين واحد.. كلنا نؤمن بالله.. وهذا يكفى جدًا جدًا.. وما بعد ذلك من عقائد وطقوس وسنن لا يهم.. وبذلك يتساوى تحت هذه المظلة المسلم والبوذى والهندوسى.. هذه الدولة مثلثها المقدس «الثروة/ الدين/ القوة».. فهم يسعون إلى السيطرة على منافذ البترول والغاز والمعادن فى أى مكان وفى الوقت الذى يطالبون فيه الدول بأن تتحرر من جيوشها النظامية وتحد من تسلحها.. يوجد الجيش الأمريكى فى أكثر من ٧٢٥ قاعدة عسكرية حول العالم.. ويستخدمون عسكرهم سواء الأمريكان أو المرتزقة المأجورون للدفاع عن مثلثهم المقدس.

وفى ذلك قال الرئيس إيزنهاور الرابع والثلاثين فى قائمة من حكموا أمريكا «١٩٥٣ - ١٩٦١»: «كوننا أول من استخدم

القنبلة الذرية فإننا قد استخدمنا المعيار الأخلاقى الشائع بين برابرة العصور المظلمة».

إنها الدولة التى وقّعت فى عامى ١٨٩٩، ١٩٠٧ على معاهدتين بمنع استخدام الأسلحة السامة ومنع قصف المدنيين فى عام ١٩٣٨.. ثم سلطوا قنابلهم الذرية القاتلة على «هيروشيما» اليابانية وكانت مدينة وليست قاعدة عسكرية وسقط ١٠٠ ألف مدنى فوراً من أول ضربة بخلاف ٥٠ ألفاً آخرين تأثروا بالإشعاع ومات أغلبهم بعد ذلك وهناك من عاشوا يحملون عار أمريكا الديمقراطية واختفت المدينة من فوق سطح الأرض وكانت الأكاذيب الأمريكية قد قالت إنها قاعدة عسكرية بها ٤٠ ألف جندى وهى نفس الكذبة التى تكررت فى العراق عام ٢٠٠٣.. بحجة وجود أسلحة دمار شامل وهذا ما جاء فى كتاب «أمريكا - الكتاب الأسود».. تأليف «بيتر سكاون» وهو كندى أمريكى شرع فى كتابته بعد الفيلم الهابط لأحداث ١١ سبتمبر.. وقد اعترف بوش فى خطاب علنى بعد ذلك: «لدى الولايات المتحدة وسيلة واحدة غير ملائمة لتحقيق أهدافها الخارجية وهى القوة العسكرية.. ونحن نستخدم مهارات أخرى دبلوماسية سرية وعلنية».

وهو نفسه الذى قال: إن الحكومة التى ترعى قتلة الأبرياء والخارجين على القانون تصبح هى نفسها مجرمة خارجة على القانون».

وبهذا المنطق كان يجب محاكمة بوش وباقى الرؤساء الأمريكان

الذين يدفعون المال والسلاح للمجرمين حول العالم فى دول يريدون تغيير أنظمتها وفقًا لهواهم.. فأمريكا تعمل بشعار «إن لم تكن معى فأنت ضدى» وهى نفسها التى تصدعنا كل دقيقة بالتعددية وحق الاختلاف.

نحن أمام دولة بوجهين تاريخها الأذعر المحدود.. حافل باللصوصية والدم والتآمر والتناقضات وتطالب بحقوق الإنسان وهى تتعامل مع الإنسان فى سجونها مثل الحشرة.. وكانت ثورة الخمينى فى إيران عام ١٩٧٩ واضحة وصريحة وأعلنت أن أمريكا هى الشيطان الأعظم على وجه الأرض.. وعندما أطلقت على إيران وكوريا الشمالية والعراق والسودان «محور الشر».. عادت بعد سنوات لكى تلاغى طهران وترفع الحظر عنها لكى تحولها إلى عفريت على هواها تهدد به دول الخليج.. والسياسة ليس فيها عداء دائم أو صلح مطلق لكنها المصالح تتصالح.. وأمريكا القوية تعمل ألف حساب للأقوياء فقط ولهذا لا يمكن أن تقترب من كوريا الشمالية وهى دولة نووية صاروخية «وش» أى بشكل علنى ورئيسها الشاب المتهور كلما هددته أمريكا بحصار أو عقاب.. أطلق لها صاروخًا.. من باب الاحتفال.. لكنها تستخدم كوريا الجنوبية واليابان.. ومؤخرًا ذهب أوباما بشحمه ولحمه إلى كوبا العدو الرهيب الأبدى.. يعنى الاختراعات الأمريكانى بصناعة عفريت هى لعبة قديمة ومكشوفة وسخيفة وقد أطلقت ٨٨ طنًا من المتفجرات وهو ما يزيد على ما دمرت به هيروشيما وأسقطت ٣٠٠٠ قنبلة وكان هدفها فى حرب الخليج الأولى ليس فقط تحرير الكويت ولكن

تدمير العراق ونهب ثرواته وتقسيمه وهو ما تكرر فى تونس وليبيا واليمن والسودان.

مع ملاحظة أن أمريكا تخوض فى حربها بالإعلام والعملاء وبعض منظمات حقوق الإنسان التى لا تجد فى الإنسان سوى الاهتمام بالأجندة الأمريكية الأقليات والمرأة مع أن هذه الحقوق مهدرة وأقل فى أمريكا مع الهنود والزنوج وأحكام الإعدام تتم بالغاز أو الكرسى الكهربائى وهى تسمح بتزوير الانتخابات كما جرى مع بوش الابن مع أنها ديمقراطية جداً جداً.

تقف أمريكا على أطراف أصابعها وربما يغمى عليها عندما تذاع بعض الأنباء عن مسلمين فى بلد ما تم رجمهم إلى حد الموت لأنهم شواذ جنسيًا.. أو تجلد امرأة لأنها زانية.. وجماعات حقوق الإنسان تصف أمريكا فى الدرك الأسفل من الدول التى لا تحترم هذه القوانين.. وسجونها هى النموذج للاغتصاب والتعذيب.

وقد رصدت بعض المنظمات داخل أمريكا أن واحدًا من كل خمسة سجناء يتم اغتصابهم ويتحولون إلى عبيد لمن يغتصبهم ويجبرونهم على خدمتهم بالعافية ووصل الأمر إلى ما هو أبعد حيث يتم بيع المغتصب بين السجناء.. والمسئولون يعرفون ولا يتحركون.. والقصص التى خرجت من سجن أبو غريب فى العراق وسربها أمريكان.. إلى جانب ما جاء من سجن جوانتنامو.. الذى أسسته أمريكا على جزيرة تابعة لكوبا اغتصبتها.. حتى لا يتم محاسبتها على جرائمها فى هذا

السجن بالقانون الأمريكى لأن السجن على أرض غير أرضها «شوف إزاى».

وقد نشرت بعض المنظمات قصة حول صبى عمره ١٦ عامًا اسمه «رودنى ملين» تم اتهامه بافتعال حريق فى تكساس وتم الحكم عليه بالسجن ٨ سنوات وتم إيداعه فى سجن للبالغين.. وقد اعتدوا عليه بالضرب فور دخوله واغتصبوه وتم إبلاغ المسئولين عن السجن وتجاهلوا الأمر.. ولم يجد الفتى أمامه إلا ارتكاب مخالفة تأخذه إلى الحبس الانفرادى.. ثم وجدوه بعد أيام وقد شنق نفسه وقد قام والده بمقاضاة ولاية تكساس وكسب القضية.. ولم تنطق منظمات حقوق الإنسان فى أمريكا.. بأى شىء مثلما تهتز لأتفه الأمور فى بلادنا.

فهل نسى هؤلاء أنه لم يتجاوز الـ ١٨ عامًا.. أى أنه لا يزال فى سن الطفولة وفقًا للمقاييس المتعارف عليها.. وتجاهلت بلاد الإنسانية والحرية كل هذا.. وفيها التنصت على المكالمة التليفونية من الأمور العادية ويتم احتجاز المئات فى سجون غير آدمية نهائيًا دون شروط قانونية وإنسانية.. ويتكلمون عن الاختفاء القسرى.. بل وتهتز قلوبهم الرقيقة لأحكام الإعدام لمن خانوا البلد وتخابروا عليها وباعوا أسرارها الخطيرة.. وكانوا على وشك التفريط فى أرضها لصالح المخطط الأمريكى الصهيونى للمنطقة.

أمريكا حاولت ومازالت تصدر للدنيا صورة «البطل» الخرافى مرة على هيئة «جيمس بوند» وأخرى فى صورة «رامبو» وثالثة

على هيئة «آرنولد شوارزنجر».. ثم فى صور خرافية أو وحش مذهل يهبط على أمريكا نفسها ويدمرها تدميرًا.. أو كائنات فضائية تهاجمها بشراسة وتفسير ذلك أن أمريكا تقول إن من يريد أن يكسرها وينتصر عليها لابد أن يكون استثنائيًا فى كل شىء.. ولجعلها أوهاماً تقوم بتصديرها إلى العالم وصدقها الغالبية حتى بدأت الصورة مؤخرًا تهتز واكتشفت الغالبية أن هذه الدولة منتفخة بالأكاذيب والأوهام.. ولأن الأمريكان يفتقدون إلى تاريخ طويل يخصهم تبنوا تاريخ بنى إسرائيل القديم لتعويض هذا النقص وفى كتاب «الشعب المختار.. الأسطورة التى شكلت إنجلترا وأمريكا» للكاتب كليفورد لونجلى.. نكتشف أن رؤساء أمريكا الأوائل جيفرسون وبنيامين فرانكلين وجورج واشنطن وتوماس بين.. كانوا جميعًا موحدين أى من الذين يؤمنون بالرب وحده دون الوحى والأنبياء ولم يكونوا مسيحيين ومع ذلك عاشوا فى الضلال على أنهم دولة الرب وأن شعبهم مختار فهل يعقل أن دولة هذه هى أيضًا صاحبة الثقافة الفارغة كما جاء فى الكتاب الأسود عنها.. حيث تستخدم كل السبل لفرض الهيمنة على العالم من جواسيس وأسلحة ونجوم السينما والهامبورجر والبيبسى والكوكاكولا والأزياء وملكات الجمال.. والبرامج التى تهاجم الدولة ورموزها وأبرزها الشركة اليهودية التى كانت تنتج برنامج باسم يوسف أو الدكتور مسخرة ثم بعد ذلك أبلة رذيلة أو فاهيتا.

وفى إطار الأكاذيب التى صنعتها أمريكا وصدقتها وعاشت فيها وهى مغمضة العينين قال رئيسها «ويلسون»: إن أمريكا

جزء لا يتجزأ من أمن جميع البشرية.. ولذلك اعتبروا أن البيت الأبيض هو كعبة الخير فى العالم وما عداه منبع الشر.. رغم أن الشيطان سيعترف يوم الحساب بأنه أخطأ وضل السبيل.. لكن أمريكا لن تعترف.. إلا بعد سقوطها ومن قادم بلا شك وإن طال الأجل وتلك الأيام نداولها بين الناس، ومنذ ثمانى سنوات تقريبًا أصدر كاتب هذه السطور كتابه «شهادة وفاة دولة.. باى باى أمريكا» وتنبأ فيه بسقوط أمريكا كما سقطت إنجلترا وفرنسا والفرس والرومان.. لأن كيد الشيطان كان وسيظل ضعيفًا وإن بدا فى قواه العظمى!!

رجب باشا..
وعمه بيريز!

تسـأل نفسك ويسـأل الناس: كيف لتـركيـا المسلمـة أو عاصمة الخـلافة كما كانت قديماً أن تتحول إلى سكين فى ظهر مـصـر الأزهر الشـريف.. وكـيف تصـدق أن «أردوغـان» الذى اكتسب شـعـبيـة من مـوقفـه الواضـح تجـاه «بيـريز» رئيس الوزراء الإسـرائيلى فى مـؤتمر دافوس ٢٠٠٩ ثم نكتشف أن المشـهد مـجرد لعبة.. من رئيس وزراء لدولة هى عـضـو فى حلف الناتو وبالتـالى فـإن عـلاقـتـه بأمـريكا هـى أزليـة وقـواعـده تنطلق منهـا الطائرات لضـرب العراق وسـوريا.. والوجود فى مناطق العمليات هنا وهناك.. ثم مـاذا تنتظر من حليف أمـريكا فى العلن إلا أن يكون حليفاً لإسرائيل فى السـر والعلن مهما رأينا على المسرح من مشاهد تقول بغير ذلك.

ومن يريد أن يعـرف أردوغـان.. يجب أن يعـرف بعض الأسـمـاء البـارزة فى حـيـاته وأولهـا أسـتـاذه «أربكان» مـؤسس الإسـلام

السياسى فى تركيا و«فتح الله كولن» مؤسس الإسلام الاجتماعى أو هكذا يقال.. ثم أقرب أصدقاء رحلة «رجب» «عبدالله جول» و«أحمد داود أوغلو» انقلب «أردوغان» على سياسة أستاذه «أربكان» وانتهز حل حزبه «الرفاة» وأسس على أنقاضه حزب «العدالة والتنمية».. واستفاد من تجربته.. ويبدو أن تجربة رجب فى الشارع كبائع بطيخ ثم بائع «سميط» حتى دخل إلى العمل السياسى كعمدة لمدينة أسطنبول «رئيس حى» وعرف كيف تؤكل الكتف فقد أعلن أنه مع الدستور العلمانى الذى وضعه أتاتورك رغم توجهه الإسلامى.. واستفاد من تجربة السجن التى تعرض لها لمدة ١٠ أشهر عندما استخدم أبياتاً من الشعر ضد سياسة الدولة قال فيها: «مساجدنا ثكناتنا وقبابنا خوذنتا ومآذننا حرابنا والمصلون جنودنا وهذا الجيش المقدس يحرس ديننا» رجب الذى مارس كرة القدم فى نادى قاسم باشا وبدأ تعليمه فى المدارس الإسلامية «إمام الخطيب» ثم أكمل تعليمه فى كلية الاقتصاد والعلوم الإدارية عرف أن شعبيته فى الشارع مرتبطة بما ينجزه وليس بما يقوله ونجح بالفعل فى تحويل إسطنبول من مدينة للقاذورات والقمامة.. إلى مدينة حديثة ونظيفة.. وكانت هذه هى الورقة التى لعب بها لكى يصعد بها .. ولأن سجنه كان يعطله ويمنعه من العمل السياسى استعان بصديقه عبدالله جول كمحلل حتى تم شطب الجناية من ملفه.

أدرك «رجب» أن أستاذه أربكان كان متحمساً لإسلامه قبل سياسته فقرر أن تكون سياسته قبل إسلامه.. والغاية عنده

تبرر الوسيلة وهو منطق إخوانى راسخ.. وعندما استمر رئيساً للوزراء تمكن من مفاصل الدولة وأبعد الجيش عن طريقه.. واستخدم زميله المحلل عبدالله جول فى الرئاسة حتى يسلمها إليه كما جرى بعد ذلك.. ولما أدى جول دوره أبعده كما أبعد زميله الآخر ومهندس سياسته أحمد داود أوغلو الذى كان وزيراً للخارجية ثم رئيساً للوزارء حتى تم إبعاده هو الآخر.. ولم يكن غريباً أن ينقلب على أحد أساتذته وهو المصلح «فتح الله كولن» الذى كان اتجاهه أن تغيير العقول يبدأ من المدارس.. تأسس عن طريق مجموعة من رجال الأعمال أكثر من ٥٠٠ مدرسة داخل تركيا وخارجها يعلمون فيها التلاميذ أصول الدين والدنيا .. ولا يلعبون فى السياسة بشكل مباشر وهو الاتجاه الذى أعجب أمريكا حتى استقر الرجل هناك بشكل شبه دائم بحجة أنه مضطر لذلك لأسباب صحية ليس أكثر.. ونظريته يجب أن نجمع الأتراك حول العالم نحو هدف واحد عنوانه «النظام الإسلامى العالمى الجديد» و«كولن» يسهم ماديا فى تمويل حزب «العدالة والتنمية».. لذلك يخشى رجب من سطوة «كولن» على حزبه ومساره رغم أنه يعيش بعيداً فى بنسلفانيا وتحت الرعاية الأمريكية.. وهنا لابد من الوقوف أمام ما جاء على لسان المفكر السياسى التركى «بورتيجينى» الذى يعترف فى بحث مطول له بأن الربيع العربى صناعة تركية بالكامل حيث إن «يهود الدونمة» يخترقون المؤسسات التركية وقد استخدموا الأسلوب نفسه قديماً فى إسقاط الخلافة العثمانية ومساعدة أتاتورك فى الوصول إلى حكم البلاد

وطمس وإلغاء كل ما هو إسلامى وعربى بما فى ذلك القرآن الكريم الذى تمت ترجمته إلى التركية وكانت هناك عقوبة تنتظر من يتلوه بلغته العربية.. وما بين تركيا التى تمسح الإسلام من فوق الخريطة ـ وتركيا التى تتدعى بأنها تقود أمة الإسلام.. فتش عن السياسة والمصالح.. وقد قال «بورتيجينى» إن أردوغان مجرد لعبة فى يد المتنورين اليهود وهم أيضاً يسيطرون على حركة كولن ويقومون بتمويلها من تحت لتحت.. ولاحظ أن «العدالة» موجودة فى معظم أسماء الأحزاب الإخوانية.. فى العالم العربى وأهمها حزب «العدالة والتنمية» فى مصر.. وقالت الوثائق إن كولن يعمل لحساب وكالة المخابرات الأمريكية وهو يتستر بالدين لكى تكون له سطوته الاقتصادية الكبيرة ولا بأس من تجارة الهيروين حيث إن ثروة كولن بلغت ٢٥ مليار دولار ولذلك أسرع بشراء صحف ومجلات وقنوات تليفزيونية ومستشفيات على أعلى مستوى وأنا زرت بعض هذه المؤسسات فى تركيا.

بما فى ذلك البيت المتواضع الفقير الذى كان يسكنه «كولن» بالقرب من الحدود مع بلغاريا.. وسوف يظهر اسم «جراهام فولن» النائب الأسبق لرئيس مجلس الاستخبارات الأمريكية وهو همزة الوصل معه.. وهو أيضاً مؤلف كتاب «عالم بلا إسلام».. وهو أيضاً الذى كتب خطاب «أوباما» الشهير فى جامعة القاهرة ٢٠٠٩ عندما جاء يرتدى ثياب الحمل الوديع ويلقى علينا التحية باللغة العربية.. وكان أيضاً الكوبرى المضمون بين الإخوان والبيت الأبيض.. فهل تجد بعد ذلك غرابة أن يقول

«أربكان» عن تلميذه «رجب» إنه يستخدم الصهيونية العالمية التى تتحكم فى أغلب وسائل الإعلام فى بلاده لصالح طموحاته السياسية وهى مقيدة باعترافه وخدمته لقيام دولة إسرائيل الكبرى بعد إعادة تقسيم منطقة الشرق الأوسط على أن يكون هو خليفة المسلمين تحت الراية الأمريكية.. ثم يسلطونه بعد ذلك لكى يصطدم بمحور الإسلام الشيعى الذى تقوده «إيران» وبذلك يأكل الإسلام بعضه لحساب الصهاينة والأمريكان وبأيدى أهله.. وختاماً قال «أربكان» عن «رجب» إنه عميل أمريكى.. ولا بأس فى ذلك أن يتصالح مع الأرمن.. ويعتذر لليونان ويهادن الأكراد.. ولو إلى حين بدليل أنه انقلب على أقرب المقربين من حوله.. وقد داس على رءوسهم واحداً بعد الآخر.. وضحك على العالم الإسلامى الذى اعتبره بطلاً.. هو نفسه مهندس الصفقات بين حماس وإسرائيل.. ومع ذلك تم تتويجه بجائزة الملك فيصل وثانية من معمر القذافى وثالثة من منظمات حقوق الإنسان.. وهو الذى تحول إلى وحش أعمى.. لكل من يقف فى طريقه من خصومه السياسيين أو الصحفيين.

وفى كتابه «الدين والدولة فى تركيا.. صراع الإسلام والعلمانية» يهلل الدكتور كمال السعيد حبيب.. لتجربة عودة الإسلام إلى تركيا العلمانية ويحصل بذلك على درجة الدكتوراه عام ١٩٩٧ .. وكل مسلم يسعده ولا شك أن تعود تركيا إلى سابق عهدها الإسلامى بعد أن كانت مواخير الدعارة فيها أكثر عدداً من مساجد ضخمة لا يدخلها سوى الفقراء وكبار السن.. وقد رأيت ذلك بنفسى عام ١٩٧٧ وأسعدنى بالطبع فى عام

٢٠١٠ أن أرى شمس الإسلام تشرق فى تركيا مجدداً.. لكن عندما تعرف بأنها مجرد لعبة سياسية مدفوعة الأجر من الأمريكان وأجهزة مخابرات عديدة تلعب لصالح الصهاينة مهما تجملت وكذبت بغير ذلك.. ولعل أميز ما فى هذا الربيع العربى التعيس أنه كشف لنا الكثير من الأقنعة والوجوه المزيفة.. وبلغة السينما أعود بك إلى الخلف عدة سنوات عندما ظهرت امرأة أمريكية تدعى أمينة من أصول آسيوية وهى تتقدم الصفوف لمجموعة من المصلين والمصليات فى مسجد أمريكانى بحيث تتجاور المرأة مكشوفة الرأس بجوار الرجل.. وأمينة هى الإمام وأجهزة الإعلام الأمريكية تصور الحدث وتنقله للعالم على أنه موديل لإسلام أمريكى يريدون نشره.. يختلط فيه الحابل بالنابل.. فهل يمكن أن يأخذنا الحماس للإسلام إلى هدمه دون أن نشعر وفى ذلك نكتة لا بأس منها.. فقد تنافس اثنان من أهلنا فى بناء مسجدين.. ولاحظ الأول أن الإقبال على مسجد زميله أشد فما كان منه إلا أن وقف أمام باب مسجده يهتف: من غير وضوء.. من غير وضوء.. قرب قرب!!

ولم تتوقف أفعال أمريكا السافلة عند أمينة بل قدمت إماما ينتمى إلى بلد عربى وقالت إنه يفخر بكونه من الشواذ!! وكلها بالونات اختبار هدفها هز صورة الإسلام والمسلمين وأمامك بعد ذلك القنوات التى تطلع من تركيا.. والدموع التى سكبها «أردوغان» حزنا على سقوط الإخوان وفشل مشروعه المزعوم بوضع عمامة السلطان العثمانى على رأسه.. ناسياً أن هزيمة الخلافة فيما مضى خرجت من إسطنبول نفسها من خلال

الجمعيات السرية التى أطاحت بعبد الحميد الثانى وجاءت بأتاتورك.

القنوات التى تخرج من تركيا بفلوس قطرية.. لأهداف أمريكية، ولعب التنظيم الدولى لاخوان الشياطين دوره ولا يزال وله قصة سوف يتم سردها بالتفصيل.

ولأن ما جرى فى ٣٠ يونيو أوجع قلب «رجب» وحطم أحلامه وخرج يتطاول على مصر الأزهر.. وبلغت السفالة مداها بهجومه على شيخ الأزهر الشريف.. وها هى تركيا التى ظنت أنها امتلكت زمام الأمر والنهى فى المنطقة وأنها ستدخل جنة رضوان من أوسع أبوابها بضمان «أوباما» رضى الله عنه.

وها هو أردوغان يمارس ضلاله رغم أبواب العداوة التى انفتحت عليه من القريب والبعيد وقد انفض الأصدقاء من حوله.. وعاد الأكراد يبحثون عن حل ويهاجمونه رغبة فى الاستقلال وفتح الأرمن ملفهم مرة أخرى.. وانتفضت اليونان ضد تصرفات الباشا.. وقامت الأحزاب الأخرى ضد سياسة رجب وقمعه للحريات ورغباته المحمومة لتغيير الدستور لصالحه.. وإفساده للعلاقات مع أغلب الدول العربية وأهمها مصر.. وقد أثبتت الأيام أن «المتغطى » بالأمريكان «عريان»!

الدويلة..
المفضوحة!

لابد من دراسة تاريخ كل دولة جيدًا لتعرف تاريخها الذى يدل عليها.. وبما أننا قلنا فى سياق هذه الحلقات أن أضلاع مثلث الشر هم أمريكا وهى رأس الفتنة مع تركيا وقطر أبرز أفراد العصابة التى تضم أيضًا بعض الدلاديل أو الأعوان وإن اختلفت الأدوار والمسافات حسب السيناريو الأمريكى المكتوب.. ويعز علينا أن نصنف دولة قطر العربية على أنها دولة مارقة.. ووصفت بأنها مريضة نفسيًا ترى حجمها أكبر من المعتاد ويدهشك أن تصرف أموال بترولها فى الغدر والتآمر.

ولا تضحك إذا قلت لك إنى عرفت باسم قطر لأول مرة من مجلة «الدوحة» التى كان يشرف عليها الكاتب المصرى الكبير رجاء النقاش.. ثم حانت الفرصة بعدها لكى أرى الدولة وجهًا لوجه فى عام ١٩٨٦.. حيث ذهبت مديرًا لتحرير «جريدة الشروق»

وكان اسمها من قبل «الخليج اليوم».. ورأيت شعبًا بسيطًا يحب مصر وأهلها.. وكنت أضحك مع فنان كوميدى كبير درس فى مصر وأقول له إن أحد الخليجيين كان مسافرًا من السعودية إلى البحرين «وقطر» على باله أن يجلس ليستريح وتجمع حوله بعض المسافرين ومن هنا ظهرت «قطر» وكانت نكتة يتقبلها الأحبة هناك بكل سرور.. وأدهشنى النجم الكوميدى الكبير عندما حدثنى عن السلام الوطنى بإيقاعه الشعبى السريع وقال إن أمير البلاد بعد تأسيسها سأل عن الأشياء المطلوبة فقالوا إن كله تمام باستثناء السلام وأخبره مستشار أن أفضل مكان يمكن الحصول منه على النشيد هو مصر.. واختاروا أحدهم لهذه المهمة وطلب مليون دولار لأنه سيحاول إقناع موسيقار مصرى كبير.. ونزل وأنفق المبلغ على نزواته على أساس أن اللحن يحتاج إلى وقت لأنه مش لعبة.. وتبقى معه مائة دولار فقط وأخذ يبكى لأن الأمير لن يرحمه وأشفق رجل غلبان.. اصطحبه إلى شارع محمد على وهناك قدم عشرين دولارًا لأحد الآلاتية وقدم له النشيد وعاد به إلى قطر.

فهل ما حكيته من باب الهزل يختلف عن الجد الذى جاء فى كتاب زميلى الكاتب الصحفى الباحث عاصم بسيونى «حكام قطر.. أسرار وفضائح وأوهام».. ستحكم بنفسك.. وكتب التاريخ لم تعرف «قطر» باسمها الحالى إلا فى القرن الخامس عشر عندما استولى البرتغاليون عليها.. لكن التاريخ الحقيقى يبدأ فى القرن الثامن عشر وقد أصبحت محمية عثمانية فى عام ١٨٧١ ثم دخلت بريطانيا على الخط حتى قررت سحب

قواتها من جميع المناطق شرق السويس.. واتفقت تسع إمارات على توحدها .. لكن انسحبت قطر والبحرين وظلت الإمارات الباقية لكى تشكل الدولة المتحدة.. وعلى يد الشيخ عبدالله بن قاسم آل ثانى عام ١٩٧١ ظهرت قطر المستقلة لأول مرة.. ثم دخلت بعد ذلك فى سلسلة من الصراعات بين العائلة المالكة وجرائم إبعادهم لبعضهم البعض تصل أحيانًا إلى درجة القتل وليس الانقلاب والإبعاد فقط فقد قتل قاسم أخاه أحمد.. ثم انقلب الشيخ خليفة على أخيه أحمد وانفرد بالحكم وجاء الابن حمد واستغل سفر الأب وجلس على رأس السلطة بدلاً منه ثم تدخلت الشيخة موزة لكى تزيح زوجها وتقدم الإمارة لابنها تميم.. وموزة ليست الزوجة الأولى لحمد.. وقد تزوجها فى صفقة قد كان والدها ناصر المسند زعيم المعارضين الذى كان منفيًا فى الكويت بعد سجنه لفترة.. ومن هنا.. كشرت موزة عن أنيابها وأصبحت سيدة القصر ولعب حمد بن جاسم الذى كان وزيرًا للخارجية فى عهد حمد الأمير دور محمود المليجى وعراب الصفقات مع إسرائيل.. وأنا شخصيًا سألته ذات مرة فى الدوحة لماذا أسرعتم إلى إسرائيل بكل هذا الشوق فقال بلغة لئيمة: نحن دولة صغيرة قلتم لنا إن إسرائيل هى الشيطان وقلنا آمين ثم عدتم وقلتم إن إسرائيل دولة بيننا وبينها معاهدة سلام قلنا سلامات.. فلماذا تحللونه لأنفسكم فى مصر وتحرمونه علينا فى قطر؟ وكانت الاتفاقية نفعل كل ما تطلبه أمريكا وكل ما تريده إسرائيل مقابل حماية النظام الحاكم فى الدوحة وكانت

قطر أول دولة تجهز قاعدة عسكرية من مجاميعه ثم تقول لأمريكا: «وحياة النبى تيجى تحتلينا.. نبوس إيدك».. وهكذا انفتحوا و«انفشخوا» على إسرائيل.. وفى كتاب «قطر الشريرة الصغيرة» يقول المؤلفان: «نيكولابو وجاك مايى بورجيه»: إن الأمير السابق حمد الصديق الصدوق لإسرائيل وجه اهتمامه نحو حركة حماس بمساعدة أصدقائه الأتراك بهدف تغيير الحركة من فكرها لكى تتخلى عن كفاحها المسلح وتعترف بإسرائيل وأن تتخذ عمان الأردنية مقرًا لها بعد عزل الملك عبدالله وإرساء جمهورية على النمط الإسلامى يرأسها خالد مشعل وأن يتم منح إسرائيل الضفة الغربية ويعيش الفلسطينيون على الضفة الشرقية من نهر الأردن.. وفات على مؤلفى هذا الكتاب ما تم تدبيره مع المعزول مرسى.. لكى تصبح سيناء ولاية إسلامية تابعة لفلسطين ولعبت قناة الجزيرة دورًا بارزًا لكى تلبس قطر ثوبًا أوسع منها كأنها البالون المنتفخ.. وهناك كتاب آخر فرنسى بعنوان «قطر أسرار الخزينة» يكشف عمليات الإسراف والسفه والتبذير لأموال البترول والغاز لحكماء قطر بخلاف الفضائح الجنسية فى ملاهى أوروبا، ولأن قطر مهما تحصنت بالمال والإعلام والأمريكان ليست بعيدة عن مرمى النيران فقد تشكلت حركة معارضة باسم تمرد قطر انطلقت من القاهرة بقيادة خالد السهيل وأعلنت أن تحت يدها ٩ آلاف وثيقة فساد للأسر الحاكمة.. منها قصة أميرة كانت تجند الشبان فى الحركات الإرهابية.. بأساليب جنسية ومالية.

قصة الجزيرة

لأنها قناة بدأت لمساندة الابن الذى انقلب على أبيه عام ١٩٩٥.. وانطلقت الفكرة أول نوفمبر ١٩٩٦ وخصصوا لها قطعة أرض كانت جراجًا للسيارات.. وبدأت من غرفة عندما زارها حسنى مبارك ذات مرة قال لهم مندهشًا، هل هذه هى علبة الكبريت التى أشعلت الحرائق فى الدنيا كلها.. واعتمدت الجزيرة على مذيعى وخبرات BBC البريطانية.. ولكنها لم تحقق شهرتها الدولية إلا بعد عام ٢٠٠١.. وغاب العنصر القطرى لأن الفلوس هى الأساس.. وانتشرت شبكات المراسلين فى أنحاء العالم واستفادت من دعم المخابرات الأمريكية.. ولعبت على أنها مع الفلسطينيين وسمحت للإسرائيليين بالإعلان عن مبررات جرائمهم تحت شعار «الرأى والرأى الآخر».. وسافر يسرى فودة إلى معقل الجماعات الإرهابية فى أفغانستان وباكستان وتوغل بينهم.

وكانت المخابرات الأمريكية هى المستفيدة من اللعبة.. وهى التى حركت ما يسمى بثورات الربيع العربى.. وقبلها التمهيد لضرب العراق باحتضان أذناب ما يسمى بالمعارضة من الغرفة المكيفة وبالدولارات من استوديوهات الدوحة يحركون الناس للموت عن بعد.. وتساعدهم المشاهد المفبركة للدم لكى تشتعل الحرائق.. واسأل نفسك لماذا وجدت الجزيرة دون غيرها فى أكثر مناطق العالم اشتعالاً ؟.. ودفع أمير قطر ١٥٠ مليون دولار لتأسيس الجزيرة ثم استمر فى دعمها بـ ٣٠ مليون دولار قبل أن تحقق

عائدًا من إعلاناتها وإن استمر الدعم بأساليب متنوعة بدليل أن قنوات الجزيرة تعددت وزادت وبعضها لا يعتمد على الإعلان نهائيًا مثل الجزيرة الوثائقية.

والدعم لا يتوقف فقط على المال.. لكن بتسريب الأخبار المهمة.. واحتضان فعاليات خاصة مثل المؤتمر الذى عقد فى الدوحة عام ٢٠٠٦ بعنوان «منتدى المستقبل» بحضور الرئيس الأمريكى كلينتون مع كونداليزا رايس وفى هذا المؤتمر خرج الدكتور عبدالعزيز الدخيل الخبير الاقتصادى السعودى المعروف غاضبًا من المؤتمر وهو يقول: إن المؤتمر هو مؤامرة من المخابرات الأمريكية لإشعال النيران فى العواصم العربية وأهم ما فيه مشروع مستقبل التغيير فى العالم العربى.. وطبعا هذا التغيير شمل تونس والعراق وليبيا واليمن ومصر قبلها السودان.. وطبعا الربيع العربى المزعوم لم يشمل قطر باعتبارها محمية أمريكية وواحة الديمقراطية وبالتالى كانت الخطوط مفتوحة وإنما بين الدوحة وإخوان المقطم حيث يجلس المرشد العام وكشف الإخوانى عصام العريان أن زميله الإخوانى عبدالرحمن منصور هو مؤسس صفحة «كلناخالد سعيد» بينما أشرف عليها فنياً «وائل غنيم» مسئول جوجل فى الشرق الأوسط وكلنا يعرف فيلمه الهابط مع منى الشاذلى عندما اصطحبه حسام البدراوى من محبسه الذى قيل إنه تحت الأرض فى أمن الدولة.

وفى مشروع النهضة الإخوانى كانت «أكاديمية التغيير» فى قطر حاضرة وقاموا بتدريب العديد من الشباب عن طريق مؤسسة «شيفت» ومقرها مدينة نصر ومؤسسة تنمية للدراسات والاستشارات وكانوا يدربون الأطفال من ١٢ إلى ١٥ سنة ولاحظ أن أغلب هؤلاء الحاقدين دائماً فى مشهد حريق المجمع العلمى وعند الفنادق الكبرى وهم عرايا طوال الليل يخربون ويضربون والجزيرة تبث ما تريد عبر الهواء مباشرة وتخفى ما تريد وقد اعترفت «لونا الشبلى» المذيعة السورية التى كانت تعمل فى الجزيرة على الهواء.. بأنها اكتشفت خداع القناة التى تنتمى إليها وأن أسلوب إشعال الثورة فى مصر وليبيا وهو ما يحدث فى بلدها سوريا وأعلنت استقالتها أمام الملايين وانسحبت.. لكى تكشف فى تليفزيون دمشق بالتفصيل أكاذيب الجزيرة.. وقد عشتها بنفسى بعد ذلك من شرفة منزلى فى حلوان بآخر أدوار العمارة حيث كانت مظاهرة إخوانية تمر ورأيتها على الهواء مباشرة ثم وجدت جانباً من نفس المظاهرة تعرضه الجزيرة على أنه من منطقة أخرى تابعة لحلوان وقد قسموا الشاشة إلى نوافذ أربع لكى تعطى الانطباع بأن المظاهرات تجتاح الأماكن كلها.. وفى ذلك فبركة بعض المشاهد لمقتول سالت دماؤه وهو يهز ساقه.. وقد تسربت إلى موقع ويكيليكس بعض الوثائق التى تؤكد أن اجتماعا جرى بين حمد بن جاسم وزير الخارجية السابق ومسئول إسرائيلى واعترف فيه حمد بأن الدوحة تتبنى خطة لضرب استقرار مصر بعنف وأن قناة الجزيرة سيكون لها دورها الأول والبارز فى إحداث

الفـوضى فى الشـارع المصـرى بعـد خلـع المعـزول مـرسى وعصابته وأعوانهم الذين لم يعجبهم أن تعود مصر إلى أهلها مرفوعة الرأس والكرامة.. وتفسد عليهم بعد ٣٠ يونيو المخطط الأمريكى الصهيونى لإعادة تقسيم الدول العربية وكانت مصر بالنسبة لهم «الجائزة الكبرى» ورد الله كيدهم فى نحورهم.

والعجيب أن الجزيرة رغم انكشاف أمرها لاتزال فى عنادها وتغنى على طريقة «توفيق الدقن» أحلى من الشرف مفيش وهى أبعد ما تكون عنه فالكل يعرف أنها «مفضوحة»!

وجاء مولاهم
«كيرى» بالتعليمات

اقترب منهم عبدالناصر وعرف حقيقة أمرهم مبكراً وقال إنهم لا يعرفون إلا مصلحتهم فقط ومن أجلها يفعلون المستحيل وهم يتسترون باسم الدين.. وأخرجهم السادات من جحورهم.. فأدخلوه إلى قبره شهيداً.. ولاعبهم حسنى مبارك ولاعبوه.

وظلوا يتربصون بعد ٢٥ يناير حتى إذا وقعت الواقعة وقضى الأمر خرجوا للسيطرة على الصورة.. وأقسموا بأغلظ الأيمان أن كرسى الرئاسة ليس فى حساباتهم لا من قريب ولا من بعيد لكن وصول «جون كيرى» وزير الخارجية الأمريكى الحالى وكان وقتها رئيس لجنة العلاقات الخارجية لمجلس الشيوخ.. جاء كيرى فى ليلة العاشر من ديسمبر ٢٠١١ واجتمع بقيادات الإخوان وعلى الفور تغيرت حساباتهم.. قال لهم السيناتور إن ترشيح السلفيين لرئيس أمر وارد وعندهم قاعدة شعبية تنافسهم وفوزه محتمل إلى حد كبير.. وهذا ما لا ترضاه أمريكا وكان الإخوان يخططون لترشيح

رئيس صورى من خارج الجماعة يحركونه من وراء ستار واختاروا رجلا له احترامه وهو منصور حسن ولكنه رفض أن ينزلق إلى هذا المستوى وأن يكون بمثابة «الزوج العازب» وابتعد بشكل قاطع وكان خيرت الشاطر يتأهب لأن يكون هو الرئيس الفعلى أو رجل القصر وانسحب الجنتلمان منصور حسن من المشهد السياسى غير آسف ولا نادم لأنه لا يعرف اللف والدوران.

وحكاية اتصال الأمريكان بالإخوان حدوتة قديمة بدأت عام ١٩٤٨ بين حسن البنا زعيم الإخوان والدبلوماسى الشاب «هيرمان ايلتست» الذى أصبح فيما بعد سفيراً لأمريكا فى مصر عام ١٩٧٤ كانت أمريكا فى هذا الوقت ترى فى الإسلام السياسى حائطاً للصد ضد الشيوعية بنفس المنطق صنعوا أسامة بن لادن ودفعوا به إلى أفغانستان لمحاربة روسيا وفى سنة ١٩٥٣ التقى سعيد رمضان عضو مكتب الإرشاد وزوج ابنة حسن البنا مع الرئيس إيزنهاور فى البيت الأبيض وسط مجموعة من العلماء والباحثين والناشطين وكانوا من المشاركين فى مؤتمر حاشد نظمته جامعة بريستون بولاية نيوجيرسى وجمعت صورة تذكارية بين إيزنهاور «٦٣ عاما» وسعيد رمضان «٢٧ عاما» وكان ذلك بناء على نصيحة السفير «كامزى» بالقاهرة الذى قال له فى رسالة خاصة.

إن الإخوان المسلمين فى مصر وحلفاءهم فى جماعة الاسلام بباكستان يمكن أن يكونوا حلفاء جيدين ضد الشيوعية وضد القومية العربية ووصف السفير الأمريكى زوج ابنة البنا بأنه كتلة من النشاط

فى جمع العواصم وهذا ما سنحكى عنه تفصيلاً عن قصة التنظيم الدولى للإخوان.. وكم من مرة فكر الأمريكان والصهاينة فى عبدالناصر وأن يحل الإخوان محله.. وقد افرد الكاتب الأمريكى «روبرت باير» فى كتابه «الندم مع الشيطان» تفاصيل تعاون المخابرات الأمريكية والبريطانية مع الإخوان ضد عبدالناصر وجرت معهم اجتماعات فى جنيف بعد تأميم قناة السويس عام ١٩٥٦ للتخطيط معًا فى الانقلاب ضد جمال.. وحاول إنشاء حلف إسلامى لضرب القومية العربية ولأن السادات كان يكره الشيوعية والاتحاد السوفييتى.. فكر على الطريقة الأمريكية فى استخدام ورقة الإخوان لمواجهة اليسار والاتجاه الناصرى.

ومع ذلك ستجد أن فيلسوف الإخوان سيد قطب وصف الأمريكان بأنهم يمثلون الجاهلية الحيوانية وكان قد زار أمريكا وقضى بها وقتا طويلا وهنا يصف الكاتب عبدالعظيم حماد فى كتابه «الوحى الأمريكى».. إن الاتجاه الأمريكى الصهيونى.. والاتجاه الأمريكى الإسلامى.. متوازيان كتبا عليهما أن يلتقيا فى نقطة واحدة عنوانها المصلحة المشتركة أو الارتباط البناء أو الفعال ونقفز معه إلى يوم ٢٤ يونيو ٢٠٠٧ أى قبل أربعة أيام فقط من قرار الوزيرة كونداليزا رايس بالترخيص للدبلوماسيين الأمريكان بالاتصال بجماعة الإخوان المسلمين تأسس الائتلاف الإخوانى الكبير فى أمريكا وهو تجمع يضم كل فروع الجماعة فى أنحاء أمريكا سواء بحثية أو خيرية أو دينية أو سياسية تحت مظلة واحدة اطلقوا عليها اسم «المسلمون الأمريكان للارتباط البناء».. وقيل وقتها إن هدف هذا التجمع الجديد مكافحة الإرهاب الدولى... تصور!

أهلاً بالمعتدلين

فى يوليو ٢٠٠٧ نظمت مجلة «نيوزويك» بالتعاون مع صحيفة «واشنطن تايمز» منتدى للمعتدلين الإسلاميين لمدة أسبوع وهنا يجب أن تأخذ فكرة عن أبرز الشخصيات التى حضرت هذا المنتدى:

● رجل الدين الشيعى اللبنانى محمد حسين فضل الله الزعيم الإخوانى الأمريكى من أصل باكستانى ومزمل صديقى السفير الألمانى الأسبق فى المغرب المسلم «مراد هوفمان» وهو مقرب جدا من الإخوان الدكتور طه جابر الحلوانى من المفكرين المصريين المقربين من الجماعة الشيخ راشد الغنوشى مؤسس وزعيم حركة النهضة التونسية الدكتور طارق رمضان الأستاذ بالجامعات السويسرية والإنجليزية وحفيد حسن البنا وابن الدكتور سعيد رمضان أحد كبار مؤسس التنظيم الدولى للإخوان.

قبلها نصحوا مهدى عاكف المرشد العام للإخوان بأن يخفف من اندفاعاته اللفظية خصوصًا فى حديثه عن خطط الهيمنة الأمريكية على المنطقة.. وجاء المفكر «مارك لينش» والتقى عاكف فى زيارة استمرت أربعة أيام وتوجه عاكف بالشكر إلى البروفيسور لينش.. وبعدها غادر عاكف موقعه لأنه لا يصلح لرحلة الشراكة الكاملة مع أمريكا.. وكان الدكتور محمد حبيب هو البديل الأقرب لمقعد المرشد لكن المنصب ذهب إلى محمد بديع.. بدعم من خيرت الشاطر الرجل الأقوى داخل الجماعة..

وتوسعت دائرة الاتصالات ورأينا فتاة محجبة يتم اختيارها مستشارة لأوباما وكانت هى داليا مجاهد الإخوانية وصدرت دراسة للدكتورة «شريفة زهور» أستاذ الدراسات الإقليمية بمعهد الدراسات الاستراتيجية التابع لكلية الحرب العليا التابعة بدورها للجيش الأمريكى وجاء فى الدراسة توصية بالنظر إلى منظمة حماس على أنها حركة معتدلة باعتبارها فرعا للإخوان المسلمين ونصحت «زهور» بالتواصل مع حماس والمسألة إذا كان على رأسها فلا بأس أن تجد فيها بريطانيا وألمانيا وفرنسا وسرعان ما أسس «تونى بلير» رئيس وزراء بريطانيا الأسبق مؤسسة «الإيمان» عام ٢٠٠٧ وضمت فى إدارتها إسماعيل الشطى الإخوانى الكويتى ومصطفى سيريتش البوسنى وهو إخوانى أيضا وضمت أيضا رجال دين يهوداً ومسيحيين وفى ألمانيا ظهر اسم الدكتور عصام الحداد الذى أصبح مساعدا لرئيس الجمهورية للسياسة الخارجية فى عهد محمد مرسى وبعد ثلاثة أيام من ثورة ٢٥ يناير أو ربيع أمريكا المشئوم خرج إدوار جيبس المتحدث باسم البيت الأبيض لكى يعلن أن الإخوان عليهم نبذ العنف والانخراط فى النظام الديمقراطى وسرعان ما جاءت الإجابة من المرشد العام «حاضر ياماما».. والمقصود طبعا ماما أمريكا التى اشترطت على المرشد ورجاله غسل أيديهم وأرجلهم قبل مبارك وبعده.. لكنها لم تطلب منهم غسل ضمائرهم.

وكونوا حزبهم بعد التعديلات الدستورية التى أجراها المستشار طارق البشرى ومعه الإخوانى صبحى صالح وأول رسالة بعث

بها محمد مرسى بعد اختياره رئيسا لحزب العدالة والتنمية الاتصال بالأمريكان حيث دعا الكونجرس إلى عقد جلسة استماع للإخوان بدلا من الاستماع عنهم وقال لقناة الجزيرة: إن مخاوف الكونجرس من الإخوان ليس لها ما يبررها.. وسرعان ما أعلن «ويليام تايلور» المنسق الخاص للتحول فى الشرق الأوسط: إن الولايات المتحدة الأمريكية سوف تشعر بالرضا إذا فاز الإخوان فى الانتخابات المقبلة.. وتايلور هذا هو نائب رئيس معهد الولايات المتحدة للسلام.. يا سلام ومرتبط بعلاقة صداقة وثيقة مع «جون سبوزيتو» الأستاذ بجامعة جورج تاون والعضو الناشط فى معهد الفكر الإسلامى بواشنطن وأحد مهندسى التواصل مع الإخوان وتسربت الأنباء عن لقاء سرى جرعة فى أمريكا بحضور محمد مرسى وعصام العريان.. ولما جرت الانتخابات البرلمانية عام ٢٠١١.. واكتسح الإخوان جاء جون كيرى وبصحبته السفيرة آن باترسون إلى مقر مكتب الإرشاد فى المقطم وهى الليلة التى سماها عبدالعظيم حماد بليلة «الوحى الأمريكى» لأن كيرى طلب من الإخوان المنافسة على مقعد الرئيس وقالوا سمعنا وأطعنا وهكذا تمت الصفقة بعد أن اشترط الأمريكان على الإخوان ألا تهاون فى كل ما يخص المرأة.. ولا تدخل فى الحريات بما فى ذلك الشواذ وألا يكون الدين الذى هو القناع الموضوع على وجوههم وأن يتوقف العداء الإسرائيلى نهائيا لأنه ضد طموحات الأمريكان والصهاينة مهما كان اسمها وشكلها وأهدافها.. وهناك مؤسسة للأبحاث هى «راند» افتتحت لها

فرعا فى «قطر» لكى تتابع عن قرب خط سير الإخوان على الصراط الأمريكى.. وهذه المؤسسة هى التى أكدت أن المستقبل للإخوان فى المنطقة باعتبارهم منظمة عالمية.

وبعد انتخاب مرسى بأيام قليلة كتبت صحيفة جيروزاليم بوست الإسرائيلية الناطقة بالإنجليزية أن الرئيس الأمريكى أوباما التقى سرا عضوين بارزين فى قيادة الإخوان المسلمين وأكدا له التزام الجماعة فى مصر بكل الاتفاقيات مع إسرائيل وما تم كشفه بعد ذلك أن عشرات اللقاءات جرت مع الأمريكان والاسرائيليين خلف الأبواب المغلقة.. وعندما هاجم الصهاينة فى عملية «عمود السحاب» وخرج المرشد بديع يلعن إسرائيل فى العلن.. كان الرئيس مرسى يكلم أوباما ويطمئنه ويستأذنه فى السماح بالفضفضة أمام الجماهير.. لكن الاتفاقيات كما هى وعلى ذلك سمحت أمريكا لمرسى أن يظهر أمام الملايين بأنه البطل الذى أوقف الحرب على غزة.. رغم أن إسرائيل كانت قد اكتفت بهذا القدر وشاركت حماس فى هذا الفيلم الهابط وعلى الخط كانت قطر حاضرة بفلوسها لما يسمى إعادة الإعمار وتركيا بالواسطة والتدبير.. وهى أستاذة فى إظهار العداوة لإسرائيل علنا.. والندم فى أحضانها سراً.

وهل نسينا تصريح عصام العريان بعد أيام حرب غزة هذه والذى دعا فيه اليهود الاسرائيليين من أصل مصرى بالعودة إلى وطنهم الأم ليتركوا أماكنهم للاجئين الفلسطينيين ثم سحب

كلامه وادعى بأنها زلة لسان وهى الحجة المعتادة فى مثل هذه الأحوال.

فهل يدهشك إذا عرفت بأن سيناء كانت معروضة للبيع.. وأيضًا حلايب وشلاتين.. ولولا الملامة لقالوا إن القاهرة سيتم منحها هدية مجانية فوق البيعة نفحة من مولانا المرشد العام باعتبارها بلادنا ميراثه من جده «حسن البنا».

تبرعوا.. لبناء التنظيم الدولى

يسأل البعض: لماذا يدافع الباش أغا، رجب أردوغان بكل هذا الحماس عن الإخوان، وبكى بدمع العين حزناً على ابنة البلتاجى، وتحجر قلبه أمام عشرات الشهداء من زينة شباب البلد فى جيشها وشرطتها، وهم يتساقطون يومياً؟!.. ألم يحركه إسلامه؟!.. ألم تحركه إنسانيته؟!.. أم أنها قاصرة فقط على الإخوان؟!.

وإذا كان الأمر كذلك.. فما هى الأخوة هذه التى جمعت الشامى على المغربى؟!.. وهل التنظيم الدولى للإخوان، الذى نسمع عنه بهذه القوة من المال والتأثير، بحيث تراهن عليه أمريكا؟!.. أن تركبه لكى تسيطر من خلاله على منابع النفط والقوة فى بلادنا العربية، ثم تقوم بتقطيعها إلى شرائح صغيرة.. بحيث تصبح «الفخدة» الوحيدة القوية المتماسكة فى المنطقة هى إسرائيل.. ثم إن الرهان على الإخوان ليس نهاية المطاف، لكنه خطوة بعد

ذلك.. تستهدف ضرب الإسلام السُنِّى الذى يمثلونه.. بالإسلام الشيعى، الذى تمثله إيران.. وبذلك ينهى المسلمون على بعضهم البعض بأيديهم، لصالح إسرائيل.. وهنا نحكى قصة التنظيم من خلال أبرز ٣ قيادات، تلخص الحكاية كلها.

الأفوكاتو ينتظر

فى يوم من أيام مارس ١٩٥٦، كان البروفيسور الألمانى «جرهارد كيجل» أستاذ القانون بين طلابه بجامعة كولونيا.. عندما اقترب أحدهم يهمس إليه بأن هناك من ينتظره فى مكتبه.

وبعد قليل كان «جرهارد» يلتقى مع شخص قصير، يبدو من مظهره أنه عربى.. وقدم نفسه على أنه يريد مشورة البروفيسر، حتى يعد رسالته للدكتوراه فى القانون، فهو محام، له مكتب فى القاهرة، وطرح عنوانه المقترح للرسالة عن «الشريعة الإسلامية» لكن البروفيسور استشعر بأن هذا العنوان يخفى وراءه مقصداً مختلفاً للرجل الذى تبدو على ملامحه المكر، وتأكد من ذلك عندما وجد بطاقات بريدية تصله من جنيف ودمشق والقدس من المحامى المصرى «سعيد رمضان» الذى التقى لأول مرة فى عام ١٩٤٠.. بـ«حسن البنا» مؤسس جماعة الإخوان.. الذى يمنح الفرصة للشباب لكى يعتلى المنصة، ويخطب فى الناس، ويعلن عن نفسه، فى إشارة ماكرة إلى تفاعل الشباب مع دعوته وانتشارها.. وصعد «رمضان» وهو ابن الرابعة عشرة إلى المنصة.. وكان البنا قد سأله قبل صعوده: بالله ماذا أخرك عنا؟!.. وكانت لفتة ذكية من البنا، انبهر بها الشاب، وازداد

تعلقه بالرجل الذى أراد أن يربطه به بحبل متين، وزوجه من ابنته الكبرى «أم أيمن» وأصبح السكرتير الشخصى للإمام.. ويشرح «جمال البنا» شقيق حسن لمؤلف كتاب «مسجد فى ميونخ».. الكاتب الكندى «إيد جونسون».. كيف أن مرشد الإخوان، كان يرى فى رمضان وزيراً للخارجية، فهو متحدث لبق، ورياضى نشط.. ثم إنه العقلية القانونية التى تبرر للناس ضرورة ارتقاء الإخوان سلم السلطة، بديلاً عن الخلافة الإسلامية، التى انهارت فى إسطنبول.. وكانت قاب قوسين أو أدنى من أن تسيطر على العالم كله.

رمضان فى كل مكان

ورمضان هو الذى أسس لفرع الإخوان فى الأردن، حتى منحه الملك عبدالله الأول جواز سفر سمح له بحرية الحركة، بعيداً عن الأعين التى بدأت تتنبه إليه، بعد جرائم الإخوان فى مصر، وفى عام ١٩٤٨، رحل إلى باكستان، وبعدها بعام تم اغتيال «البنا» ولم يتوقف نشاط رمضان.. ويجب أن نذكر بأن مؤتمرات عديدة عقدت بعد سقوط الخلافة.. لإيجاد بديل يجمع حشود المسلمين.. وهو ما جعل البنا يعلن عن تنظيمه فى هذا التوقيت.. ولهذا اتجه سعيد رمضان إلى مفتى القدس أمين الحسينى.. نظراً إلى مكانة الأقصى وفلسطين.. وكذلك إلى تركيا التى كانت قد اتجهت إلى العلمانية.. وبذلك تم ربط القاهرة.. بإسطنبول.. والقدس.. وكراتشى، من خلال المؤتمر الإسلامى الذى جرى الإعلان عنه، وهو فى حقيقة الأمر يعلن عن الوجه

الدولى للإخوان، بعد أن تم التضييق عليهم داخلياً فى مصر بسلسلة الاغتيالات التى وقعت لشخصيات مرموقة.. والإعلان عن حل الجماعة.. وهى لعبة المناورات التى يجيدها الإخوان.. وقد استغل رمضان فى تحركاته الدولية شعار «محاربة الشيوعية»، وهو ما نجح فى تقربهم إلى المخابرات الأمريكية، التى أرادت استثمارهم فى الحرب الباردة لمواجهة الشيوعية.. والإخوانى يعرف جيداً من أين تؤكل الكتف، وعلى ذلك التقى رمضان لأول مرة بالأمريكان عام ١٩٥٣، وأعلنت جامعة برنستون عن مؤتمر إسلامى، وفى نفس الوقت وضعت المخابرات الأمريكية على مكتب الرئيس الأمريكى «إيزنهاور» تقريراً ينصحون فيه باستثمار عداء الإسلام للشيوعية، وتوظيف الدين فى خدمة السياسة.. وكانت المخابرات هى التى مولت المؤتمر.. ورغم مشاغل الرئيس إيزنهاور، إلا أنه عاد والتقى بأعضاء المؤتمر.. وعلى رأسهم سعيد رمضان، وذلك يوم ٢٣ سبتمبر عام ١٩٥٣، وهو اليوم الذى يمكن أن نطلق عليه «يوم الغرام».. بين الإخوان والأمريكان.

اخرج بره

وبدأ اسم رمضان يلمع فى المحافل الأمريكية، وبدأ نشاطه يتسع، وعندما اتخذ جمال عبدالناصر قراراته الحاسمة ضد الإخوان عام ١٩٥٤.. بدأ «سعيد» يتحرك إلى السعودية وسوريا وباكستان والأردن.. وأعلنت عن طرده هو ومجموعة من الإخوان.. وأخذ سعيد أسرته واتجه بها إلى سويسرا عام

١٩٥٨ .. ورغم رفض المخابرات السويسرية لوجوده، إلا أنها غضت الطرف عنه، لأنه من أعداء الشيوعية، ويمكن استثماره فى هذا الطريق، وفى نفس هذا العام، حصل على الدكتوراه بعنوان «التشريع الإسلامى.. آفاقه وموازين عدالته»، وعندما علم برغبة بعض المسلمين لبناء مسجد فى ميونيخ، اتجه من فوره إلى هناك، معلناً أنه يستطيع جمع المال لهذا الغرض، وفى هذا التوقيت ظهر معه فى الصورة شاب سورى يدعى «على غالب محمود همت».. وإلى جانبه الأفغانى «عبيد الله مجدوى» ابن الزعيم الأفغانى «صبغة الله»، وكان عبيد يدرس الطب.. ووقتها قال سعيد لمن حوله إنه يريد أن يبسط نفوذه على أوروبا كلها.. واتخذ من بناء المسجد ذريعة وستاراً للحركة، هنا وهناك، وجمع المال.. وكان قد أصبح رمزاً ونجح فى حشد الطلاب والشباب من حوله من جنسيات عديدة، وبذلك سيطر على مجريات الأمور فى لجنة بناء المسجد، وفى هذ التوقيت عمل «مجلس تنسيق العمليات» وهو الكيان القائم على تنفيذ العمليات المغطاة لوكالة الاستخبارات المركزية وغيرها.. على تبنى «الإسلام سلاحاً»، ليس حباً فى الإسلام بالقطع.. ولكن لضرب الشيوعية، ومحاربة الاتحاد السوفييتى، وتم إنشاء فريق عمل مهمته الوحيدة: كيفية استخدام الإسلام كسلاح.. والاعتماد على ما يسمى بجماعات الإصلاح، وعلى رأسها تنظيم الإخوان.

وفى بيان لهذا المجلس قال: إن البرامج المغطاة والتى يصعب حسابها على جهة بعينها، تكون فاعليتها أكثر تأثيراً، بما يحول

دون اتهام أمريكا بتوظيف الدين لتحقيق مآرب سياسية، وبالتالى سيتم كل شىء فى الخفاء.. ولذلك تحرك رمضان كأن البلاد بلاده، لتأسيس التنظيم الدولى لإخوان الشياطين.. وسينضم إليه بعد ذلك يوسف ندا، وأسماء أخرى، سنعرفها تباعاً.. لأن القصة فيها الكثير!!

خزينتهم.. على البحيرة السويسرية

«دول ناس بتوع ربنا».. هكذا كان الوصف لجماعة الإخوان الذى يراه البعض محظورة ومنبوذة وجريمتها الوحيدة أنها.. تريد لبلادنا أن ترتدى الجبة والقفطان وأن تطلق اللحية وبذلك تضمن خيرى الدنيا والآخرة.

وإذا كان الأمر كذلك فما الذى دفع الجماعة «بتاعة ربنا» أن تسعى للسلطة.. وأن تتحصن بالمال تجمعه تحت شعار «تبرعوا لبناء مسجد».. ثم أكثر من هذا ما الذى دفعها.. أن ترفع السلاح والقنبلة والشائعة فى وجه كل من يقف فى طريق وصولها إلى الحكم أو أراد أن يزحزحها عنه بعد أن أثبتت فشلها الذريع.. وأنها أصل وفصل كل جماعة دموية خرجت من جلبابها.

إنهم يسلكون كل السبل لبلوغ أهدافهم ومنطقهم أن الغاية تبرر الوسيلة.

وفى هذه الحلقة نستعرض الضلع الثانى من أضلاع التنظيم الدولى للإخوان.. وسنرى فيها الكثير من علامات التعجب والدهشة.. ولو كانوا طائفة من الأبرياء الذين يريدون رفع راية هذا الدين.. لماذا تعاونوا مع أجهزة المخابرات ما ظهر منها وما بطن؟

يوسف ندا

إذا رسمنا لمثلث تنظيم الإخوان الدولى صورة لكل ضلع سنجد أن الأولى لـ«سعيد رمضان» وقد رسمناها والثانية لرجل تركى غامض لا يميل للأضواء اسمه «غالب همت» والضلع الثالث هو «يوسف ندا» وجميعهم انطلقوا من «مسجد ميونيخ» كما يقول مؤلف الكتاب الذى يحمل هذا الاسم وهو الكاتب الكندى «اين دنييس جونسون» الذى يقول عن «ندا»: هو شخص متحمس ودود.. شغوف بالشهرة محب للظهور يمتلك شبكة علاقات قوية فى أوروبا وندا انضم إلى جماعة الإخوان المسلمين وكان لايزال شاباً فى الإسكندرية.. فقد كان يمضى فى أحد شوارعها وكانت هناك مشاجرة وسرعان ما تدخل بعض الشبان الذين يلبسون ملابس الكشافة ونجحوا فى فض المشاجرة وأعجبه تصرف الشباب وسأل وعرف وانضم إلى الإخوان فى عام ١٩٤٨.. وعندما بلغ من العمر ٢٣ عاماً ألقى القبض عليه بينما أفلت سعيد رمضان.. وخلف القضبان.. توثقت علاقته بقيادات الإخوان ورغم التعذيب الذى تعرض له على حد قوله.. تمسك بعضوية الإخوان وكان قد عقد العزم أن

يصفى مصنعاً للألبان والجبن كان يمتلكه.. ورحل إلى النمسا بحجة تصنيع الألبان وبدأ يختلط برموز الجماعة فى النمسا.. وألمانيا حيث «مسجد ميونيخ» ثم اتجه إلى طرابلس من أجل البزنس ونجح فى جمع بعض الأموال لأجل بناء المسجد وكانت هذه هى الورقة التى لعبوا بها لصالحهم أكثر مما هو لصالح المسجد كما سترى وتعرف.. فهل تتصور أن ندا الذى جاء إلى ليبيا لجمع التبرعات أصبح مستشاراً زراعياً للملك الليبى.. ثم تحول إلى استيراد مواد البناء من النمسا.. وعندما قام معمر القذافى بثورته ترك ليبيا واتجه إلى تونس ثم إلى اليونان ومنها إلى ألمانيا حيث توطدت علاقته بالتركى «غالب همت».. وبعدها قرر ندا أن يعيش للأبد فى أوروبا واتجه إلى سويسرا وبالتحديد فى الجنوب بالقرب من بحيرة «لوجانو» وهى أرض إيطالية ولكنها فى النطاق السويسرى وعام ١٩٧٣ عقد التنظيم الدولى للإخوان اجتماعه وكان ندا قد نجح فى ربط مسجد ميونيخ بالسعودية وإيران وتركيا وأفغانستان وباكستان وفلسطين وأمريكا وفى بيت ندا عام ١٩٧٧ يظهر فى الصورة الشيخ يوسف القرضاوى فى اجتماع دعى إليه.. وحتى لا يكون مسجد ميونيخ الستار الوحيد تأسست جماعات ومعاهد للدراسات الإسلامية.. وهو ما رأت فيه المخابرات الأمريكية «ورقة» تلعب بها فى الشرق وفق ما تريد.. ولعبة إنشاء مراكز الدراسات أو المعاهد هى لعبة مخابراتية معروفة.. وامتدت مع يوسف ندا إلى أمريكا عن طريق ثلاثة عراقيين هم جمال برزنجى وأحمد توتونجى وهشام يحيى الطالب الذى كان يعمل

فى إحـــدى شـــركـــات نـدا .. ثم دخلت لندن على الخط على يد الباكستانى «خورشيد أحمد» والسورى «عصام الطيار» رئيس جماعة الإخوان فى سوريا والذى هاجر إلى بلجيكا فى أوائل الستينيات.. وكل هذه الشبكة الدولية كانت على اتصال دائم بمكتب الإرشاد فى مصر.. إلى جانب هؤلاء ظهر على الساحة الدولية اسم العراقى «أحمد الراوى كاظم» الذى حصل على درجة الدكتوراه فى الهندسة من جامعة دندى فى اسكتلندا.. وتأسس بعد ذلك اتحاد المنظمات الإسلامية فى أوروبا ثم الاتحاد العالمى للمسلمين الذى رأسه القرضاوى وكلها أفرع مرتبطة بشجرة الإخوان التى اعتمدت فى تأسيسها على الخلايا بحيث إذا سقطت واحدة استمرت الأخرى.

وتداخلت شبكة «ندا» فما هو إسلامى قد يختلط مع ما هو بزنس.. وفى ذلك يعترف الرجل بكل وضوح قائلاً عن نفسه: إذا قيل إننى مهندس فهذا صحيح.. وإذا قيل إننى رجل أعمال فهذا صحيح.. وإذا قيل إننى مصرفى «مؤسس بنك التقوى مع غالب همت» فهذا صحيح.. وإذا قيل إننى سياسى أو ناشط أو ديمقراطى أو اشتراكى أو إسلامى فهذا أيضا صحيح. أما إذا قيل إننى إرهابى أو أمول الإرهاب أو كانت لدى صلات بالإرهاب فهذا خطأ وخداع وتضليل ولأن مؤلف الكتاب «جونسون» لم يلحق بما جرى بعد وصول الرئيس الإخوانى محمد مرسى إلى حكم مصر.. وما تلا ذلك من أحداث ظهر فيها العنف والدم والانفجارات والقتل بيد الإخوان.. وبتمويلات خارجية وردت من تركيا وقطر وإنجلترا وألمانيا وأمريكا وغيرها.

وأظن فى هذه الأحداث الدموية خير دليل على دموية جماعة الإخوان ومشاهدهم أثناء اعتصامى رابعة والنهضة بعد ثورة ٣٠ يونيو ضدهم.. خير دليل على أكاذيب «ندا» وباقى أعضاء التنظيم أو التشكيل العصابى الذى يعمل وفقاً لمبدأ «الغاية تبرر الوسيلة» وأسألوهم لماذا انفصلت عنهم فى وقت مبكر جماعة «شباب محمد» لأنها رأت أن رسالة الإخوان قد تحولت من الدعوة إلى الله.. إلى الدعوة إلى السلطان واللعب فى أرض السياسة.

ونعود إلى جونسون وكتابه حيث يذكر أن أمريكا بعد أحداث ١١ سبتمبر وجهت أصابع الاتهام إلى «ندا» بتمويل الإرهاب.. وقد اكتشف المحققون أن المستثمرين فى بنك التقوى أعطوا ليوسف ندا حق التصرف فى أموال زكواتهم كما يرى.

وكان ندا أذكى من أن يستخدم البنك وأرباحه الطائلة فى تمويل التنظيمات الإرهابية بشكل ساذج ومباشر ورغم كل ما قال ندا عن نفسه من قبل فإنه فى لقاء مطول مع قناة الجزيرة يقول : إنه مجرد وزير خارجية فقط لتنظيم الإخوان وتجاهل الدور المالى تماما وهو الضلع الاساسى والعنصر المحرك للتنظيم داخليا وخارجياً ومهما كانت شطارة «ندا» وشبكة علاقاته.. لم يكن يستطيع أن ينجح ويضع خلايا التنظيم الدولى دون دعم أجهزة المخابرات الأوروبية والأمريكية.. وإلا لماذا عادت أمريكا تدافع عن الإخوان وترى ما جرى فى ٣٠ يونيو انقلاباً عسكرياً وليس ثورة شعبية.. رغم اعتبارهم أن تنظيم الإخوان هو شبكة إرهابية من قبل؟ إنه سؤال يكشف لك الكثير من اللغز!!

على كل لون.. يا محظورة!

فى حوار أجراه اللواء عبدالحميد خيرت مع الإعلامى عمرو أديب قال إن العلاقة بين الإخوان وتنظيم القاعدة والمخابرات الأمريكية كانت قائمة ومفتوحة وكان خيرت الشاطر هو همزة الوصل ورصدت أجهزة الأمن فى فبراير ٢٠١٣ كيف قام الإخوان بتسهيل دخول رجال القاعدة إلى سيناء برعاية الأمريكان.. وقد قاموا بالفعل بإدخال آلاف من ميليشيات القاعدة إلى سيناء.. ومن هنا .. نعرف حجم المهمة الثقيلة التى قام بها رجال الجيش المصرى مع الشرطة فى مواجهة هذه العصابات التى تم تسليحها بجميع أنواع السلاح كما أنها مدربة على حرب الجبال والأنفاق.

ولذلك كان الهم الأول بعد وصول الإخوان إلى الحكم تدمير جهاز أمن الدولة لأنها ذاكرة الأمة التى تكشف كيف أن الإخوان الذين قالوا إنهم قادوا الثورة ضد مبارك كانوا فى قمة

التعاون معه.. ودخولهم إلى البرلمان كان يتم بموافقة مبارك الذى يعطى تعليماته إلى أجهزة الأمن برفع إيديها عنهم وهنا.. نستكمل كشف خبايا التنظيم الدولى للإخوان.

مهدى عاكف

قالوا إنها «محظورة» وكنا على أرض الواقع نراها تجتمع وتدخل البرلمان وتصدر الصحف وتوجد هنا وهناك.. ولها أموالها فى الداخل وصوتها القوى فى الخارج المؤثر معنوياً ومادياً وإذا كنت قد تحدثت عن قطبين من أعمدة التنظيم الدولى وهما سعيد رمضان ويوسف ندا.. وهذه المرة نتحدث عن «مهدى عاكف» وهو رجل جمع بين القوة والحضور فى الخارج والداخل.

وتبدأ القصة بمشهد مكانه شقة بالقاهرة وزمانه ٢٠٠٤ والراوى «إين جونسون» الكاتب الكندى الشهير صاحب كتاب «مسجد فى ميونيخ» عندما جاء إلى القاهرة لمقابلة «مهدى عاكف» وقد وصفه بأنه شخصية ساحرة له ابتسامة ماكرة.. أما عن الشقة فقد ظهرت عليها طبيعة الجماعة النافرة وعقيدتها العدائية وقد ثبتوا على جدرانها صوراً لشهداء الإخوان المسلمين من أمثال الشيخ أحمد ياسين مؤسس حركة المقاومة الإسلامية حماس.

وأثناء لقاء جونسون مع عاكف كان شباب الإخوان يدخلون ويخرجون لجلب التقارير أو إرسال الأوامر والتعليمات لآلاف الخلايا المنبثقة.. وفى خلفية غرفة مكتب عاكف خريطة للعالم

الإسلامى.. وكأنها إعلان غير مباشر عن أن هذه الشقة تدير شئون العالم الإسلامى كله وهكذا قال المرشد فى سياق الحوار مع المؤلف «انتقلوا بعد ذلك إلى مبنى كامل خاص بهم فى المقطم».

ويصف جونسون شخصية عاكف بأنه مناور جيد.. ويؤمن بضرورة التعامل مع الحكومات بعقلانية حيث لا يمكن فرض الشريعة الإسلامية على الدول فى يوم وليلة وعاكف دخل السجن مع الداخلين وخرج عام ١٩٧٤ بالعفو الشامل الذى أصدره أنور السادات ليس حباً فى الإخوان ولكن كراهية فى الشيوعية ونكاية فى مؤيدى جمال عبدالناصر وكان قد أدخلهم السجون جميعاً وقطع دابرهم تماماً.

ألو.. يا قرضاوى

وفور خروجه من السجن اتصل عاكف بالشيخ يوسف القرضاوى الذى اتجه إلى الدوحة واستقر بها وكان أحد أهداف عاكف ترميم جماعة الإخوان وتجميع أوصالها بعد المداهمات العديدة التى تعرضت لها وهروب أغلب القيادات إلى الخارج.

أرادها عاكف شبكة دولية من المنظمات حيكت خيوطها بعناية وإتقان لتكون محصنة منيعة ضد أى ديكتاتور يعتلى قمة السلطة فى البلاد.. ولهذا اتجه إلى التركى غالب همت ويوسف ندا فى ميونيخ.. وخلال الفترة التى امتدت ما بين عامى ١٩٨٤

و١٩٨٧ أصبح عاكف إماماً للمركز الإسلامى فى ميونيخ.. وكأنها المقصد أو نقطة الانطلاق التى يشع منها أفرع التنظيم الدولى.. كانت حركة عاكف محسوبة جيداً واختياره لألمانيا دون غيرها.. وميونيخ على وجه التحديد.. مسألة تكشف مسار الأحداث والحوادث فى هذا التنظيم المتشعب.

أصبح عاكف زعيماً روحانياً للمسجد.. بينما اكتفى التركى «غالب همت» بالإدارة القانونية من منزله فى «كامبيونا إيطاليا» عند البحيرة السويسرية التى يسكن على شاطئها يوسف ندا.

الكابتن

ولمن لا يعرف فإن الشيخ مهدى أو الكابتن.. تخرج فى كلية التربية الرياضية فى عام ١٩٥٠ وكان عمره ٢٢ عاماً وكان يمارس السباحة يومياً فى ألمانيا.. وفى نفس الوقت كان يحاول أن يرسم صورة جديدة للإخوان فى أوروبا وأن يكون صوتهم هو الأعلى بين الجماعات الإسلامية المختلفة وساعده على ذلك أن الإخوان كانوا الأقدم والأكثر تنظيماً وعندما وافقت الحكومة الألمانية على تخصيص قطعة أرض لبناء مسجد ميونيخ.. كان مركزاً لتجميع المخلفات والقمامة ومحطة لمعالجة الصرف الصحى.. وسرعان ما تحرك مهدى ورجاله لتجميل الموقع وفى ذات الوقت كان ينظر إلى أوروبا كلها.

كانت التجمعات الإخوانية تسمى نفسها سابقاً المراكز الثقافية الإسلامية وقد اجتمعت لأول مرة عام ١٩٧٣ فى حى المسارح

بلندن وقيادة الاجتماع جرت تحت إشراف شخصيات سعودية تركية باكستانية وهو ما سهل مأمورية ندا قبل أن يظهر عاكف فى الصورة فقد استضاف التنظيمات الإخوانية عام ١٩٧٧ وكان القرضاوى يلعب دور الزعيم الروحى.. وقد انتبهوا جيداً إلى ازدواجية المؤسسات التابعة فإذا قلت إنها خيرية فهى كذلك وهى أيضاً «دعوية».. ولها وجه استثمارى.. وآخر سياسى.. فإذا أمسكتها من ناحية.. طلت عليك من الناحية الأخرى بوجه مختلف.. وللأمانة درس الإخوان جيداً طبيعة الحياة فى أوروبا.. بل وفى أمريكا.. وأول مؤسسة إخوانية ظهرت هى «المعهد العالمى للفكر الإسلامى» ثم بعد اجتماع «لو جانو» تقرر افتتاح فرع جديد للمعهد فى بنسلفانيا بالولايات المتحدة الأمريكية عن طريق اثنين من أكراد العراق توتونجى وبرزنجى. وكان فى بريطانيا ثم تحركا إلى أمريكا وأسهما فى إنشاء اتحاد طلاب المسلمين هناك فى عام ١٩٦٢ ولم يكن يوسف ندا الموجود فى سويسرا ببعيد عن أمريكا ثم تحولت الحركة الطلابية إلى حركة وطنية.. لكن ظل مسجد ميونيخ هو المركز والنواة ونجحوا فى جمع تبرعات ضخمة من السعودية بحجة بناء المساجد والمراكز الإسلامية.

وبالإضافة إلى توسيع شبكة الإخوان من المصرى إلى التركى والباكستانى والسعودى والسورى والعراقى والهندى والأفغانى والفلسطينى.. وكلها كانت على صلة بمكتب الإرشاد فى مصر.. ووجود عاكف فى أوروبا ساعده أن يكون فى قلب الحدث وأن يحقق هدفه بإعادة بناء الصرح الإخوانى.. وفى

ذلك يجب أن نتـعـرف على الدور الذى لعـبـه العـراقى أحـمـد الراوى كـاظم الحـاصل على الدكـتـوراه من جـامـعـة دندى باسكتلندا وقـد أسـهم فى تدريس فكر سـيـد قطب بمركـز ماركفيلد فـى منطقة ليستر بانجلترا ولعب على وتر الحوار بين الأديان وفى نفس الوقت كـانوا يدعـمـون «حـمـاس».. ثم توالى ظهور المؤسـسـات بأسماء ومسميات مختلفة وإن كانت كلها إخوانية «المعهد الأوروبى للعلوم الإنسانية ـ المجلس الأوروبى للإفتاء والبحوث ـ اتحاد المنظمات الإسلامية ـ المؤتمر الإسلامى الأوروبى» وهكذا بدت جماعة الإخوان فى أوروبا مثل «الحرباء» تتلون وفقاً لكل ظرف وكل حدث وكل مصلحة!

ابحث عن صبيان الفوضى

لكى أخترق الصفوف المنتظمة هذه يجب أن أدرس جيداً.. فمن صناعة الفوضى بينها جملة قالها قائد عسكرى أغلب المصادر لم تذكر اسمه.. ولا حتى ولا أين قيلت؟!.. لكنها بالتأكيد سبقتنا بسنوات طوال.. المصطلح الأمريكى الشهير وهو «الفوضى الخلاقة».. لكن بالبحث والتحرى اكتشفت أن هذا المصطلح مصدره الأصلى «ميكافيللى» فى كتابه الشهير «الأمير» وقد جاء فيه:

الشجاعة تنتج السلم.. والسلم ينتج الراحة.. والراحة يتبعها فوضى.. والفوضى تؤدى إلى الخراب.. ومن الفوضى ينشأ النظام.. والنظام يقود إلى الشجاعة.

بينما نجد فى أدبيات الفوضى ما يشير إلى وجود المصطلح فى تراث الماسونية القديمة.. حيث ورد ذكره فى أكثر من مرجع..

وأشـار إليـه البـاحث والكاتب الأمـريكى «دان براون» صـاحب الرواية الشـهيرة «شـفرة دافنشى» وقـد ظهر على السطح بعد الغزو الأمريكى الذى قادته الولايات المتحدة الأمريكية فى عهد الرئيس بوش الابن على لسان وزيرة الخـارجية كوندليزا رايس فى حديث لها أدلت به إلى صحيفة «واشنطن بوست» الأمريكية إبريل ٢٠٠٥.. حـيث انتـشـرت بعض فـرق الموت والأعـمـال التخريبية التى اتهمت بأنها مسيسة من قبل الجيش الأمريكى وبعض الميليشيات المسلحة التى تؤمن بأن الخـلاص سـيكون لدى ظهـور المهـدى المنتظر عند وجـود حـالة من انعـدام الأمن والنظام.

والـلافت فـى المصطلح من المنظور الأمـــريكى أنه جـــمع بـين نقيضين متضاربين.. هما الفوضى والخلاقة.. الأولى بكل ما تحمله من انفلات وغوغاء وجاهلية.. والثانية بما فيها من إيجابية وابتكار.. فكيف لها أن تكون فى ذات الوقت خلاقة خلفها قوة نظامية وتوجيهية تحكمها ومدبرة.. وعلى هذا فالإنسان العربى الذى يسأل عن سر لهفة الإدارة الأمريكية ومن خلفها أو معها فى الاتحاد الأوروبى على رعاية ما يسمى بربيع الثورات العربية ضد أنظمة هى ذاتها بالأمس القريب كانت تعدها من الحلفاء والركائز الاستراتيجية.. وهؤلاء هم أنفسهم الذين يغضون البصر والبصيرة عن أفعال إسرائيل العدوانية العنصرية التى هى دائماً وأبداً ضد أبسط قواعد الحرية والديمقراطية بل والإنسانية.

والعجيب أنك ستجد أن الوسطاء والسماسرة الذين يتبعون الغرب وبعضهم يضع قناع منظمات حقوقية أو مراكز دراسات وأبحاث هم أول من يطل على الفضائيات متحدثاً عن بعد باسم بلاده وثورتها.. وهم أيضا أكثر من يلجأ إلى تدويل قضايا بلاده.. والاستغاثة بالغرب لأنهم صبيانهم فى المنطقة وأدواتهم فى زرع الفوضى ونشرها بين الطوائف والملل والقبائل.. بحجة الدفاع عن الأقليات فى وطن لم يعرف مثل هذه التقسيمة من قبل.

فهل يدهشك مثلاً أن يأتى رئيس أمريكى أو أوروبى وتجد بعض هؤلاء وأمثالهم على برنامج زيارته.. فهل نسينا كم مرة قابل أيمن نور «فريكيكو السياسة» سته وتاج راسه كوندليزا ثم من بعدها هيلارى.. وما الغريب إذا التقى من يمول ويدفع مع من يقبض وينفذ تحت شعارات براقة من الحرية والتعددية والعباسية والطائفية وتمكين المرأة وقبول الآخر.. إلى آخر عدة النصب الأمريكانى- الأوروبى لامتلاك زمام المنطقة وإعادة تقسيمها مجدداً ونهب ثرواتها.. وإضعاف قوتها.. بحيث لا نجد دولة لها كيانها فى الشرق الأوسط سوى إسرائيل.. ويجب هنا لإنعاش الذاكرة تقديم بعض نماذج من أبرز نجوم الفوضى وأدواتها فى بر المحروسة.

سامح نجيب

هذا الرجل له فيديو شهير يقول فيه: لابد من هدم الجيش.. وتدمير الدولة وإشاعة الفوضى فى البلاد.. ينتمى إلى فصيلة الاشتراكيين الثوريين.. نزل ذات مرة إلى مظاهرة يهتف فيها «يسقط حكم العسكر».. ورصدته الجماهير المحبة لجيش

بلادها وكـادت تقـتله بالإسكندرية.. لكن رجـال الجـيش هم الذين أنقذوه من بين أنيابهم.. هذا الشـخص اسـمه «سـامح نجـيب» أعلن أنه لا يحب الإخـوان.. ولكنه بعـد ذلك اعـتـبـر ضـحـايا رابعة من الشـهداء.. وكـان هذا اليسـارى قد ارتدى الجلباب فقط وهـو أحد نجـوم الفوضـى أو عرائس الأمـريكان.. مع أنه وفـقـاً لمنهـجه السيـاسى المفتـرض أن يكرهـهم.. لكنها دكاكين المصالح.

نجاد البرعى

صاحب شركة حقوقية يفترض أنها لا تهدف إلى الربح.. لكنها ربحت من الأمريكان حتى التخمة.. وكشفت وثائق «ويكيليكس» أنه زبون دائم للسفارة الأمريكية.. وقد تلقى أموالاً من المعونة الأمريكية منها على سبيل المثال لا الحصر مبلغ ٢٧١ ألف دولار «مليون و٦٠٠ ألف جنيه مصرى» بهدف تقوية المنظمات المدنية فى الفترة من يوليو ٢٠٠٦ إلى يوليو ٢٠٠٨ وشـركة المحاماة تبعده عن قوانين التضامن التى تحذر تلقى الأموال من الخارج إلا بضوابط معينة.

وكشفت الوثيقة رقم Cairo 8188 عن ضرورة التدخل لحماية نجاد باعتباره أحد رجال السفارة الأمريكية.. وعندما رصدت واشنطن مبلغ ١٠٠ مليون دولار كانت شركة نجاد فى الصدارة ولها النصيب الأكبر بحجة مساعدة الشعب المصرى خلال الفترة الانتقالية وبناء الديمقراطية.

جمال عيد

المدير التنفيذى للشبكة العربية لحقوق الإنسان المتخصصة فى الدفاع عن حرية التعبير فى الشرق الأوسط وشمال إفريقيا.. وكأن حقوق الإنسان انتصرت فقط على من يعارضون الدولة سراً وعلانية.. وإذا تحدثوا عن حماية الأقليات فلا تصدق أنهم يريدون لها فعلاً الحماية.. لكن لنشر الفتنة والطائفية وفقاً للتوقيت الأمريكى.. وطبعاً لا يصرف السيد جمال من جيبه على أنشطة شبكته.. ولم تتسابق الفضائيات فى تلميعه وتقديمه كواحد من النخبة لوجه الله.. والبركة فى الدولار الأمريكى.

حسام بهجت

كان يسرى فودة أول من قدمه فى محطة ON TV ويقال إنه صحفى تحقيقات بموقع مدى مصر وشغل منصب المدير التنفيذى للمبادرة المصرية للحقوق الشخصية وعضو مجلس الأمم المتحدة الإنمائى العالمى للمجتمع المدنى.. وكلها كما ترى مناصب ضخمة لا تعرف رأسها من قدميها.. وعندما حققت معه المخابرات الحربية بعد مقال كاذب حول ضباط من الجيش وبعد مكالمة أجراها من مكان التحقيق انتشر الخبر وتضامنت معه ١٣ منظمة منها العفو الدولية وتوجه ٢٥ محامياً متطوعاً ستراهم مع كل من يهاجم الدولة.. وقد كشفت النيابة العسكرية أن الأخ الذى يدعى بأنه صحفى غير مقيد بنقابة الصحفيين.. ومع ذلك طالب النقابة بالتدخل لإنقاذه.. ولكن السكرتير العام

للأمم المتحدة الذى يعرب دائماً عن قلقه فى مثل هذه الحالات كان أسرع فى بيانه.. من يحيى قلاش باعتبار «حسام» من رجاله.. وبالتالى لا بأس أن يتطاول على الجيش ورجاله وأسراره لأنه على رأسه ريشة أمريكانى.

خالد على

يبدو أن الأخ الذى حصل على حفنة أصوات تعد على أصابع اليد قد صدق نفسه وعاش فى الدور على أنه حامى الحما وهو أحد أعضاء مكتب «هشام مبارك» الذى كان له الفضل الأكبر فى نشر هؤلاء.. وهو مدير المركز المصرى للحقوق الاقتصادية والاجتماعية.. لاحظ أن أسماء الدكاكين تختلف لكنها تبيع نفس البضاعة الأمريكانى.. وقد أصبح من الوجوه المعارضة للدولة فى أى شىء.. وهذه هى شغلته التى حولته من مجرد محامى غلبان إلى نجم.. وقد منحته حركة «مصريين ضد الفساد» جائزة المحارب المصرى أواخر عام ٢٠١١ وهذه الجوائز هدفها التلميع.. مثلما جرى مع اليمنية توكل كرمان التى حصلت على «نوبل» وما أدراك ما نوبل.

الأناركية

يضعون على وجوههم أقنعة قبيحة وهم الفوضويون وهم جماعة ضد الدولة على طول الخط وهم يريدون مجتمعاً بلا سلطة أو دولة.. والعنف وسيلة من وسائل الوصول إلى أهدافهم.

الألتراس

كلمة لاتينية تعنى الـ «مطرفين» وقد ظهرت فى البرازيل أولاً عام ١٩٤٠ ثم انتشرت فى أرجاء العالم.. ولكنها فى مصر تجاوزت مدرجات الملاعب.. وتم استدراجهم إلى الميدان السياسى واستطاع الإخوان استقطابهم بالمال.. حتى إنهم ظهروا خارج البلاد فى رحلة لا يعقل لشاب أن يتحمل تكلفتها التى لا تقل عن عشرة آلاف جنيه كحد أدنى.. وإذا كان بعضهم يعلن أنه يرحب بالموت فى سبيل قريته أو ناديه.. فهل يمكن لشاب من هذه النوعية أن يحرص على وطنه من التخريب.. وقد رأينا ماذا فعلوا باتحاد الكرة واتحاد الشرطة ونادى الزمالك ورئيسه الذى كشفهم وكان سباقاً فى محاربتهم كمجرمين.

البلاك بلوك

ظهروا أولاً فى ألمانيا فى الثمانينيات.. وقد ارتبطوا بأعمال الشغب ويظهرون غالباً بملابس سوداء.. وفى مصر عرفناهم بعد ثورة يناير.. وكانت لهم تظاهراتهم المعقولة فى أوروبا كنوع من المعارضة السياسية.. لكنهم فى مصر تحولوا إلى عصابة للتخريب لمن يدفع ويمول.. وكما عارضوا الإخوان وهاجموا مقرهم فى المقطم.. هاجموا مؤسسات الدولة وقد انضم إليهم مجموعة من أطفال الشوارع كانوا وراء حرق المجمع العلمى فى مشهد لا يمكن نسيانه.

دعارة محترمة..
لص شريف!

الإنسان عدو ما يجهل.. لكنه أيضاً قد يكون عدو ما يعرف والكارثة أن يعرف ويتجاهل المخاطر التى تحيط به وتحاصره.. وقد سألوا لقمان الحكيم: ممن تعلمت الحكمة؟ فقال: من الجهلاء كلما رأيت منهم عيباً تجنبته.. وقالوا أيضاً إن الشيطان يستطيع أن يكون ملاكاً والقزم عملاقاً والخفاش نسراً والظلمات نوراً.. لكن أمام الحمقى والسذج فقط.

فهل رأيت ما يتسلل إلى بيتك وغرفة نومك رغم أنفك فإذا به الريح العاصف تكاد تبتلع عيالك وأهلك وتبتلعك أنت أيضاً تأخذهم منك أو تخطفك منهم فهل بلغك نبأ الحرب التى تنتمى إلى الجيل الرابع.. وهو المصطلح الأمريكانى الذى تم إطلاقه لأول مرة عام ١٩٨٩ (4GW) وبطلها الرئيسى العدو الخفى الذى لا تراه ولكنه يتربص بك ويأتيك من بين يديك ومن خلفك.. وأنت الذى تفتح له الباب إما عن جهل وإما بحسن نية وإما

بمزاجك إذا تحولت إلى عميل وخادم لمن قام بتجنيدك فهل عرفت مثلا أن حرب الجيل الأول هى تلك الحروب التقليدية بين دولتين لكل منهما جيشها النظامى.. وحرب الجيل الثانى هى حرب العصابات وهى من تلك النوعية التى انطلقت فى أمريكا اللاتينية فإذا وصلنا إلى حرب الجيل الثالث وجدناها تعتمد على عنصر المفاجأة واستخدام الحرب الوقائية أو الاستباقية مثل التى جرت فى العراق وأفغانستان.

فإذا بلغنا حرب الجيل الرابع وجدناها تعتمد على تنظيمات وجماعات وسلاحها بث الفرقة والانقسام بين الشعب الواحد باستخدام الفضائيات وأجهزة الإعلام والاعتماد على الشائعات مستفيدة فى ذلك من مواقع التواصل الاجتماعى.. فهل تتصور أنهم يقدمون لك البريد الالكترونى المجانى حبا فى سيادتك وحرصاً على مصلحتك.. لكنها آليات حديثة للتجسس وقراءة سلوكيات المجتمع من خلال محاورات أفراده بين بعضهم البعض.

حروب الجيل الرابع أدواتها أجهزة الإعلام «وخلى بالك من الإعلام» وسترى أن بعض رموز القنوات الفضائية لا يحصلون على الملايين لأن عبقريتهم زائدة.. وأن مواهبهم استثنائية.. لكنها لعبة المصالح والتوجهات.

بزنس يا سيدى

واربط بين الإعلام وتكالب رجال الأعمال على شراء الصحف والمجلات والقنوات الفضائية.. ومنظمات المجتمع المدنى

خصوصاً تلك التى تتلقى تمويلها من الخارج.. واربط أيضاً هؤلاء مع الوظيفة الجديدة التى بدأت تطل علينا إعلاميا فقط وهى وظيفة «ناشط سياسى».. أو الخبير الاستراتيجى.. أضف إلى ذلك شركات الإنتاج الفنى التى تسلط على المجتمع نماذج معينة من النجوم والنجمات لا يقدمون إلا الانحرافات والسلوكيات المنحطة.. وثقافة الانحلال تحت بند «الحرية».

وكل هذا يفكك أوصال الدولة ويزعزع استقرارها.. خصوصاً إذا تحولت الوقفات الاحتجاجية إلى «موضة».. والمظاهرات ضرورة.. حتى إذا تشاجر الرجل مع زوجته.. وزد على ذلك إطلاق نعرات الطوائف (نوبى - سيناوى - مسيحى - مسلم - يمينى - يسارى - سلفى - إخوانى - امرأة - رجل).

ولا بأس أن يعلن الشواذ عن أنفسهم على المواقع فى ظل هذا المناخ الفوضوى.. وهو ما يأخذنا إلى شعار «الفوضى الخلاقة».. وما يعادلها من شعارات من نوعية: الخيانة المشروعة - القتل الحلال - اللص الشريف - الدعارة المحترمة.. إلخ.

وفى ظل هذا المهرجان يجب أن تنشط تجارة المخدرات.. ومعها السلاح والدعارة.. لأن محاور الفساد وإن تعددت لكنها فى نهاية المطاف تلتقى عند نقطة واحدة.

فهل يدهشك بعد ذلك أن تكون أمريكا هى أم المنظمات الإرهابية التى تمولها وتسلحها سرًا ثم تدعى أنها تحاربها سرًا.. وعندك

«القاعدة» وأمامك «داعش».. فهى تجيد لعب الأدوار الازدواجية الضحية والجلاد - القاتل والمقتول - القاضى والمتهم.

ومع ذلك تظن الولايات المتحدة الأمريكية أنها تضحك علينا وتتباهى أنها تجيد الاختفاء.. ولا تدرك الآن فى ظل الانفتاح الإعلامى العالمى هى أشبه بمن يتوارى خلف حائط من زجاج.

اعرف عدوك

«فى بيتنا عدو».. هذه حقيقة.. يجب أن تدركها.. والعدو قد يكون فى شكل برامج تافهة ومسابقات سطحية مثل ملكات الجمال وبرامج القمار المأخوذة عن نماذج غربية.. واستخدموا فى ذلك أهل الفن والإعلام وفشلوا جميعا رغم ما يتم الإعلان عنه من جوائز.

والعدو قد يأتيك من مشاهد فى مسلسل تحطم الحاجز الأخلاقى الذى يحافظ على كيان المجتمع بمشاهد الخمور والحشيش والجنس وبالتالى طرح مجموعة جديدة من المفاهيم: الزنى «عشق» والسرقة «شطارة» والكذب «إعلام» والدعارة «تجارة» والمخدرات «مزاج» والهيافة «ثقافة».

ويسلطون عليك من يقدم لك الدين السمح فى قوالب متشددة جافة.. تأتى بنتائج عكسية تماما خصوصاً فى وسط الشباب الذى يطاردونه بالتقاليع والبدع الفارغة.. باستخدام من يقال عنهم نجوم الغناء والفن.. وهم أسلحة المرحلة فى يد العدو.

حتى إذا بلغنا حروب الجيل الخامس وجدنا أنها تعتمد على

استخدام تكتيكات عصابية: حرق – سيارات مفخخة – تزييف إعلامى – الكمائن – التخريب.

وكلها ألعاب وجدناها أمامنا فى الشارع المصرى مؤخراً أى أن حربى الجيل الرابع والخامس قد اختلطت أوراقهما معا وتزامنا ضدنا.. وهنا تستخدم البروباجندا الممنهجة حتى يفقد الأفراد ثقتهم فى نظامهم.. والشك فى القادة والإحساس بفقدان الأمن وفى الجيل الخامس يجب أن يتم استهداف البنية الأساسية للدولة سياسياً واقتصادياً واجتماعياً وعسكرياً ومن هنا جرى دعم النشطاء خصوصاً فئة المدونين على الإنترنت.. واستمالة مؤسسات إعلامية وتهيئة بعض الرموز.. لتمهيد الأرض لاستقبال الوصايا الأمريكية.. والمدهش أن بعض من اتهموا النظام السابق فى مصر بالعمالة هم أنفسهم أول من نادى: الغوث الغوث «وا أمريكتاه» والتجربة لا تختلف من بلد إلى آخر.. إلا فى بعض التفاصيل ومع ذلك يجب عدم التعميم.. لأن بعض رموز أقباط مصر فى ذروة الغضب على ما جرى من اعتداء على الكنائس رفضوا بوطنية عظيمة الاستقواء بالخارج واختلفوا فى هذا مع أقباط المهجر.. وهذه هى شفرة مصر الكبرى ضد كل عدو.

السؤال الأهم

ويظل السؤال الأخطر والأهم بعد كل هذا: ما معنى إشعال خلاف الفوضى بين الطوائف والمذاهب من ناحية ثم الإعلان عن حوارات لقبول الآخر، فى الأولى يقدمون فوضاهم باسم البحث

عن ديمقراطية فإذا اشتعلت الانقسامات.. نادوا مرة أخرى بالديمقراطية ولكن هنا تحت بند التقارب.. فهل تلك الديمقراطية تحتمل الاستماع إلى الرأى الآخر واحترامه ثم هى نفسها التى تزرع الأرض بالبارود والحقد لضرب كل الآراء الأخرى.

فى بيتنا عدو

«فى بيتنا عدو».. نواجهه بالتكاتف.. وبالتمسك بالجذور والقيم والعودة إلى أخلاقيات ديننا الحنيف.. والالتحام بين أبناء الوطن وكل من يدعو للطائفية هو خائن وعميل ومأجور وتابع.

«فى بيتنا عدو» يحاربنا فى ديننا وأخلاقنا وطعامنا وشرابنا ولا يريد لنا أن ننهض ونرتقى.. ومع ذلك ورغم ذلك سيظل كيدهم فى نحورهم لأن أمتنا فى رباط إلى يوم الدين ولو كره الفاسقون الطامعون.

الشيطان الذى نعرفه

ولدت الأرستقراطية فى فجر الحضارة الغربية كتنظيم سياسى ثم أصبحت بعد ذلك تنحصر فى فئة اجتماعية تطل على الناس من خلال المجلات المتخصصة فى أخبار الفن والمجتمع ولها صوتها الخاص تحت الأضواء فى حفلات الزواج وأيضاً الطلاق باعتبارهم الفئة الأفضل.. فإذا توفر لديهم المال بحثوا عن ألقاب ومناصب أو «برستيج» لكى يظلوا دائمًا فى الصدارة.

ولا بأس بالطبع من الاستثمار فى مجالات الإعلام والفن.. اشتروا الصحف والقنوات الفضائية وشركات الإنتاج الدرامى السينمائى والتليفزيونى.

ويقول المفكر «شارلز تيلور» إن المدنية الحديثة فى طريقها حاولت طمس صورة البطل الشعبى الأسطورى واستبداله بنجوم الغناء

والتمثيل والكرة.. وظهرت ما يسمى بالصفوة أو النخبة وقد جاءت ثورة ٢٥ يناير ثم بعدها ٣٠ يونيو لكى تكشف لنا كيف أن الجموع الغفيرة أو السواد الأعظم من شعبنا البسيط والمتوسط قد سقط بين فكى تجار الدين ومجانين المدنية وكنا نحن الغلابة نجلس أمام شاشات التليفزيون والريموت كنترول فى أيدينا والدخول على وجوهنا مما نسمع ونرى.. كل الطوائف وأصحاب الأصوات يتفاخرون بأنهم حماة الوطن. وهم يلعبون لمصالحهم على حساب الوطن والمواطن.. ورحنا جميعا وقتها نبحث عن لغز اسمه الطرف الثالث.. بين من يرفعون راية الإسلام ويصورون للناس أنهم حماة الشريعة وسفراء الله على الأرض.. وبين فئة احتكرت لنفسها صفة الثورية على شكل جبهة وحركة وائتلاف ومنتخب وشلة.. ورءوسنا قد تحولت لما يشبه لمبة سيارة الإسعاف تدور حول نفسها.. بحثاً عن هذا الطرف الخفى الذى يلقى إليه كل طرف بالاتهامات.

هاجموا وزارة الداخلية وكأن هذه هى جبهتهم وكسرها هدفهم ثم اتجهوا إلى وزارة الدفاع.. وشاهدنا على الهواء مباشرة حرق المجمع العلمى وكان الصبية نجوم حفل الخراب يرقصون طرباً وتهليلاً على مرأى ومسمع من الجميع.

وتكررت محاولات الهجوم على ماسبيرو ومجلس الشعب وأصحاب الخراب الكثير من مؤسسات الدولة وجرى الاعتداء على أقسام الشرطة ونهب سلاحها واصطياد المتظاهرين من فوق الأسطح وهم يعرفون أن نقطة الدم الأولى يكفى بعد ذلك أن تصبح نهرا.

شغل بهلوانات

وعرفنا الناشط والمجتمع المدنى والإصلاحى وحقوق الإنسان.. ولعب الإعلام الخاص دورًا بارزاً للترويج لهؤلاء وكأنهم أنبياء الدولة المدنية الحديثة على أساس أننا من سكان الكهوف.

وتكالبت علينا مافيا السلاح والمخدرات والأدوية والآثار والدعارة ونفايات المستشفيات.. ولصوص الأراضى والمتهربين من الضرائب.. وكبار رجال البزنس أصحاب الأصوات العالية.. إلى جانب بهلونات السياسة على اختلافهم.. ومن الدوحة كانت قناة الجزيرة تلعب لعبتها وتوجه الأمور حيث تريد وتضع نجومها وهواجسها.. وهناك أمريكا تحرك عرائس الماريونيت بين أصابعها كما تريد.. ودليلنا على ذلك أن أمريكا التى أنفقت على إخوان الشياطين أكثر من ٨ مليارات من الدولارات لكى تمكنهم من الحكم.. هى نفسها التى سلطت علينا عيال ٦ أبريل وطابورها الخامس الذى تعددت مسمياته وهدفه واحد.. ويمكن اعتبار كلمة السر فيه «البرادعى» إن أردنا اختصار الحدوتة فى كلمة.

شبكة المصالح الداخلية.. ليست بعيدة عن الخارجية.. والاستقواء بالخارج.. و«السكة» أصبحت معروفة ومكشوفة ومضمونة.. فهل نسيت شادر الصراخ واللطم اليومى على «دومة» و«علاء عبدالفتاح» و«أحمد ماهر».. دونًا عن غيرهم، وهل نسيت كيف كان هؤلاء ومعهم إسراء وأسماء يسافرون لأداء مناسك الولاء للغرب ويتدربون على التغيير وقلب أنظمة

الحكم.. فى صربيا وغيرها وعندما تقابلوا مع إخوان الشياطين وسلفية القتل فى ميدان واحد.. هتفوا جميعا يسقط حكم العسكر وهم أنفسهم الذين حاولوا اعتراض وصول السيسى على أكتاف وأعناق الملايين إلى موقع القيادة بحجة أنهم يريدونها «مدنية».. مع أن قيادات الجيش فى أنحاء العالم لم تكن بدعة مادامت أنها حكمت بالحس الوطنى المخلص.. وضربت لهم هدى ابنة القائد جمال عبدالناصر الأمثلة العديدة لهؤلاء ومن بينهم «ناصر» الذى أسهم فى بناء مصر الحديثة بعد أن حطم أنياب الإخوان.. وكسر أنف الاستعمار واستقل بمصر حتى أصبح صوتها من عقلها وقلبها وليس من واشنطن وضرب معونتهم الملعونة بالقديمة.. وعلى نفس الدرب يحاول السيسى أن يمضى مستفيداً من درس الماضى.. وقارئاً لأعاصير الحاضر.. وناظراً إلى المستقبل.. بقلب المحب وعقل الفاهم وحماس المخلص وهؤلاء حالياً أشبه بثقوب سوداء فى ثوب أبيض قماشته العريضة من الغلابة.. لكن النواعم من أرباب الحرير والديباج والرحرحة لا يريدونها أن تستقيم.. إلا إذا أكلوا خيرها وحدهم.

لقد كان مبارك وبن على من أكبر الحلفاء للأمريكان.. وعندما هبت الجماهير بعد تسخينها وارتفع صوتها وقالت كلمتها.. تخلت الإدارة الأمريكية عن الحليف مقابل الإيحاء للجماهير بأنها فى صفها ثم بعد ذلك كانت الخطوة التالية بالالتفاف واستقطاب النظام الجديد عن طريق سياسة الدعم الذى تعطيه باليمين لتأخذ أضعافه باليسار ومن قرأ فكر صمويل هنتنجتن

وبرنارد لويس.. سيدرك أن منهج الفوضى هو اختراع استعمارى أصيل حيث يرتبط خلق عدم الاستقرار واستثمار الضغوط الاقتصادية فى قهر الأنظمة وإخضاعها لحساب القوى الكبرى.. تحقيقاً للهيمنة.. ومن هنا كان رد الشعوب أن ما يملك رغبته.. يمتلك إرادته.. والقاعدة الذهبية فى نظرية الفوضى: الشيطان الذى تعرفه أفضل من المجهول الذى لا تعرفه ومن هنا يتم استهداف مجموعات قبلية أو عرقية أو دينية أو سياسية.. وتقوية شوكتها من أجل ضرب عصب الدولة من اتجاهات عدة فلا تعرف من أين تأتيها الضربة.. وهى مشتتة ومن هنا يجب أن تدرك بلادنا العربية.. وبلاد ما يسمى بالعالم الثالث عموماً.. ان تذكية نيران الخلافات والانقسامات أهم أركان لعبة الفوضى.

جاهزون

وجرائد الإحباط وقنوات الابتزاز وفنون المسخرة لا تتوقف عن العزف اليومى على وتر الحرية والديمقراطية وهى تنشر روح العداء والانقسام والبغضاء إنها معركة واضحة المعالم بين قطاع كبير وعظيم ومخلص ووطنى يقف بكل ما يملك فى خندق الجيش والشرطة والقضاء.. ويذود عن الدولة بالغالى والنفيس وهو يعرف أن مصر جائزتهم الكبرى.. بعد انهيار العراق وسقوط دمشق وتمزق طرابلس.. ودماء صنعاء.. وبكاء تونس.. وانقسام السودان.

هؤلاء يقبضون على جمر الوطن فى مواجهة الشلة إياها..

والعصابة التى ذكرت لك كباتنها وقبضاياتها فى جانب آخر.. يشككون فى كل شىء.. ويهاجمون كل شىء.. ولكنهم بإذن ربنا وقوته وفضله لن يصلوا إلى شىء.. لأن اللعب الآن أصبح على المكشوف وعرائس الماريونيت أمامنا بالأسماء فى قائمة سوداء مهما حاولوا تبييض الوجوه.

اكنسوا النفوس أولاً

قال له عندما وجده يمسك بالمكنسة ويسعى لإعادة الشارع إلى جماله الغائب المفقود: يا ولدى نشكرك على جهدك هذا ولكن هل فكرت أن تكنس نفسك قبل أن تكنس الشارع؟

سأله الشاب: وهل زبالة نفسى أخطر من زبالة الطرقات؟

قال العجوز: قل لى ماذا تسمع؟.. قل لى ماذا ترى؟.. قل لى ماذا تعمل؟.. قل لى كيف تعمل؟.. قل لى: ماذا تلبس؟.. قل لى ماذا تقرأ؟.. قل لى كيف تفكر؟.. بدت علامات الدهشة على وجه الشاب: وما علاقة كل هذا بكناسة الشارع يا جدى؟!

يقول الجد للحفيد: يا ولدى إنها الحرب على عقلك وقلبك.. واعلم أن حروب العصور الحديثة لا تتم بالصاروخ والطائرة والمدفع كما كان يجرى سابقاً.. إنها تصيبك وتستهدفك فى

بيتك من خلال الفيلم والمسلسل والبرنامج ووسائل التواصل الاجتماعى.. والصهاينة انتبهوا إلى ذلك مبكراً وامتلكوا وسائل الإعلام بأشكالها لكى تصل رسالتهم المزيفة إلى الجميع.. وهى لعبة أدرك أبعادها «هتلر» الذى قال أعطنى الإعلام الموجه.. أعطك شعباً مستسلماً.

وكان طبيعياً أن تدخل الأموال المشبوهة إلى هذه الدائرة لأن مصالحها توجد حيث العنف والانفلات والانحراف وهى أسواقها التى لا تخسر.. وهذا هو ما نراه وهو ما أشار إليه القرآن الكريم صراحة.. عندما ربط بين إشاعة الفواحش والقتل والسرقة حيث قال المولى سبحانه وتعالى: «والله يريد أن يتوب عليكم ويريد الذين يتبعون الشهوات أن تم﴿ **وَاللَّهُ يُرِيدُ أَن يَتُوبَ عَلَيْكُمْ وَيُرِيدُ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الشَّهَوَاتِ أَن تَمِيلُوا مَيْلاً عَظِيماً (٢٧) يُرِيدُ اللَّهُ أَن يُخَفِّفَ عَنكُمْ وَخُلِقَ الإِنسَانُ ضَعِيفًا (٢٨) يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُم بَيْنَكُم بِالْبَاطِلِ إِلاَّ أَن تَكُونَ تِجَارَةً عَن تَرَاضٍ مِّنكُمْ وَلا تَقْتُلُوا أَنفُسَكُمْ إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا** ﴾ (صدق الله العظيم) (النساء: ٢٧ إلى ٢٩).

هنا أدرك الفتى أن منابع الفساد كلها تصب فى نهر واحد.. وإذا أردنا أن نحارب القبح الذى يحيط بنا يجب أن نحاربه أولاً فى نفوسنا.. فهل فهمت الرسالة يا فتى؟!

أنت مصرى

لأن الذكرى تنفع المصريين.. راح الجد يعيد قراءة ما كتبه الدكتور وسيم السيسى الجراح الفرعونى المعاصر العاشق لتراب البلد.. فى كتابه «مصر علمت العالم».. فقد علمته الإيمان بالإله الواحد وقد كتب إخناتون فى بردية موجودة بالمتحف البريطانى: أيها الواحد الأحد الذى يطوى الأبد يا مخترق الأبدية ونورك يحيط بجميع مخلوقاتك يا موجد نفسك بنفسك أنت حى وأزلى يا مرشد الملايين إلى السبل.. يا خالق الجنين فى بطن أمه.

حضارة مصر النهرية.. تعلمت من النيل جمع الشمل.. الحب وإلا هلكنا فى الصحراء.. علمنا النيل الوحدة والتوحد حتى نزرع وحتى نحصد وحتى نصد خطر الفيضان.. النيل علمنا فضيلة الصبر فى انتظار المحصول علمنا صناعة الورق من البردى والحبر الأزرق من نبات «النيلة» والأقلام من البوص والدواء من النباتات الطبية كما علمنا النظام فى هندسة الرى.. والأمن الداخلى والخارجى.. والإدارة المالية وظهرت فى هذا الوقت أول حكومة فى التاريخ وهو التطور الطبيعى لمفهوم الدولة بمؤسساتها.

العبقرية تتكلم

ومن وسيم إلى عبقرى الجغرافيا جمال حمدان الذى وصف مصرنا بأنها فلتة الجغرافيا التاريخية فهى فى إفريقيا بالجغرافيا وفى آسيا بالتاريخ وهى فى الصحراء ولم تلد منها بجسمها النهرى قوة بر وبسواحلها قوة بحر تقع فى الشرق وتطل على الغرب وهى قطب القوة للعالم العربى وحجر الزاوية

للعالم الإفريقى وأصل الحضارة للعالم كله.. ورغم تعدد الغزوات التى مرت على مصر كانت تغييراً فى الحكام ولم تكن تغييراً فى شخصية مصر.. طردت الهكسوس وجعلت الإسكندر يعتنق الآمونية وجعلت روما تعتنق المسيحية ووضعت أسس الرهبنة فى المسيحية والتصوف فى الإسلام.. ودافعت عن الإسلام فى ذات الصوارى وحطين وعين جالوت كما بنت القلاع والمساجد والحصون وعمرت خزائن بغداد بنفائس الإسكندرية.. مصر هى التى جمعت الحدث النبوى الشريف وسجلته على ورق البردى فأصبح أقدم المخطوطات العربية.. ابن منظور القبطى المصرى وضع كتاب «لسان العرب».. وجاء «ورش» القبطى المصرى يرتل القرآن الكريم الذى انتشر فى العالم كله بقراءة ورش حتى الآن.. وهنا يأتى دور عاشقة النيل د. نعمات أحمد فؤاد لكى تقول: سقت مصر الأديان بطبعها الفنان فتبدأ وتختم بالبياتى والبياتى نغمة حناجرنا.

يا أخى ارفع رأسك.. وافخر بجيشك العظيم الذى قال عنه نابليون بونابرت:

– لو كانت لى جيوش من المصريين لملكت العالم كله وعندما تعرف من يحكم مصر.. سأقول لك من يحكم مصر!

ياه.. إلى هذا الحد يا نابليون.. وعندنا فى مصر من يهين الجيش ولا يعرف قدر حاكمها ويتطاول عليه.. ويفتح الباب أمام تماحيك الاتحاد الأوروبى وألعاب أمريكا السافلة.. ومكائد تركيا وفلوس قطر التى تمول كل من يعادى بلادنا.. وركبها الغرور بأموالها وقفاتها وظنت أنها عظمى ونسيت أنها لا

تتجاوز حي شبرا الذى يزيد عنها عدداً وعتاداً أضعاف الأضعاف.. وهى مع كل ذلك ولكل ذلك ثابتة بمخزونها الحضارى وأعطاها خاصية التفوق وكانت دائماً تتصرف كدولة مستقلة لأن خصائص شخصيتها الاستراتيجية تكمن فيها دائماً وأبداً وهى بإذن الله قاهرة كل مؤامرة فهل يدهشك بعد ذلك أن مصرنا كانت ولا تزال ضد التطرف فى كل شىء.. فهى عنوان الوسطية والكرم عندها بين الإسراف والبخل.. والشجاعة وسط بين الجبن والتهور.. لذلك كان إسلام مصرنا مختلفاً عن إسلام الدول الأخرى وكذلك مسيحية مصر أيضا.. لهذا انقرضت الشيعة تلقائياً وزالت.

مصر هى أم القانون.. وهى عنوان العدل والعدالة عندما يغيب عنها القانون تتغير ملامحها.. وتكاد لا تعرفها ولا هى تعرف نفسها.. حتى باتت هى القانون وبه تبلغ الشموخ والعلو.. وبدونه تتعرى وتتوارى.

اسأل نفسك

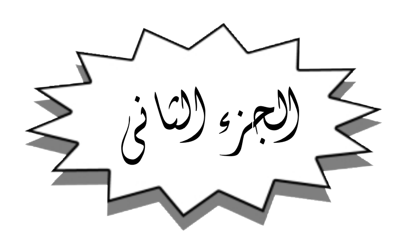
من كان يدعى أنه مصرى بحق فعليه أن يسأل نفسه كما كان يفعل أهل مصر القديمة والأسئلة منها:

هل حفظت جسدك طاهراً؟ هل قتلت نفساً بغير حق؟ هل عذبت حيواناً؟ هل تعلقت بالدنيا بسلاسل من ذهب؟ هل عميت عن أمور الآخرة؟ هل صنت نفسك ولسانك عن شهادة الزور؟ هل عرفت السحر الأسود ودنست نفسك به؟ هل خنت جارك أو

صديقك الذى ائتمنك على عرض بيته؟.. هل اعتنيت بالنباتات وأطفأت ظمأها؟ هل كرهت إنساناً؟ هل جلبت الرضا لقلب أمك والشرف لبيت أبيك؟ هل امتدت يدك لسرقة ما ليس لك؟ هل أعطيت خبزك للمحتاج؟ وبعض ثمار حقلك للمنهكين؟ هل كنت تلوث نهر النيل؟

مصريات

- اهربوا من صغائر الأمور.. فإن بلادكم كبيرة.. وأنتم أكابر!
- كثرة الكلام تقتل الرغبة فى الفعل.. وتفتح أبواب الشيطان.. وأعوانه وإخوانه من حولنا فى مواقع عديدة.. داخل مصر وخارجها!
- من أراد تقسيم مصر.. قصمه الله.
- تجار الدجل والشعوذة والتنجيم والانحلال.. لا يعادلهم فى الشيطنة إلا تجار الدين!





صورة ٣ يوليو
بكل الألوان

فى الثالث من يوليو عام ٢٠١٣، كان الجميع ينتظر بيان القوات المسلحة، الملايين فى الشوارع تطالب بإسقاط حكم الإخوان، رافعين شعار «يسقط يسقط حكم المرشد» لعلمهم أن القرارات التى كان يتخذها مرسى خلال حكمه كانت من مكتب الإرشاد.

سبق الاجتماع بساعات، خطاب لمرسى فى مساء ٢ يوليو يرفض فيه مطالب الشعب بإجراء انتخابات رئاسية مبكرة، بل وذكر كلمة الشرعية وتمسكه بها عشرات المرات، حيث جاء خطابه مخيباً لآمال المصريين.

وبدأ الاجتماع الذى دعت له القوات المسلحة لحل الأزمة، والذى رفض قيادات الإخوان حضوره أكثر من مرة، حيث رفض محمد سعد الكتاتنى، رئيس حزب الحرية والعدالة حضور الاجتماع، بينما حضر باقى القوى السياسية من بينهم الدكتور محمد البرادعى، رئيس حزب الدستور آنذاك، ومحمود بدر، مؤسس حركة تمرد، وسكينة فؤاد الكاتبة الصحفية، وجلال مرة، الأمين العام لحزب النور، بجانب شيخ

الأزهر الدكتور أحمد الطيب، والبابا تواضروس، بالإضافة إلى قيادات القوات المسلحة وعلى رأسهم وزير الدفاع آنذاك عبدالفتاح السيسى.

انتهى الاجتماع الذى استمر لساعات، مساء ٣ يوليو بكلمة المشير عبد الفتاح السيسى، التى قال فيها نصاً: «بسم الله الرحمن الرحيم.. شعب مصر العظيم، إن القوات المسلحة لم يكن فى مقدورها أن تصم آذانها أو تغض بصرها عن حركة ونداء جماهير الشعب التى استدعت دورها الوطنى، وليس دورها السياسى على أن القوات المسلحة كانت هى بنفسها أول من أعلن ولا تزال وسوف تظل بعيدة عن العمل السياسى».

ولقد استشعرت القوات المسلحة - انطلاقاً من رؤيتها الثاقبة - أن الشعب الذى يدعوها لنصرته لا يدعوها لسلطة أو حكم وإنما يدعوها للخدمة العامة والحماية الضرورية لمطالب ثورته.. وتلك هى الرسالة التى تلقتها القوات المسلحة من كل حواضر مصر ومدنها وقراها وقد استوعبت بدورها هذه الدعوة وفهمت مقصدها وقدرت ضرورتها واقتربت من المشهد السياسى آملة وراغبة وملتزمة بكل حدود الواجب والمسئولية والأمانة.

لقد بذلت القوات المسلحة خلال الأشهر الماضية جهوداً مضنية بصورة مباشرة وغير مباشرة لاحتواء الموقف الداخلى وإجراء مصالحة وطنية بين كل القوى السياسية بما فيها مؤسسة الرئاسة منذ شهر نوفمبر ٢٠١٢.. بدأت بالدعوة لحوار وطنى

استجابت له كل القوى السياسية الوطنية وقوبل بالرفض من مؤسسة الرئاسة فى اللحظات الأخيرة.. ثم تتابعت وتوالت الدعوات والمبادرات من ذلك الوقت وحتى تاريخه.

كما تقدمت القوات المسلحة أكثر من مرة بعرض تقدير موقف استراتيجى على المستوى الداخلى والخارجى تضمن أهم التحديات والمخاطر التى تواجه الوطن على المستوى الأمنى والاقتصادى والسياسى والاجتماعى، ورؤية القوات المسلحة بوصفها مؤسسة وطنية لاحتواء أسباب الانقسام المجتمعى وإزالة أسباب الاحتقان ومجابهة التحديات والمخاطر للخروج من الأزمة الراهنة.

فى إطار متابعة الأزمة الحالية اجتمعت القيادة العامة للقوات المسلحة رئيس الجمهورية فى قصر القبة يوم ٢٠١٣/٦/٢٢ حيث عرضت رأى القيادة العامة ورفضها للإساءة لمؤسسات الدولة الوطنية والدينية، كما أكدت رفضها لترويع وتهديد جموع الشعب المصرى.

ولقد كان الأمل معقوداً على وفاق وطنى يضع خارطة مستقبل، ويوفر أسباب الثقة والطمأنينة والاستقرار لهذا الشعب بما يحقق طموحه ورجاءه، إلا أن خطاب السيد الرئيس ليلة أمس وقبل انتهاء مهلة الـ٤٨ ساعة جاء بما لا يلبى ويتوافق مع مطالب جموع الشعب.. الأمر الذى استوجب من القوات المسلحة استناداً إلى مسئوليتها الوطنية والتاريخية التشاور مع بعض رموز القوى الوطنية والسياسية والشباب ودون استبعاد

أو إقصاء لأحد.. حيث اتفق المجتمعون على خارطة مستقبل تتضمن خطوات أولية تحقق بناء مجتمع مصرى قوى ومتماسك لا يقصى أحداً من أبنائه وتياراته وينهى حالة الصراع والانقسام وتشتمل هذه الخارطة على الآتى:

● تعطيل العمل بالدستور بشكل مؤقت.

● يؤدى رئيس المحكمة الدستورية العليا اليمين أمام الجمعية العامة للمحكمة.

● إجراء انتخابات رئاسية مبكرة على أن يتولى رئيس المحكمة الدستورية العليا إدارة شئون البلاد خلال المرحلة الانتقالية لحين انتخاب رئيس جديد.

● لرئيس المحكمة الدستورية العليا سلطة إصدار إعلانات دستورية خلال المرحلة الانتقالية.

● تشكيل حكومة كفاءات وطنية قوية وقادرة تتمتع بجميع الصلاحيات لإدارة المرحلة الحالية.

● تشكيل لجنة تضم كل الأطياف والخبرات لمراجعة التعديلات الدستورية المقترحة على الدستور الذى تم تعطيله مؤقتاً.

● مناشدة المحكمة الدستورية العليا لسرعة إقرار مشروع قانون انتخابات مجلس النواب والبدء فى إجراءات الإعداد للانتخابات البرلمانية.

● وضع ميثاق شرف إعلامى يكفل حرية الإعلام ويحقق

القواعد المهنية والمصداقية والحيدة وإعلاء المصلحة العليا للوطن.

● اتخاذ الإجراءات التنفيذية لتمكين ودمج الشباب فى مؤسسات الدولة ليكون شريكا فى القرار كمساعدين للوزراء والمحافظين ومواقع السلطة التنفيذية المختلفة.

● تشكيل لجنة عليا للمصالحة الوطنية من شخصيات تتمتع بمصداقية وقبول لدى جميع النخب الوطنية وتمثل مختلف التوجهات.

● تهيب القوات المسلحة بالشعب المصرى العظيم بكل أطيافه الالتزام بالتظاهر السلمى وتجنب العنف الذى يؤدى إلى مزيد من الاحتقان وإراقة دم الأبرياء.. وتحذر من أنها ستتصدى بالتعاون مع رجال وزارة الداخلية بكل قوة وحسم ضد أى خروج عن السلمية طبقا للقانون وذلك من منطلق مسئوليتها الوطنية والتاريخية.

كما توجه القوات المسلحة التحية والتقدير لرجال القوات المسلحة ورجال الشرطة والقضاء الشرفاء المخلصين على دورهم الوطنى العظيم وتضحياتهم المستمرة للحفاظ على سلامة وأمن مصر وشعبها العظيم.

حفظ الله مصر وشعبها الأبى العظيم.. والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

وبعد الكلمة مباشرة احتفل المصريون فى ميدانى التحرير

والاتحادية، إلى جانب مختلف محافظات مصر ببيان القوات المسلحة، وعمت الأفراح فى الشوارع بعد أن سقط حكم الإخوان، وبدأت مرحلة جديدة أنهت مساعى الإخوان للسيطرة على جميع مفاصل الدولة.

أبطال المشهد وإكسسواراته

فى المشهد رجال.. صنعوه.. وفى المشهد رجال صنعهم المشهد.. وأثبتت الأيام أنهم مجرد قطع من الإكسسوار.. حتى يعرف الجميع فى الداخل والخارج.. أن ثورة ٣٠ يونيو وإن قامت ضد فصيل يلبس ثوب الإسلام فليس معنى ذلك أنها ضد أطياف الإسلام.. أو الإسلام نفسه.. لأن الإرهابى الذى يحمل كتاب الله فى صدره ويحمل قنبلته ومدفعه إلى جانب المصحف.. ولا يستثنى ولا يفرق فى غدره.. بين مسلم وغير مسلم.. الدم عنده واحد.. والهدف واحد.. الوصول إلى السلطة.. لذلك أصابهم الجنون عندما أمسكوا بالسلطة وأجبرهم الشعب على تركها لأنهم ليسوا أهلاً لها.

تصدر الصورة الجيش من خلال وزير دفاعه عبدالفتاح السيسى.. وضمت شيخ الأزهر وبابا الكنيسة.. وممثلاً عن حركة تمرد الشابة ومحمد البرادعى ممثلاً للتيار المدنى وحزب الدستور الذى كان يرأسه.. وممثلاً عن حزب النور باتجاهه الدينى.. وسنعرف أن حضور البرادعى والنور لم يكن إلا للضرورة التى فرضتها الظروف.. وهنا نتوقف أمام هذه الوجوه أصحاب المشهد التاريخى.



عبدالفتاح السيسى

عاشت مصر طوال ثلاث سنوات فوق صفيح ساخن.. فمنذ ثورة يناير والناس يدركون أن زمنا ولى وعصراً جديداً يوشك أن يولد، جاءت حكومات وذهبت.. وبعد الرئيس الأوحد لثلاثين عاماً، أصبح لدينا رئيس مخلوع وآخر معزول وثالث مؤقت ورابع منتخب فى أعقاب ثورة ٣٠ يونيو.

مخاض عسير، تقلبت فيه أحوال البلاد والعباد وتطلعت فيه الأبصار والأفئدة إلى البطل المنقذ.. الرجل الذى لا يخشى الإرهاب ويستطيع أن يواجه انهيار الاقتصاد وعدم إحساس الناس بالأمان والاستقرار.

جاءالسيسى على قدر، وانعقدت عليه الآمال.. على كتفيه إرث المؤسسة العسكرية الوطنية العريقة، وأحلام شعب فقد الحد الأدنى من شروط الحياة الإنسانية الكريمة.

أصغر قائد فى المجلس العسكرى إبان ثورة يناير، جاء كى يكتب التاريخ ويعيد إلى مصر وجهها الحضارى فى لحظة تموج فيها المنطقة العربية بالمحن والفتن.. ويضرب الإرهاب الأسود فى جنباتها.

☆☆☆

فى كتابه الشهير «الأبطال» يقول تومس كارلايل إن «البطل هو الذى يصنع تاريخ أمته».. فالتاريخ الإنسانى هو فى حقيقة الأمر تاريخ الأبطال والرجال الذين قادوا السفينة وسط العواصف والأمواج العالية كى يصلوا به إلى بر الأمان.

يجلجل صوت المؤذن فى الجزء الأخير من الليل وقد سكنت الحركة فى هذا الحى الشعبى العتيق.. إلا من هؤلاء الذين خاصمهم النوم يمشون فى الظلمات إلى نور الله.. أو هؤلاء الذين لا يملكون رفاهية النوم لأن أرزاقهم فى بكورهم يتمتمون باسم الله ويتوكلون على الحى القيوم ويسألونه خير هذا اليوم وما بعده ويقولون: «نعوذ بالله العظيم وبوجهك الكريم وسلطانك القديم من الشيطان الرجيم.. بسم الله والصلاة والسلام على رسول الله.. اللهم افتح لنا أبواب رحمتك» فى حى الجمالية تستطيع بسهولة أن تسمع وقت أذان الفجر سيمفونية إيمانية فريدة لا يمكن أن تجد لها مثيلاً إلا فى مدينة الألف مئذنة.

فى الجمالية تشم رائحة التاريخ وأنت على مرمى خطوات من الأزهر الشريف.. ومسجد الحاكم بأمر الله.. والجامع الأقمر.. وأسوار القاهرة العتيقة ومدارسها الأيوبية وحى خان الخليلى والصاغة والنحاسين أمامك وحولك وخلفك وعن يمينك وشمالك باب النصر وباب الفتوح وبين القصرين وباب الشعرية والدرب الأحمر وحى الحسين ومسجده.

حى على الصلاة.. حى على الفلاح

الله أكبـر الله أكبـــر لا إله إلا الله

هنا يبـحث عن آثار وخطى ابن الجـمـاليـة الذى شـهـد له كـبـار الحى جميعا أن الشاب عبدالفتاح أو حضرة الضابط أن الحاج سعيد السيسى من الذين تتجافى جنوبهم عن المضاجع خوفاً وطمعاً ويحرص على صلاة الفجر فى جماعة.

ها هى حارة البرقوقية حيث ولد.. ويا سبحان الله فقد جمع التاريخ والجغرافيا بين شخص السلطان سيف الدين برقوق والضابط عبدالفتاح السيسى فكلاهما برع فى فنون العسكرية والحـــرب وكـلاهمـا لـم يسع للسلطة لكنهـا الظروف تحـيط بالشخص.. وتفرض عليه بدافع النخوة والرجولة والوطنية أن يقول كلمته لوجه الله.

«ربنا اغفر لنا ولإخواننا الذين سبقونا بالإيمان ولا تجعل فى قلوبنا غـلا للذين آمنوا ربنا إنك رءوف رحـيم (الحـشـر ١٠).. هكذا يأتى صوت إمام المسجد فى الركعة الثانية من صلاة الفجر.

وقد بدأت الأرض تشرق بنور ربها شريط الأحداث يجرى باسم مصر.. مرة بدعوى الديمقراطية والتوريث.. وأخرى باسم الدين ويتمتم فى سره مع خطواته الرزينة المتزنة:

«اللهم أقسم لنا من خشيتك ما تحول به بيننا وبين معاصيك ومن طاعتك مـا تبلغنا به جنتك ومن اليـقين مـا تهون به علينا مصائب الدنيا اللهم متعنا بأسماعنا وأبصارنا وقوتنا ما حيينا

واجعله الوارث منا واجعل ثأرنا على من ظلمنا وانصرنا على من عادانا ولا تجعل مصيبتنا فى ديننا ولا تجعل الدنيا أكبر همنا ولا مبلغ علمنا ولا تسلط علينا بذنوبنا من لا يخافك ولا يرحمنا.. اللهم اكفنى بحلالك عن حرامك وأغننى بفضلك عمن سواك».

واحد شاى

«وعندك واحد شاى حليب ميزة والسكر بوسطة».. هكذا ينادى «جرسون» قهوة «حسان» وهو يطوف بين الموائد يلبى الطلبات ويجمع الحسابات ويرحب بالزبائن وأغلبهم وجوههم معتادة ومشروباتهم معروفة «حلبه حصى».. «قهوة مضبوط». «سحلب بالمكسرات».. «شاى سادة على ميه بيضا».. يحضرون غالبا ومعهم إفطارهم من عربات الفول أو المطاعم البسيطة.. أو محلات الفطائر هنا فى الجمالية أطلب تجد حيث لا نوم ولا دمع يا عينيه» صور السيسى تغطى حوائط المنطقة وكيف لا وهو «ابن الحته؟ مصدر الفخر والاعتزاز.

هنا مناطق الفتوات رموز الجدعنة لأن قوتهم ضد المستبد الباغى يعرفون الواجب والأصول كلمتهم مثل السيف لكل حارة فتوة فى العطوف وقصر الشوق وأرض المماليك والحسين والغورية.. وإذا طلبت المزيد عن السيسى علينا أن نرجع إلى ابن الحتة أيضًا الأديب الكبير نجيب محفوظ فهو شاهد عيان على الجمالية وعنها يقول: «هنا نجد عالماً غريباً حيث تتمثل فى

الحارة جميع طبقات الشعب المصرى نجد مثلاً ربعاً يسكنه ناس بسطاء أذكر منهم عسكرى بوليس، وموظفاً صغيراً فى كبانية الميه، امرأة فقيرة تسرح بفجل أو لب وزوجها ضرير لهم حجرة فى الربع وأمام الربع مباشرة تجد بيتاً صغيراً تسكنه امرأة من اللواتى تلقين التعليم وتوظفن ثم نجد بيوت أعيان كبار مثل بيت السكرى، وبيت المهيلمى وبيت السيسى.. وبيوت قديمة أصحابها تجار أو من أولئك الذين يعيشون على الوقف كنت تجد أغنى فئات المجتمع ثم الطبقة المتوسطة ثم الفقراء لهذا نجد القلوب مؤتلفة وقريبة من بعضها البعض تجمعها الجيرة والمودة ودفء الأحياء العتيقة.. والجذور والنشأة تحدد مسار الإنسان وأبناء الأصول والعائلات الراسخة يلتزمون أكثر من غيرهم لأن الكل يتطلع إليهم.. وهذا هو.. عبدالفتاح ابن الحاج سعيد السيسى.. وقد سمعت كبار الحى يقولون عنه: «كان دائماً وأبداً فى حاله.. لا يميل إلى مخالطة الآخرين فهو لا يوجد على المقاهى المنتشرة هنا وهناك. حيث لا شاى ولا قهوة ولا سيجارة.. فقط يحب الرياضة.. ويعتز جداً بأديب الجمالية نجيب محفوظ.. ويشعر أنه شارك فى كتابة الثلاثية أو قل أحد أبطالها بشكل أو بآخر هنا كانت مدرسته الابتدائية «البكرى» ثم تحول قليلا فى الإعدادية إلى مدرسة باب الشعرية ثم فى المرحلة الثانوية درس بنفس مدرسة نجيب محفوظ وهى خليل أغا الثانوية وفيها بدأ يلعب الحديد وأسرته الكبيرة أعمامه وأولادهم يجمعهم بيت الجد الحاج حسين خليل وقد اشتهروا بصناعة الأرابيسك وهنا سوف

يطوف بخيالك مسلسل «أرابيسك» وكيف كان حسن أرابيسك بطل العمل يبحث عن هويته وجذوره بين ما هو فرعونى وقبطى وإسلامى وعربى وأفريقى وآسيوى ويجد أنه خلطة سحرية من كل هؤلاء يقول الجد الذى تابع هذا المسلسل أكثر من مرة:

يا سبحان الله؟ هل كان أسامة أنور عكاشة مؤلف ليالى الحلمية والذى أحب أيضا هذه المنطقة وهو يمضى على طريق نجيب محفوظ هل كان يعرف أن ابن «أرابيسك» سوف يظهر بعد سنوات مثل شهاب لكى يمسك بقبضته التاريخ وهو ينقذ البلاد والعباد من أنياب عصابة تاجرت بالإسلام لكى تسرق هوية مصر وتبيعها فى أسواق الشرق الأوسط كقطع غيار ودويلات صغيرة هنا وهناك فى مؤامرة غير مسبوقة انظر إلى والد عبدالفتاح أنه الحاج سعيد ومع ذلك شهرته «حسن» فهل استمد أسامة أنور عكاشة واستوحى بطله من الوالد الذى كان اسمه مكتوبا بماء الذهب على واجهة المحل وعلى الحائط «شهادة الدارة» التى حصل عليها من الرئيس السادات وإلى جانب ذلك محلات الأشقاء شعبان ومحمود ومحمد وكلهم أيضا أهل «أرابيسك» وغيرهم من أعمام عبدالفتاح درسوا الهندسة مثل مرزوق وخليل.

تمتلك العائلة أكثر من عشرة محلات وأفرادها يقتربون من الألف أبا عن جد عن عم عن خال.. وجمال عبدالناصر عاش أيضا فى هذا الحى التاريخى مع خاله عندما جاء من

الإسكندرية فى حارة تبعد أمتاراً قليلة عن بيت السيسى وهكذا جمعت الصورة الواحدة بين عبدالفتاح وجمال.. وها هى الصورة أيضا نجيب محفوظ وأسامة أنور عكاشة لكن ما يمنح الصورة جمالها الحقيقى هذا الشعب العظيم.. الذى استمد حكمته من قول الصوفية:

- الشىء الذى لا يمكن التعبير عنه بكلمات.. لا يمكن إدراكه إلا بالصمت.

- وآه من الصمت وآه من الصامتين.. أليس كذلك يا عبدالفتاح؟!

فى كتابه الشهير «الأبطال» يقول مؤلفه «توماس كارلايل»

البطل هو الذى يصنع تاريخ أمته.. والتاريخ الإنسانى هو فى حقيقة الأمر تاريخ الأبطال.. لكن المجتمعات الديمقراطية تؤمن بأن التاريخ يكتبه الشعب كله.. وهنا يقول ضابط مخضرم: «نحن فى الجيش نتدرب على روح الجماعة ونؤمن بدور كل فرد فى المجموعة ويتحمل القائد كامل المسئولية هذا هو قدره الذى لا مهرب منه ولا مفر وأروع الأبطال عندنا هؤلاء الذين تتوافق غاياتهم وأفعالهم مع غايات الشعب لذلك تعتز المؤسسة العسكرية بأنها خادمة الشعب والمنحازة إليه والحارسة على أمنه وسلامته».. وقد جاء فى البيان الأول بعد الخروج العظيم للشعب فى ٣٠ يونيو ٢٠١٣ أن القوات المسلحة لن تكون طرفاً

فى دائرة السياسة أو الحكم ولا ترضى أن تخرج عن دورها المرسوم لها فى الفكر الديمقراطى الأصيل النابع من إرادة الشعب لقد استشعرت القوات المسلحة بخطورة الظرف الراهن وأن الأمن القومى للدولة معرض لخطر شديد لقد عانى هذا الشعب الكريم ولم يجد من يرفق به أو يحنو عليه وهو ما يلقى بعبء أخلاقى ونفسى على القوات المسلحة.

ويفتح الضابط المتقاعد دولابه ينفض الغبار عن بدلته العسكرية وما يلمع فوقها من أوسمة ونياشين ورتب ويأتيه صوت الأغنية التى أصبحت أيقونة ٣٠ يونيو فهى لم تنفرد بالغناء للقائد السيسى بل غنت للجيش كله:

تسلم الأيادى.. تسلم يا جيش بلادى.. واسألوا الرمل اللى فى سينا.. أنت مروى بدم مين؟ دم حنا ولا مينا؟ ولا دم المسلمين ولا صاحبى أو أخويا من عشرة سنين.. وتسلم الأيادى.

الإخوانى

قلة قليلة هى التى كانت تعرف السيسى أصغر أعضاء المجلس العسكرى بعد رحيل مبارك وادخل إلى محرك البحث «جوجل» واكتب اسم السيسى ثم اضغط «الماوس» وستظهر لك المعلومات تقول:

إن هذا الضابط الصامت فى أغلب الوقت والذى لا يحب الأضواء ويهرب من الزحام والبهرجة والذى يتولى إدارة المخابرات الحربية الذى تربى على أصوات الشيخ محمد رفعت

وعبدالباسط عبدالصمد وأبو العينين شعيشع والمنشاوى ومنصور الشامى الدمنهورى وكامل البهتيمى تهتز القلوب بكلمات القرآن الكريم وهو فى كل وقت وحين يسأل ربه أن يجعل كتابه ربيع قلبه ونور عينيه ومرشده إلى طريق الصواب وأقصى ما يرجوه رضا ربه وأمه وأن تكون قرة عينه فى الصلاة على أوقاتها وقانونه الأبدى:

«لا طاعة لمخلوق فى معصية الخالق»

وهكذا يتحدث التاريخ العظيم لأكابر العسكرية المصرية: أحمد عرابى، وعزيز المصرى، وأحمد عبدالعزيز، وجمال عبدالناصر، وعبدالمنعم رياض، والشاذلى، وأحمد بدوى، وأنور السادات.. ويضاف إليهم بقوة السيسى الذى قيل فى بداية تعيينه وزيراً للدفاع إنه من عتاة الإخوان لأنه قابض على جمر دينه بعيداً عن التشدد والمغالاة، مواقع رخيصة بعد ٣٠ يونيو حاولت بكل السبل تشويه صورة الرجل فلم يزده ذلك إلا حباً واعتزازاً فى قلوب الملايين وقد رأت فيه ذلك الوطنى المخلص الذى أدرك وأيقن أن دنياه كلها لا تساوى عند خالقها جناح بعوضة وأنه مهما بلغ لن يخرق الأرض ولن يبلغ الجبال طولا وآثر أن يقول كلمته ويؤدى دوره وبينما كانت عيون العالم كلها على تلك الجلسة التاريخية التى جرى فيها إعلان خارطة الطريق فى وجود شيخ الأزهر وبابا الكنيسة ورموز البلاد أسرع من فوره إلى أمه فى مدينة نصر يقبل اليد والجبين ويسألها الدعاء من المولى أن يتم نوره على البلاد وأن يعصمها من الانقسام ولأنها

تعـرف بمـوعـده الذى لا يخلفـه تعـد له أكلتـه المفـضلـة «وهى» صينية الفتة.

وتطن دائماً وأبداً فى أذنيه دعوتها الحانية الودودة له: «إلهى يا بنى يوقفلك ولاد الحلال وينصرك على من يعاديك ويكفيك شر حاكم ظالم» قالوا إن هذه الأم الطيبة يهودية الأصل وأن زوجته هى شقيقة رجل إعلانات شهير وأن سوزان مبارك هى التى اختارت له الزوجة.. شائعات ساذجة لا يطلقها إلا المخبول الذى لا يعرف كيف يفبركها ويسبكها جيداً فالضابط الذى يرفض منصباً رفيعاً فى السلك العسكرى مقابل أن تتخلى زوجته عن حجابها أبعد ما يكون عن هذا الإفك الرخيص نعم هو المسلم الملتزم وكذا أهل بيته وكيف لا والقرآن الكريم هو نور البيت والعقل والقلب آناء الليل وأطراف النهار:

﴿ **وَالَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَاجِنَا وَذُرِّيَّاتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ وَاجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا** ﴾ «الفرقان ٧٤»

والناس قد تخلط بين الطيبة والقلب المتسامح المترفع عن الصغائر والضعف والاستكانة ومنذ اليوم الأول لتسلمه قيادة الجيش المصرى فى ١٢ أغسطس ٢٠١٢ كان الهدف الأول إعادة بناء القوات المسلحة وعلى مدى ٨ شهور شهد عشرات التدريبات التى لم تتحقق عبر سنوات طوال.. كانت عين السيسى على التدريب والعين الأخرى على ما يتم أمامه من اختطاف لمصر وأخونتها بل وانقسامها على أهلها بفعل فاعل يفترض فيه أن يجمعها على قلب

رجل واحد وقد حاول الجيش بحكم دوره الحارس لأمن البلاد أن يجمع الفرقاء تحت لواء لكن رئاسة مرسى أحرجته فى لحظة ساخنة ثم كان حادث الاعتداء على جنودنا عند الحدود وبعضهم لم تكن شربة ماء الإفطار بعد صيام قد بلغت جوفه فتلهم الإرهاب وكان بإمكان قيادة الجيش أن تثأر لرجالها وشرفها العسكرى فى اللحظة ذاتها ثم جاءت حادثة اختطاف مجموعة جنود الأمن المركزى لكى تؤكد لقائد الجيش أن هناك من يسعى لكى يختطف الوطن لصالح أهله وعشيرته فماذا يكون دور الجيش إذا لم يتدخل لحفظ أمن البلاد وخرج الرجل الأول يقول للناس:

لن نترككم للخوف وأشرف لنا أن نموت ولا تمتد أيادينا إليكم إلا بالحب وليس بالسلاح كانت الكلمة بليغة والإشارة واضحة والصدام يقترب لا محالة تتجمع المعلومات عند القائد ولعبة المعلومات هى مهارته التى يعرف جيداً كيف يتعامل معها ومع ذلك كانت سياسة السيسى تعتمد على درء الخطر عن الجميع - الرئاسة والشعب - دون الانحياز لطرف على حساب الآخر حتى تظل مصرنا أم الدنيا وأن تكون بمشيئة ربها وسواعد جيشها «قد الدنيا» وأن يظل أهلها فى رباط إلى يوم الدين ولكن كيف ومرسى يأخذها عمدا إلى التقسيم تذهب سيناء إلى غزة وحلايب وشلاتين إلى السودان خيوط المؤامرة تكتمل على مكتب السيسى الرجل الذى يقال عنه انطوائياً هادئاً لا يميل إلى الاعتراض لكنه عند الجد وعندما دقت ساعة الشعب وتحولت الشوارع إلى موجات هادرة من البشر والحماس وقتها ظهر «الصقر» وكشر الأسد المصرى عن أنيابه وآه من غضب

الحليم وآه إذا سولت لك نفسك أن تمس شرف العسكرية خير أجناد الأرض.. تحولت الشوارع إلى حدوتة مصرية بالملايين وحلقت طائرات جيشهم تباركهم وتشاركهم فى حمل أعلام مصر الحبيبة وكأن المسألة بين الجو والأرض قد تلاشت والتحمت فى صورة تحرك الجبال وتهز الحجر وأصبحت حديث العالم كله.

حاول مرسى أن يتخلص من السيسى وفشل وحاول استقطاب بعض رجال الجيش ضده لكن هؤلاء الرجال الموت عندهم أهون من الخيانة.

مرسى يمتلك السلطة والعشيرة والغباء.. والسيسى يعتمد على الله والشعب.. وقد حانت لحظة المواجهة التى لا فرار منها ولا بديل عنها ولله الأمر من قبل ومن بعد.

إنها المواجهة..

- بين إسلام يسعى بكل ما يملك وما لا يملك إلى السلطة والولاء للتنظيم.

- وإسلام يسعى إلى وجه الله والولاء للوطن.

- هذا يحمل قرآنه وينتقى منه ما يتفق مع مشروعه،

- وهذا يحمل قرآنه وهو يدرك أن ربه أعلم بالنوايا وما تخفى الصدور.

- وفى كل لحظة يسأل المسلم الحقيقى لمن الملك اليوم؟

- وفى كل لحظة يسأل الإخوانى: أين السلطة اليوم وغداً؟

ما الفرق بين الانقلاب والثورة؟

الانقلاب فيه عنصر المفاجأة تنقلب فيه مجموعة غالباً هى عسكرية على نظام الحكم تزيحه وتجلس مكانه بعد أن تقبض على زمام السلطة.

والثورة هى فعل شعبى هى تغيير جذرى يقلب الأوضاع رأساً على عقب للأوضاع القائمة يعتقد قادتها أنها تسير بالأمة إلى طريق أفضل وإلى التخلص من الشوائب والأمراض السياسية والاجتماعية التى كانت تنوء بثقلها على أنفاس المواطنين وهى ليست مجرد تطور وتغيير جزئى وعلاج لبعض العيوب بل هى فوران وبركان وقوة لا قبل للحكام على الوقوف فى وجهها وهى من أهم قوانين العلوم السياسية من حيث الحركة والنشاط.

وكل ثورة لها قادتها إلا ثورة هذا الشعب المصرى فقد كان هو قائدها ومحركها وإن رعاها قائد الجيش ابن الجمالية وكان حارسها الأمين وراعى خريطة مستقبلها نحو الغد وإن ظهر فى الصورة لكنه لم يستأثر بالظهور وحده فى الكادر.

على شاشة التليفزيون تظهر بعض المسيرات لأنصار مرسى المعزول إنهم يبحثون عن الشرعية ويسمون حماية الجيش لإرادة الشعب انقلاباً عسكرياً.. وينسون أن قائد الجيش عاد إلى موقعه وسلم السلطة إلى رئيس المحكمة الدستورية وأصبح

فرداً فى حكومة مدنية احتفظ فيها بنفس منصبه القديم لا أكثر ولا أقل وقال مجدداً للناس فى الداخل والخارج:

- حماية مطالب الشعب أشرف عندى من مقعد الرئاسة!

والدستور الذى تم إصداره فى عام ٢٠١٢ والذى يقول بعد الديباجة فى مجموعة المبادئ الأولية إن السيادة للشعب صاحب الحق الوحيد فى تأسيس السلطات التى تستمد شرعيتها منه وتخضع لإرادته وتلتزم حدود اختصاصاتها ومسئولياتها الدستورية وتحمى المال العام وتحافظ على موارد الدولة وتوفر أركان العدالة فى توزيعها.

ثم تجىء المادة رقم «٥» فى دستور مرسى المسلوق لكى تقول السيادة للشعب يمارسها ويحميها ويصون وحدته الوطنية وهو مصدر السلطات وذلك على النحو المبين فى الدستور.

ثم بعد ذلك يسألون عن الشرعية ولا يكف مرسى عن الصراخ أنا شرعى.. أنا ابن الصندوق.. وينسى أن إرادة الشعب أعلى وأقوى وأسمى من كل الصناديق بل ومن الدستور نفسه.

وهل من الإسلام أن يقوم البعض بالتخريب والقتل والتدمير والتفجير؟!

الإسلام برىء من هؤلاء الذين سبق لهم وأن استحلوا دماء أبناء الوطن وممتلكاتهم ولهم فى ذلك فتاوى وتاريخ دموى مع كبار رجال الدولة من أيام الملك فاروق ثم فى عهد عبدالناصر ثم اغتالوا الرئيس السادات ولما أدركوا أن ورقة التوت قد سقطت

عنهم.. وانكشفوا على الوجه القبيح.. عادوا إلى سابق عهدهم الدموى واستعانوا فى ذلك بفريق إرهابى محترف مستورد تسلل إلى سيناء برعاية مرسى وعشيرته وها هم يواجهون جيش مصر وشرطتها ويحاولون تعطيل مسار الحياة.

كانت بلادنا على شفا حفرة من الحرب الأهلية فأنقذنا ابن الجمالية ورجاله ووجدنا الشرطة تعود إلى أهلها فى خدمة الشعب ومعه.. وليست فى خدمة السلطان واستطاع السيسى أن يدير دفة الأزمة باحتراف واقتدار وصفه الكاتب الإنجليزى الشهير «روبرت فيسك» بأنه أعظم قائد عسكرى بعد إيزنهاور ووصفته السى إن إن بالبطل الشعبى لأنه يعلى من شأن الكرامة الوطنية فوق كل اعتبار.. وارتجفت قلوب هؤلاء الذين أدمنوا الخضوع لأنهم عملاء وسماسرة وتجار شنطة سياسية نعم تعلم ودرس وتباحث وتحاور مع الأمريكان لكن كرامة مصر فوق كل شىء وقبل كل شىء عندما حاول ساكن البيت الأبيض أن يعلن انحيازه المتسرع لنظام الإخوان وقد أدرك أنه راهن عليه وخسر الرهان وبدأ يمارس لعبة الضغط والهيمنة التى تعود عليها واطمأن إليها مع الأنظمة السابقة وكان سفراء أمريكا يعيشون فى مصر وكل واحد منهم هو بمثابة المندوب السامى الذى يحكم ويتحكم فى المسير والمصير سراً وعلانية.. وأدركوا بعد قليل أن المياه التى جرت فى نهر الثورة المصرية غير كل المياه السابقة وهى فى لحظة قادرة على أن تتحول إلى إعصار كاسح وأمواج عاتية الجد يؤكد للحفيد أن السيسى لا يتوقف كثيراً أمام قصائد المدح

أو الهجاء قرأ فى الوول ستريت جورنال أنه أذل أوباما وقد عاد فى ثياب عبدالناصر.. وهو غالباً لا يلتفت إلى ذلك حتى يمضى فى طريقه الذى رسمه لنفسه خالصاً لوجه الله سبحانه وتعالى وحباً فى الوطن.

والناس تظن أن مشهد السيسى ليلة خطاب مرسى فى قاعة المؤتمرات وقد جلس يستمع بوجهه الذى من الصعب أن تقرأ ملامحه بسهولة لكن وضع أصبعه على خده وجلس ثابتاً بنظراته الحادة التى كانت تقول الكثير والكاميرا تراقبه دون غيره من رجال الدولة وقد راح مرسى فى خطابه يلعب بورقة التهديد والوعيد ويحاول إظهار العين الحمراء لرجل الجيش الأول دون غيره من سائر الحضور.

كانت الناس تظن أن هذه طبول الحرب تدق بقوة وأنها قد أصبحت وشيكة بين عشية وضحاها.

ولما فشلت إدارة مرسى فى السيطرة على الموقف فقد كان الهدف استدراج ذلك إلى ملعب الإرهاب فى سيناء لكن الجيش كانت له كلمته الفاصلة التى أعادت الأمور إلى نصابها ونسى مرسى أن السيسى سابقاً هو رجل مخابرات يعرف قيمة المعلومة وكيف يقوم بتحليلها ورصدها.. ومن يعود بالذاكرة إلى الوراء فى فبراير ويتوقف أمام تصريحات الفريق صدقى صبحى رئيس الأركان بأن الجيش مستعد لتلبية أوامر الشعب على الفور وقبلها بساعات أعلنها السيسى فى لقاء مع طلاب الكلية الحربية

وهو ما جعل مكتب الإرشاد فى المقطم يجتمع أكثر من مرة بطريقة طارئة لدراسة الأمر.. ولم تكن حركة تمرد قد أعلنت عن نفسها بعد.

كان المراقبون فى أمريكا وأوروبا يدرسون جيداً هذه الرسائل من قانون الجيش وكبار رجاله كانت جماعة الإخوان هنا مشغولة بكيفية التخلص من السيسى والبحث عن بديل يتفق مع مخططها وكالعادة تفوق الحس المخابراتى ووصلت المعلومات كلها إلى القادة وهنا حاول الإخوان مغازلة قيادة الجيش فأصدرت بياناً تؤكد فيه أن كل ما نشر عن خطة إخوانية أمريكية لإقالة السيسى غير صحيح.

وفى الوقت نفسه تم تسريب بعض الوثائق إلى جريدة الجارديان البريطانية وبما يثير الشبهات حول تورط الجيش فى وقت قيادة طنطاوى فى قتل المتظاهرين أمام ماسبيرو بصفة خاصة.

وهى معلومات متداولة على مواقع الإنترنت وإن كان الكاتب الصحفى مصطفى بكرى على وجه الخصوص ولقربه من المؤسسة العسكرية صاغها ونشرها كاملة.. وهذا ما يؤكد أن ٣٠ يونيو لم يكن إلا الحلقة الأخيرة فى مسلسل الصراع بين مؤسسة الرئاسة والدولة الإخوانية ضد مؤسسة الجيش.. والسؤال: من يفوز بثقة الشعب؟.. وبذلك يمتلك الورقة الرابحة.. الإخوان اطمأنوا إلى رواسب قديمة فى نفوس البعض تجاه المجلس العسكرى وقت تسلمه سلطة البلاد وما دفع من أخطاء

فى أسلوب الإدارة.. وكانت لهم بصماتهم فى هذا الطريق بالفوضى والإرهاب والشائعات.. وأضف إلى ذلك العلاقة الملتهبة إلى حد ما بين الشرطة والشعب من ناحية أخرى كما أنهم أصحاب الشرعية وفى أيديهم مقاليد الأمر كله.. ومفاتيح الحل والربط.

وكلما اقترب ٣٠ يونيو كان الصراع يشتعل والجميع ينتظر كلمة الشعب الفاصلة!

تقول الدراسة التى أعدها السيسى وقت دراسته بكلية الحرب الأمريكية فى بنسلفانيا كان عنوانها «الديمقراطية فى الشرق الأوسط» لا يمكن النظر إليها من زاوية واحدة فقد كتبها وهو يعلم أن أساتذة الكلية سينظرون إليها ويقومون بتحليلها لمعرفة منهج تفكير هذا القائد العسكرى المصرى وقد راقبوه جيدا فى حياته الخاصة خارج نطاق الدراسة وأدركوا مدى النزاهة وجديته ورغبته الصادقة فى المعرفة والتحصيل وقد قال رأيه بصراحة أمام الأساتذة فى الديمقراطية الأمريكية وضرب مثلا لما جرى فى أفغانستان وما يجرى فى العراق.. نعم هو جاء ليدرس لكنهم أيضا يدرسونه وهناك قاعدة تقول: «ليس كل ما يعرف يقال أو تخطه اليد على الورق ويحتفظ به الأمريكان» والرجل الذى عمل فى دوائر المخابرات والمعلومات يعرف هذا أكثر من غيره حتى لو كانت هذه الدراسة محظورة النشر وفقاً لقواعد الكلية وهنا نسأل ومن الذى سربها بعد ٣٠ يونيو واتهم السيسى على ضوء ما جاء فيها بأنه يمضى على طريق مبارك

وفى نفس الوقت يمضى فى طريق الإسلام السياسى ونسى هؤلاء أن الجمع بين الاتجاهين من رابع المستحيلات.

وإذا رجعنا إلى الدراسة نفسها سنجد أنه يتمنى انتشار الديمقراطية فى الدول العربية ويرغب أن يجتمع شملها تحت لواء عربى على غرار نظيره الأوروبى وهو يتطلع إلى صورة واضحة لسماحة الإسلام وقدرته على مواكبة مقتضيات العصر الحديث لذلك أشار السيسى فى دراسته إلى أن الديمقراطية حتى تنجح يلزمها مناخ ملائم من الناحية الاقتصادية والتعليمية والإعلامية ينمو معها ويتفاعل بها ويجب لهذا محاربة الفقر والجهل.

وكيف إذا اعترف صراحة فى الدراسة أن المؤسسات السيادية قد لا تقبل فى عالمنا العربى بالمسألة الديمقراطية بشكل سريع ومفاجئ.

وبعد ذلك كيف لهم أن يقارنوا بالتشبيه بين مبارك وأفكار السيسى التى طرحها فى دراسته وما أعلنه فى تصريحات وبيانات أنهم يقولون فى مواقع عديدة إنه رجل إسلامى ملتزم فهل كان مبارك كذلك؟؟

السيسى الذى رفض أن تخلع زوجته الحجاب هل يتساوى بمبارك الذى كانت زوجته تحارب الحجاب سرا وعلانية وقيل إنه لم تكن تقبل بحضور زوجة المشير طنطاوى للحفلات معها لأنها محجبة؟.

السيسى الذى كان رأس الحربة فى ٣٠ يونيو وكان الضمان الأول لهذه الثورة وحارسها وابتعد عن الصورة ليصبح فرداً فيها وليس مسيطراً عليها ومع ذلك الشعب يحمل صورته ويهتف له ويجمعه فى لقطة مع الزعيم جمال عبدالناصر ويعتبره النسخة الجديدة منه مع اختلاف الظرف الزمانى والتاريخى.. إنه الوعى الشعبى الجماعى باللحظة والشخص والحدث ويكفى أنه فى دراسته التى قدمها فى الكلية الأمريكية وهو موجود على الأرض الأمريكية انتقد سياستهم ودعمهم لأنظمة غير ديمقراطية فى الشرق الأوسط وسأل فى الدراسة هل يتقبل الغرب ديمقراطية الشرق إذا كانت ذات مرجعية إسلامية؟؟ وقد تنبأ بقبول الغرب بفكرة وصول الإسلاميين للسلطة وقد قال «ستيفين جيراس» المستشار الأكاديمى والمشرف على دراسة المشير السيسى فى أمريكا لا أنسى موقفاً لهذا القائد الهادئ الجاد الذى يجيد اللغة الإنجليزية واستثمر وقت الدراسة إلى أقصى حد فى التحصيل بعكس غالبية من يعتبرون فترة الدراسة إجازة من الحياة العسكرية ويستمتعون بأوقاتهم وعندما استضفت مجموعة من هؤلاء الدارسين احتفالا بهم فى منزلى على الغداء وأسرع الغالبية منهم للتسلية بالألعاب الإلكترونية بينما وجدت السيسى يجلس إلى أمى التى تبلغ من العمر ٨٠ عاماً وراح يتبادل معها حديثاً ودياً حول بعض اللوحات العثمانية المكتوبة باللغة العربية ولاحظت أمى كما أبلغتنى بعد ذلك أن هذا الضابط المصرى يعتز جداً بدينه ومصريته وهو يأخذ من الحضارة الأمريكية ما

يريد فقط وليس مبهوراً بها مثل غيره ولاحظ أن الطلاب قادة فى بلادهم وقد حصلوا من قبل على دراسات وشهادات عديدة لذلك يدرس نوعيات خاصة من المواد الرفيعة مثل: التفكير الاستراتيجى ونظريات الحرب الاستراتيجية وصياغة السياسات الوطنية والعلاقة فى النظم الديمقراطية بين الجيش والحياة المدنية.

لذلك احتاروا فى أمر السيسى وصعوبة تصنيفه.

ماذا يقول؟

من يريد التعامل مع منطقة الشرق الأوسط عليه أن يضع فى حسبانه أن ثقافة شعوبها الأساسية دينية هكذا يستهل السيسى دراسته وكما نرى يعتبر الدين البوابة الرئيسية للدخول إلى الشرق الأوسط الذى يمتلك أيضا المخزون الأكبر من النفط والغاز الطبيعى على مستوى العالم كما أنه يتوسط المعمورة وبه قناة السويس ومضيقا هرمز وباب المندب ولا يمكن تجاهل البعد الدينى الذى يلقى بظلاله على المنطقة فهى مهد الإسلام والمسيحية واليهودية.

ويكشف السيسى أن مسألة تطبيق الديمقراطية فى الشرق الأوسط مرهونة بإزالة أسباب الصراع والتوتر وأهمها الصراع العربى الإسرائيلى حول المسألة الفلسطينية فإذا نظرنا إلى ضمانات الديمقراطية على المستوى الداخلى للدول تواجهنا مسألة ولاء الشرطة والجيش فى معظم هذه البلدان للنظام

الحاكم أكثر من الولاء للشعب نفسه وهو صاحب السلطة والولاية لكن أهم ما يلفت الأنظار فى دراسة السيسى أنه لا يثق فيما يسمى بالدعم الدولى لإرساء قواعد الديمقراطية فى الشرق الأوسط ودليله فى ذلك المليارات التى أنفقتها الإدارة الأمريكية فى غزو العراق بلا طائل وكان الأجدر بها أن تنفقها فى تنمية الاقتصاد إن كانت صادقة بالفعل فى نشر الديمقراطية ثم إن الغرب يتشكك كثيرا فى أن يجمع الإسلام الوسطى المعتدل بين المفهوم الغربى للديمقراطية وبثقافته الخاصة وقواعده الراسخة وأساسها العدالة والمساواة والحرية وهى فى حد ذاتها من علامات وملامح هذه الديمقراطية وإن اختلفت الأسماء والمسميات ويعود السيسى فى دراسته إلى عهد الرسول محمد صلى الله عليه وسلم حيث كانت الدولة فى المدينة المنورة نموذجاً للتعايش والتعددية والعدالة والمساواة والتكافل ومع ذلك هو لا يرحب بنظام الخلافة فى الوقت الحالى.

وهو يفرق تماماً بين دولة دينية ودولة تحترم الثقافة الإسلامية مثال ذلك ماليزيا وباكستان وأندونيسيا وقد تأسست الديمقراطية فى أمريكا على أساس القيم المسيحية واليهودية وكان تأثير الكنيسة واضحاً فى بريطانيا والديانات كلها من مشكاة واحدة ومنهجها الأخلاقى واحد.

ويشير السيسى فى دراسته إلى خطورة الفقر والجهل فى مجتمعات الشرق الأوسط لأنها تسهم فى خلق حالة من التدين التى تختلف تماماً عن روح الدين الحقيقى.

العسكرى الحقيقى لابد أن يكون سياسياً ومثقفاً متديناً لأن قوة الجيوش تصبح غاشمة إذا لم تجد قراءة الأوضاع حولها وتفهم طبيعة التعامل مع كل نوعية وكل ظروف وفقًا لزمان ومكان كل حدث وحديث.

كما أن الدين الحقيقى يحقق التوازن بين قوة العسكرى البدنية وعقيدته الروحانية فهل رأيت هذا فى الفريق السيسى وما كتبه للأمريكان فى عقر دارهم؟

وهناك تقليد فى كلية الحرب الأمريكية أن يتم وضع أسماء القادة الكبار الذين درسوا بالكلية ووصلوا إلى مناصب رفيعة فى بلادهم فى لوحة شرف مطلية باللون البرونزى.. وأظن أن اسم وصورة السيسى سيتم وضعها بهذه اللوحة الخاصة مهما كانت وجهة نظر السفيرة الأمريكية بالقاهرة حيث تتم الاستعانة برأيها فى ذلك وقد قرأت رأيا للجنرال أنتونى كوكولو مدير الكلية يقول فيه اسم السيسى يليق بقائمة الشرف وسيتم وضعه مهما كان رأى السفيرة الأمريكية التى انتهت خدمتها فى مصر وغربت شمسها بينما شمس السيسى تشرق وبقوة.

مصر دائما موعودة بالغزو وهنا يظهر أبطالها ومعدنهم الشجاع.. لأن بلادنا بحكم موقعها الاستراتيجى كانت ولاتزال مطمعاً لكل من يريد أن يمتلك زمام المنطقة كلها لهذا لعبت السياسة الأمريكية على مبدأ لن نتركها تغرق.. وأيضا لن نسمح لها بأن تطفو وتعوم حتى تبلغ الشاطئ الآخر.

جاءت الجيوش الغازية من كل اتجاه فرس وإغريق وبطالمة ورومان وصليبيون وقبلهم تتار ومغول وفرنسيس وإنجليز وصهاينة وغيرهم.. ولمعت بطولات أحمس ورمسيس الثانى وتحتمس الثالث والشيخ الإمام الشعراوى - رحمه الله - له فى ذلك مقولة خالدة تكررها أجهزة الإعلام كثيراً عن مصر التى صدت الخطر الصليبى وأنهت سطوة التتار.

فى القرن التاسع عشر الميلادى وتحديداً فى ١٨٢٠ على يد «محمد على باشا» هنا تم الإعلان عن الجيش المصرى وكان قبلها من المرتزقة والمماليك وقام محمد على ببناء أول مدرسة حربية تقوم بإعداد الجنود والضباط فى أسوان وأنشأ العديد من الترسانات لتمويل الجيش بأحدث المعدات كالبنادق والمدافع والبارود واستعان وقتها بالقائد الفرنسى الشهير «سليمان باشا» لتدريب وتأسيس الحربية واستبعد محمد على تجنيد الأتراك والأرناؤط لما عرفوا به من الخيانة والغدر وعدم حب النظام وحاول تجنيد السودانيين لكن بعد ذلك اعتمد فقط على المصريين فهم خير الأجناد كما وصفهم الرسول الكريم - صلى الله عليه وسلم - قبل فتح مصر بسنوات وقد تم بعد وفاته - صلى الله عليه وسلم - وبعد مدرسة أسوان تم افتتاح مدرسة حربية أخرى فى شارع قصر العينى فى عام ١٨٢٥ ثم مدرسة المشاة فى الخانكة ومدرسة الفرسان بالجيزة ومدرسة المدفعية فى طرة ثم مدرسة أركان الحرب فى الخانكة التى تتبع حاليا محافظة القليوبية ثم تأسست المدرسة البحرية بالإسكندرية وبعد سنوات قليلة وبهذه التخصصات أصبح الجيش المصرى

هو الأقوى فى الشرق وتحققت له الانتصارات تلو الأخرى فى الشام والحجاز وتركيا وجزيرة رودس باليونان حتى اتسعت حدود الإمبراطورية المصرية وهنا بدأت المؤامرة على الجيش باتفاقية لندن التى حاولت تحديد قوة هذا الجيش الذى ثار فى وجه الخديو توفيق على يد الثائر الضابط المصرى أحمد عرابى والتحم الشعب مع جيشه فى تلك الثورة وهو المشهد الذى تكرر بعد ذلك فى ثورة ٢٣ يوليو ١٩٥٢ ثم فى ثورة ٢٥ يناير ٢٠١١ وفى ٣٠ يونيو عام ٢٠١٣ ومع الوصول إلى عام ١٩٣٠ كانت الكلية الحربية قد اتخذت شكلاً جديداً هو أقرب إلى الحالى.. العسكرية لها قانونها وأخلاقياتها وهو ما غاب تماماً عن إدراك الرئيس الاخوانى ونظامه.. كان يكفيهم لاختيار السيسى أنه متدين وبتاع ربنا وفى حاله وسجله مثل اللبن الحليب.. وبالتأكيد سيكون وفياً لمن منحه الترقية وقدمه على سائر القادة.. وعندما دارت الصراعات على الحلبة بين الرئيس والقائد.. منها ما ظهر وفيها ما بطن ظن ساكن القصر أن السيسى الصامت يمكن أن يكون أكثر صمتاً وطاعة إذا ما تم تكليفه برئاسة الحكومة بديلاً لهشام قنديل رئيس الوزراء المرفوض وصاحب الأداء الضعيف واعتقد أنهم بذلك يضربون أكثر من عصفور.. يهدأ الشارع الغاضب.. ويتم إبعاد السيسى أو بمعنى آخر خلعه من وزارة الدفاع وقيادة الجيش لأن رئاسة الحكومة تكفيه وهو موقع مؤقت لأن تغييره وجوبى بعد الانتخابات البرلمانية التى كانت على الجدول.. ورغم زيادة الغنيمة بأن يحتفظ السيسى برئاسة الحكومة كلها وأيضا

وزارة الدفــاع.. لكن الحـســابات كـانت مـغلوطة وبعـيـدة عن شـخصـيـة الرجل الذى يجمع بين سـمـاحـة المسلم ولينه وقـوة العـسكرى وصـلابتـه.. مـرتكزاً على إيمـانه القـوى بالله والوطن والنفس..

وكانت القـوى والأحزاب السياسـية تنظر كذلك إلى السيسى فى حـذر خـوفـاً من تكرار مـا جـرى مع المجلس العـسكرى وأخطاء الممارسـة السـيـاسـيـة التى وقـعت بحـسن نية أو بانعـدام الخـبرة السياسية فى ظل ظروف بالغة التعقيد والصـعوبة جاء هذا بعد تسـريبات عن قرب الإطاحـة بالمشـير طنطاوى وسـامى عنان وأن الاسم الأقـرب للمنصب هو السـيـسى وبدأت الأعـين تنظر إليـه والشكوك أيضـا تحـيط به بعد أن تسلم مقاليد الجـيش.. كيف هى تحـركـاته وزياراته وتصـرفـاته كيف هى أسـاليبه فى التـهنئة وفى العـزاء وبين رجاله.. وهو يتقدم الصـفـوف جرياً بالخطوة السـريعة ولسـان حاله يقول لهم ولغـيرهـم: من الميدان خـرجنا وإلى الميدان نعـود.. كل التـصـرفـات تشـير إلى أن هـذا الرجل العسكرى الوديع هو أيضا رجل الدولة الذى يعرف كيف يتفانى فى ترابها عشقاً وغراماً وإخلاصـاً وأبناء الأحياء العريقة مثل الجمالية أكثر من غيرهم ارتباطاً بالمكان والناس.

وفى الحـفل الذى التقى فـيـه السـيـسى بمجـمـوعـة كبـار قـادة الجـيش والفنانين والإعـلامـيين والأدباء.. أطل شـبح القـلق على الوجـوه: إلى أين يأخـذنا هذا التنظيم الحـاكم لنفـسـه وأهدافـه وليس للوطن الذى أقـسـم عـدة مــرات أن يكون حـارسـاً لأمنه

وسلامته ووحدته محافظاً على دستوره وشرف الانتساب إلى ترابه المقدس.. فى هذا الحفل أدرك القائد ما تنطق به الملامح والقلوب فابتسم للحاضرين فى ثقة وهو يقول.

لا تخافوا على مصر.. مصر هى أم الدنيا وستظل أم الدنيا.

لكن كيف لمصر أن تتفق والانقسام تحول إلى سكين بغيض فى قلب الوطن الواحد بعد الإعلان الدستورى الطائش المتهور الذى أصدره مرسى وأراد به الاستحواذ فإذا به يمسك الهواء.

أهل الاستراتيجية يؤكدون أن الخروج بمصر إلى بر الأمان مرهون بإرادة سياسية داعمة للموقف العسكرى الذى يؤمن حدود البلاد ويحافظ على أرضها بجانب دعم قوى وحقيقى من المواطنين لأهداف الجيش لكن كيف والإدارة السياسية للبلاد لا يشغلها سوى تأكيد مشروع جماعتها حتى إن المسافة قد سقطت أو تلاشت بين مقر الإخوان فى منطقة المقطم وقصر الاتحادية الذى يسكنه الرئيس الإخوانى.

القوى السياسية تتصارع.. والأوضاع مترهلة وبخبرة القائد الذى تدرج فى المناصب المختلفة للقوات المسلحة حاول استيعاب ما يحدث لكى تعبر السفينة إلى بر الوطن.. لكن القبطان الذى ساقته الأقدار والاتفاقات إلى مقعد القيادة يكاد يجنح بها إلى حيث مصيرها الغامض.

هنا تموج خبرات القائد بما درس فى الكلية الحربية ثم كلية القادة والأركان ثم نفس التخصص فى بريطانيا ثم زمالة كلية

الحرب العليا من أكاديمية ناصر وزمالة كلية الحرب العليا من أمريكا.. خبرته مع المشاة وقيادة المنطقة الشمالية ثم رئاسة المخابرات.. حيث تتجمع المعلومات إلى جانب بعضها البعض وهنا لابد من النظر إلى الصورة بعين فاحصة تستطيع أن تحول المعلومة إلى فعل ثم التخطيط له وحساب المكاسب والخسائر ثم يكون القرار بعد التوكل على الله من قبل ومن بعد وفى كل وقت وحين.

وبعد أن تصدر السيسى المشهد السياسى فى ٣٠ يونيو عاد إلى مكانه الحبيب كجندى حارس لخارطة طريق الوطن وبدأت الدوائر العربية والغربية تفتش أكثر فى تاريخ الرجل وفى ذلك قالت وكالة CiA أحد أذرع المخابرات الأمريكية أن الفترة التى قضاها الفريق طالباً بكلية الحرب العليا الأمريكية كان جاداً وهادئاً ويؤم المصلين بالمسجد القريب وأن كتاباته كانت تعكس وعيه بأن طريق الديمقراطية فى الشرق الأوسط ملىء بالمصاعب لكن بلوغ النجاح فيه ليس مستحيلاً.

ومن يريد المزيد فعليه الرجوع إلى كتاب عام ٢٠٠٦ الذى يصدر سنوياً عن كلية الحرب موثقاً بالصور ومترجماً إلى الإيطالية والفرنسية والألمانية والإسبانية وفيه صورة السيسى وقت دراسته.

ومن هنا كانت الإدارة الأمريكية تريد مساندة مشروعها مع الإخوان لكنها تدرك جيداً أن ما جرى ليس انقلاباً وأن السيسى بشخصه وقدراته يستطيع أن يفعل الكثير!

هل كانت هناك صفقة بين الإخوان والمجلس العسكرى ساهم فيها السيسى؟!

السياسة لعبة فيها الكثير من المناورات.. ورجل المخابرات الحربية لديه من المعلومات المهمة التى تؤثر فى مسار القرارات المصيرية.. وقد عقد السيسى العديد من اللقاءات مع قيادات جماعة الإخوان قبل الانتخابات الرئاسية وكثيراً ما لعب دور الوسيط بين المشير طنطاوى والإخوان وأغلبها شهدها فندق تريومف التابع للجيش والتقى مع محمد مرسى على وجه الخصوص عقب خروجه من سجن وادى النطرون وما يعرف بمذكرة تقدير الموقف كانت تصب فى صالح مرسى على حساب منافسيه حمدين صباحى وأحمد شفيق وعمرو موسى لأن المعلومات كانت تقول إن مواجهة حتمية سوف تشتعل بين المجلس العسكرى والإخوان على غرار ما جرى فى الجزائر وأدى إلى حمامات الدم التى تسببت فى مقتل أكثر من ١٠٠ ألف جزائرى وكانت سيناريوهات تقدير الموقف التى قدمها السيسى أن النموذج التركى ليس هو الأفضل والقرب الباكستانى، وهناك تخوف من نجاح شفيق حيث سيقوم بتصعيد زملائه بالقوات الجوية إلى المناصب العليا بوزارة الدفاع على حساب ضباط الأسلحة الأخرى، وتضاعف هذا الإحساس عند قادة المشاة خاصة ومقارنة بغيرهم وهو السلاح الذى انتمى إليه السيسى ومن قبله المشير طنطاوى، وكانت المخاوف أيضا ثورة غضب تجمع بين الإخوان وشباب الثورة ضد شفيق إذا فاز وتتحول إلى حرب أهلية.

يخاف السيسى دائماً وأبداً على الدولة من الفتن والفرقة واختراقها من جانب العناصر التى تم فتح الأبواب لها لتأسيس ما يسمى بمشروع الخلافة الإسلامية وعاصمتها القدس وكما جاء على لسان صفوت حجازى فى تسجيل شهير.

الرجل القوى

انتقد السيسى بشدة رد فعل الولايات المتحدة بشأن عزل مرسى، واتهم إدارة أوباما بتجاهل إرادة الشعب المصرى وعدم إمداده بالدعم الكافى وسط تهديدات بحرب أهلية وقال إن المشكلة بين الرئيس السابق والشعب نبعت من مفهوم الإخوان للدولة والأيديولوجية التى تبنوها لبناء الدولة والتى قامت على استعادة الإمبراطورية الإسلامية وبذلك لم يصبح رئيساً لكل المصريين إنما لجماعة فقط، وكشف عن ذلك منذ الأيام الأولى لحكمه فقد أهان السلطة القضائية واعتمد على أبناء جماعته بصرف النظر عن الكفاءات الأخرى وهو ما أدى إلى إدارة شئون الدولة بفشل واضح لأن مفهوم الدولة عنده لا يرقى إلى فكرة الولاء للتنظيم الإخوانى، وقد خرج الملايين للتعبير عن رفضهم الكامل لأسلوب مرسى، وكانت الأمور على مشارف حرب أهلية طاحنة وقد أبلغت الرئيس مرسى بذلك مراراً وتكراراً، والعجيب أن الأمريكان شجعوا الإخوان على التمرد والعصيان والعنف، وأنا لا أطمع فى حكم مصر، لكنى أتمنى لبلادى أن تنهض بحكم مدنى منتخب وبمراقبة دولية، لقد تسرعت الإدارة الأمريكية فى الحكم على ما جرى يوم ٣٠ يونيو

بأنه انقلاب عسكرى وهو أمر غير صحيح، لكنها إرادة شعب انحاز لها الجيش إنقاذا لأمن البلاد وتلك هى مهمته الأولى لحمايتها داخلياً وخارجياً.

فهل لاحظت أن كلمات السيسى هذه بعد الثورة هى نفسها التى قالها فى دراسته التى قدمها فى أمريكا منذ أكثر من سبع سنوات!!

ومعنى ذلك أن الرجل هو صاحب مبدأ ثابت لا يتغير مهما جرت فى الأمور من أحداث وحوارات.

ونعود إلى نص الكلمة التى ألقاها السيسى بحضور اللواء محمد إبراهيم وزير الداخلية وسط قيادات الجيش الكلمة مسجلة بالصوت والصورة على «يوتيوب» وبنفس طريقته التى تمس القلب والوجدان يقول السيسى:

إننا جميعا «الجيش والشرطة» شرفاء وأوفياء لمصر لم نغدر أو نخن أو نكد، وكنا أمناء فى كل شىء وحذرنا من أن الصراع السياسى سيقود مصر للدخول فى نفق مظلم، وسيتحول إلى اقتتال وصراع على أساس دينى، وإن ما قمنا به من إجراءات كانت شفافة وأمينة ونزيهة وبمنتهى الفهم والتقدير الدقيق للمواقف والأحداث وانعكاساتها على الأمن القومى وشرف حماية إرادة الشعب أعز من حكم مصر، وليست فى سبيل رغبة وسلطان أو إقصاء لأحد وإننا أكثر حرصا على الإسلام بمفهومه الصحيح الذى لم يكن أبداً أداة للتخويف والترويع

والترهيب للآمنين وإننا سنقف جميعا أمام الله وسيحاسبنا على المهمة المكلفين بها فى حماية أمن الوطن والمواطنين.

لقد أردنا أن نثبت للعالم أن إرادة الناس هى الفاعلة والغالبة، ولما طلبنا منهم النزول استجابوا، فهل استوعب العالم أن ما جرى فى مصر فعل جماهيرى خالص، والأشقاء فى السعودية والكويت والإمارات والأردن والبحرين كانوا الأسرع استجابة وفهماً لما يحدث فى مصر.

ويقف الدكتور على جمعة مفتى الديار المصرية الأسبق ليقول:

لقد أعلى الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم من شأن جند مصر وبشر بصمودهم فى مواجهة الفتن والتحديات وتحملهم المسئولية التاريخية والوطنية فى الحفاظ على التماسك لأركان الدولة وحماية أبنائها وأنهم فى رباط إلى يوم القيامة بفضل ما يحملوه من قيم ومبادئ سامية وتضحياتهم المستمرة فى سبيل الوطن.

هذا الرجل نريده

وبدأت حملة ضخمة شعارها «كمل جميلك» تطلب من السيسى أن يتخلى عن رفضه الصلب للتقدم نحو السلطة وأن يقبل ترشيح الجماهير له رئيساً للجمهورية فهو الرجل الذى تجد فيه الناس زعامة وطنية مخلصة تمسك فى دينها باعتدال وتمسك بالوطن فى قوة، تجربته وخبراته وإخلاصه من مؤهلات كبرى تجعله الأقرب إلى الأفئدة، وهو ينفى رغبته فى الترشح والناس

تزداد تمسكا به دون غيره وبدأت رموز وطنية تفسح له الطريق وتعلن عن إفساح المجال للسيسى دون غيره، قالها أحمد شفيق وأكدها حمدين صباحى ثم تنكر لها، والبلاد لا تحتمل انقسامات جديدة بشأن الانتخابات وروح التنافس وشهوة اعتلاء السلطة والنفوس أمارة بالسوء وسبحان من ألهمها فجورها وتقواها.

وها هى الدكتورة هدى جمال عبدالناصر ابنة الزعيم الراحل تكتب إلى الزعيم القادم وسبحان من له الدوام.

تقول هدى فى رسالتها المفتوحة المنشورة بتاريخ ٩ أغسطس ٢٠١٣:

اسمح لى يا سيادة الفريق أن أعبر عن رأيى فى موضوع حساس يتعلق بمستقبل مصر.

لقد قامت ثورة ٢٥ يناير بمبادرة من الشعب، وانضمت بذلك إلى ثورة ١٩١٩ التى نفخر جميعا بها، فقلبت نظاماً بائداً أحس خلاله عامة المصريين بالعوز والحاجة، وعانوا من الفساد والقهر. وانتظرنا أن يبرز من شباب الثورة ورجالها زعيم يجسدها ويلتف حوله الشعب وطال الترقب لأكثر من عامين ونصف العام، بل لقد سرق الإخوان المسلمون الثورة وصاروا يتكلمون علانية على أنهم صانعوها، وعلى الرغم من أننا نعرف جميعا أنهم لم ينزلوا ميدان التحرير إلا بعد ثمانية عشر يوما، لما تأكدوا من نجاح الثورة!

سيادة الفريق..

أكتب لك لأدعوك لأن تترجم ثورة ٣٠ يونيو إلى واقع.. فلقد كان نزولك على رغبة الجماهير بتغيير نظام أثقل على الشعب المصرى لمدة عام واحد فقط، لهو حدث تاريخى عظيم.. لقد أهمل حكم الإخوان الاقتصاد المصرى، وبالتالى تسبب فى مزيد من الفقر والمعاناة، كما فشل فى توفير الأمن للمواطنين الأبرياء، مما زعزع الاستقرار المطلوب للتقدم الاقتصادى.

وأكثر ما أحزن المصريين ودفعهم للثورة على هذا النظام الرجعى الفاشى المتخلف الخائن للوطن، هو تفريطه فى سيناء، واستقواؤه بالغرب، وتشويهه لصورة مصر.

ما أعنيه هو أن تتقدم بثقة إلى العمل السياسى وترشح نفسك فى الانتخابات الرئاسية، وتأكد أن الثلاثين مليوناً الذين خرجوا فرحين منبهرين يؤيدونك يوم ٢٦ يوليو، سيعطونك أصواتهم فى صناديق الاقتراع، فإن المواقف والمبادئ هى التى تصنع القادة.

أتدرك أنك حققت فى أقل من شهرين ما لا يستطيع السياسيون أن يحققوه فى عشرات السنين؟! ألا وهو التأييد الشعبى الكاسح انظر إلى المعارضة المصرية، إنها مفككة، وزعماؤها ليسوا على مستوى هذه اللحظة الفارقة العظيمة التى تعيشها مصر.

إننى أسمع من يتكلمون عن الحكم العسكرى ويقولون: كفانا ستين عاما من البدلة العسكرية!

أرجوك ألا تلقى بالاً إلى هؤلاء، فهم مغرضون ومغالطون! لقد وضع جمال عبدالناصر مبدأ منذ بداية ثورة ٢٣ يوليو ١٩٥٢ وهو عدم تدخل الجيش فى السياسة، وأن من يرغب من الضباط الأحرار فى أن يعمل بالسياسة فعليه أن يخلع البدلة العسكرية، وقد تحقق ذلك فعلاً بالممارسة.

وعندما تم إقرار الدستور فى ١٦ يناير ١٩٥٦ قام جمال عبدالناصر بحل «مجلس قيادة الثورة»، وبعد ترشحه لرئاسة الجمهورية فى نفس العام، انتفت عنه صفة العسكرية، وأصبح النظام مدنياً ولقد أثبت التاريخ مدى حنكته السياسية فى المواقف الفاصلة فى تاريخنا القومى، مفاوضات الجلاء فى ١٩٥٤، القضاء على احتكار السلاح والانتصار على العدوان الثلاثى سياسياً فى عام ١٩٥٦ وبناء الدولة المصرية.

هنا لابد من الحديث عن اثنين من أعظم السياسيين فى العالم وهما أصلا من رجال الجيش وهما جنرال فرنسا الأعظم ديجول والجنرال الأمريكى إيزنهاور.

ديجول رجل عسكرى فرنسى اشترك فى الحرب العالمية الأولى، وأنشأ المقاومة الفرنسية فى الحرب العالمية الثانية، ثم اعتكف بعد فترة حكم قصيرة من ١٩٤٤ إلى ١٩٤٦، ومع ذلك فعندما مرت فرنسا بظروف سياسية صعبة داخلياً، ومعارك يائسة فى الجزائر، قام الجيش بانقلاب فى مايو ١٩٥٨ وهرع جنرالات فرنسا إلى القائد المخلص ديجول، الذى أنقذ بلده من الانهيار المروع.

ولقد كان حكم ديجول ناجحاً بكل المعايير، غير الدستور وشكل الحكم، حقق لفرنسا الاستقرار وبالتالى التقدم الاقتصادى الذى نقلها إلى مستوى ألمانيا، خلق لبلده صورة مشرفة فى العالم. كل ذلك بالمبادئ التى أرساها خلال أحد عشر عاماً من حكمه التاريخى حتى عام ١٩٦٩ ولم يقل أحد فى العالم بأن فرنسا تخضع لحكم عسكرى.

أما إيزنهاور فقد كان قائداً عسكرياً أمريكياً أثناء الحرب العالمية الثانية، ثم رشح نفسه للرئاسة بعد الحرب، وكان أيضاً سياسياً بارعاً وعلامة بارزة فى التاريخ الأمريكى.

ثم ماذا تقول عن ذلك الرجل المدنى الذى فشل بجدارة فى إدارة البلاد بل أكثر من هذا أخذها إلى مستنقع الحرب الأهلية لولا أن جاء المنقذ فى الوقت المناسب بروح الفارس الوطنى المخلص.

فى نفس اللحظة يطل الرئيس المؤقت للبلاد المستشار عدلى منصور رئيس المحكمة الدستورية العليا لكى يؤكد المضى فى تنفيذ خارطة الطريق التى أعلنها ويحرسها «يقصد السيسى» نحو دولة حديثة مدنية شعبها وجيشها وشرطتها فى خندق واحد ولو كره الكارهون الغافلون.

وبعده بأيام تضغط الجماهير بكل ما تملك لكى تدفع السيسى الذى تمت ترقيته إلى رتبة المشير لكى يصبح هو رجل مصر الكبير وأن يقترب من قصر الاتحادية حاكماً بأمر الشعب

وكلمته لا ترد ويخلع ابن الجمالية بدلته الميرى بعد ٤٠ سنة فى لحظة اهتز لها قلبه ووجدانه وكأنه يخلع روحه بعد هذا العمر لكنه بناء على أوامر يلبس بدلة المواطن الأول ويحسم أمره ويتقدم يطرق أبواب الاتحادية بثقة وخلفه تاريخه المشرف وقلبه المحب وطموحه أن يكون خادماً لكل مصرى بكل الحب.

من اللحظة التى خلع فيها المشير عبدالفتاح السيسى زيه العسكرى وقرر النزول إلى ميدان السياسة باستدعاء جماهيرى غير مسبوق.. بدأت الأسئلة المعلقة الحائرة حول شخصية عبدالفتاح السيسى التى حيرت الناس بين من يتهمه بالعاطفية الزائدة.. ومن يلومه على الشدة إلى درجة القسوة والاستبداد.. وفى المسافة الفاصلة بين ما تردد حول ترشحه.. وإعلانه الرسمى الواضح عن ذلك زادت الحكايات وعلامات الاستفهام فالرجل قليل الكلام.. ويحترم لحظات الصمت ويعرف كيف يستثمرها.. حتى إنه بتلك المهارة يتطلب سؤالك إليه.. إلى سؤال لك.

ابن الجمالية فى رحلة الوصول إلى قصر الاتحادية تحول إلى حكاية.. بلغت فى بعض الأحيان درجة الأسطورة اختلطت فيها الخرافة والأكاذيب بالحقائق والأدلة.. والسؤال الأهم: هل خطط ودبر وانقلب وخان وصولاً إلى الاتحادية؟.. وإذا كان الأمر كذلك لماذا سلم مقاليد الأمور إلى قاضى المحكمة الدستورية العليا فى حضور رموز الوطن من جميع الأطياف ثم انسحب إلى موقعه كقائد للجيش.. يعلن الحرب على الإرهاب ويتحمل

الهجوم وحالات التربص التى وصلت إلى محاولتين لاغتياله تم إبطال مفعولهما بتعاون جيد بين الشرطة والجيش كانت كل الظروف مهيأة أمامه.. والأبواب مفتوحة لكى يحكم قبضته على مجريات الأمور إن كان هذا هو مأربه الانقلابى كما روجت لذلك جماعات الإخوان والإدارة الأمريكية.. بدعم تركى وتمويل قطرى.. وما سر الغرام المدهش بين الحاج أوباما وتيارات الإسلام السياسى؟ ألم يكن هؤلاء هم أعداء الأمس القريب.. فى كل مكان؟.. أليست هذه هى الصفقة التى تحقق الحلم الذى بشرت به كوندليزا رايس بالشرق الأوسط الكبير وقد قالت الخرائط التى تم تسريبها إن الهدف تقسيم العالم العربى إلى دويلات صغيرة وأقاليم فى «سايكس بيكو» جديدة هدفها أن تكون إسرائيل هى الدولة الكبرى فى المنطقة لا ينافسها فى ذلك منافس فهل السيسى هو الرجل المنقذ؟.. أم الجنرال الانقلابى الذى أزاح الرئيس الشرعى الفاشل لكى يحل محله.. وهو الذى أخرج الملايين من بيوتها جبراً لكى تفوضه وتمنحه براءة الحرب ضد الإرهاب.. وإنقاذ البلاد من مستنقع الفتنة والانقسام والحرب الأهلية.. وسيطرة عصبة الإخوان.. وهذا هو الكاتب البريطانى ديفيد جاردينر يقول وقتها:

إن الشريحة من الشعب المصرى التى تعتبر عبدالفتاح السيسى هو منقذها المخلص لا يعرفون عنه الكثير.. وذكر جاردنير فى مقال له بجريدة «فايننشيال تايمز» البريطانية بعنوان «السيسى يحتفظ بسياسة غامضة والديمقراطية خارج جدول الأعمال فى مصر»، أن جل ما يعرفه المصريون عن

السيسى أنه كان رئيساً للمخابرات الحربية فى عهد مبارك، وأنه من أطاح بالرئيس المنتخب محمد مرسى، واليوم يحكم بيد من حديد ويحظر جماعة الإخوان المسلمين.

ورأى الكاتب البريطانى أن السيسى قبل ترشحه للانتخابات رسخ للدولة الأمنية التى كانت خلال فترة حكم مبارك مع إعطاء مزيد من الصلاحيات للجيش، مضيفاً أن السيسى يعتمد على الجيش وعلى تأييد مناصرى مبارك ليصل إلى سدة الحكم فى مصر.

ويعتبر كاتب المقال أن رسالة السيسى واضحة وقد قالها بصورة علنية فى مقابلات تليفزيونية محلية، وهى باختصار أن «الديمقراطية ستكون رفاهية فى حال تم استعادتها، والجيش سيكون له دور مهم فى الاقتصاد المصرى» مشيراً إلى أنه لن يتسامح بعد اليوم بعد الانتقادات التى توجه إليه.

وقال جاردنير: إنه من المعروف ما ستكون عليه طبيعة حكومة السيسى فى حال تأليفها، وما السياسات التى سينتهجها، مشيراً إلى أنه من الصعب تصور مستقبل باهر لمصر إن كان جيشها سيكون المؤسسة الوحيدة فى البلاد.. ولعل ما جرى بعد ذلك يكذب ويفند شكلاً وموضوعاً ولأن ما يقال فى بريطانيا تجد له أثره فى أمريكا أو العكس.. فإن ما ذكر وفند جاردنير ليس ببعيد عن الثنائى الذى قام بالتدريس فى أمريكا عام ٢٠٠٦ فى كلية الحرب العليا.

فقد قال الكولونيل مايكل ماكيرا، والدكتور ستيفن جيراس مدرسا الفريق السيسى فى حوار إذاعى مهم لإذاعة WITF الأمريكية حول سؤال وهو ما هو شعوركم وأنتم ترون طالباً لكم يقود انقلاباً فى بلده.. رأيت السيسى كل يوم تقريباً وتعاملت معه طوال العام، إنه طالب ذكى جداً وخطير جداً إنه تقى ودافئ وقد كان متديناً، دعوته للإفطار فى الصباح وكنت اشتريت لوحة من اسطنبول لم أكن أدرى أنها باب مكة.. السيسى قال لى، هذا باب مكة وجعل يحدثنى عن الإسلام، السيسى لم يكن يحدثنى عن مصر عادة كنا نتحدث عن العراق باعتبار أن دراسته كانت فى ٢٠٠٦ لم يكن يتحدث عن مصر كان يتجنب ذلك كلما ذكرت له مبارك كان يحدثنى عن الاستقرار الذى تعيشه البلاد وعندما اختاره الإخوان وزيراً للدفاع لم أكن متفاجئاً فهو صامت دائماً يكسب خصومه وعندما قاد الانقلاب كنت أكثر استغراباً واندهاشاً لكننى كنت مطمئناً لأن الولايات المتحدة ستعرف كيف تتحدث معه وتأخذه إلى الاتجاه الصحيح – لقد استغرقنا وقتاً طويلاً فى الحديث عن المبادئ فى برنامجه الذى درسه متى تستخدم القوة وكيف يمكنك أن تحمى شعبك فى وقت الأزمات والحروب، لذا عندما رأيت القتلى فى مصر استغربت موقف السيسى ويبدو أن ثمة آخرين حوله.

لقد كانت علاقة المدنيين بالجيش جزءاً مهماً من البرنامج والسيسى أجرى بحثاً حول الأمر وقال لى «نحن مثال مهم فى هذا الأمر ولنا تاريخ فيه» وشعرت من كتابته أنه منتمٍ للجيش بقوة ويتحدث عن دوره الكبير فى الحياة العامة.

وعندما يبدأ الطلاب الدراسة نسألهم عن انطباعهم عن الولايات المتحدة ثم يتحدثون عن بلدهم والسيسى لم يكن متحفظاً عن الحديث عن مصر وقال الجيش المصرى مصدر استقرار وقد كنت أتحدث مع السيسى طويلاً عن التصرف تحت ضغط كمحارب وكيف يمكن إدارة الحرب والنزاع هذا كان اهتمامه الأول فى دراسته.. لا أعرف كيف لرجل تعلم فى أمريكا لمدة عام ويعرف القيم الأمريكية جيداً وأبدى إعجابه المكرر بها أن يفعل ما فعل ويبدو أن حجم المتظاهرين أغراه ليفعل ذلك والبرنامج التعليمى الذى تلقاه بشكل أساسى لتحقيق انغماس كامل بالطلاب فى الحياة الأمريكية وجزء مهم من البرنامج يعتمد على الذهاب للمطاعم الأمريكية وحضور المناسبات المختلفة وجزء مهم من دراسة السيسى اعتمد على تعلمه كيفية استخدام القوة التى يحظى بها الجيش فى مجتمعه وكيفية إدارة الأزمات الدولية مع جيوش العالم والقوى الإقليمية وكل من تخرج فى كلية الحرب الأمريكية من برنامج العشرة كان لهم دور فاعل فى بلادهم ببساطة لأن شروط القبول ليست سهلة.

سؤال مهم

حديث الكولونيل مايكل يكشف الكثير من التناقض وأيضاً الخبايا حول دراسة كلية الحرب وما علاقة القائد العسكرى الذى يذهب بهدف الدراسة العلمية العسكرية أن يندمج فى المجتمع الأمريكى وأن يتشرب قيمه وعاداته ولهذا أدهشهم أن يتمرد القائد المسلم المتدين على القيم الأمريكية وكأنه ذاهب فى

رحلة سياحية وقد اندهش مايكل لأن السيسى أخذ من علومهم ما يريده وما يناسب بلده.. ولم يتحدث عن رئيسه فى هذا الوقت مبارك لا بالخير أو الشر وهذا ما يكشف لنا كيف أن هذا الرجل لا يتجاوز حدوده والرؤية عنده واضحة ومحددة فيما يفعله وقد وصفه مايكل بأنه قليل الكلام لكن ما لم يذكره مايكل أو د. ستيفن أن مصر دائماً تغير التاريخ وقد انتهت الإمبراطورية البريطانية إلى الأبد بعد عام ١٩٥٦ رغم أنها خسرت المعركة الحربية لكنها انتصرت سياسياً وهى دائماً وأبداً عصية على التلون بلون المستعمر لا هى تكلمت التركية أو الإنجليزية أو الفرنسية لكنها حولت نابليون رغم أنفه إلى شيخ يلبس العمامة ويشهر إسلامه من باب التقرب والنفاق ولم يفلح وها هو الدور يتكرر بعد ٣٠ يونيو وهذه هى شهادة الكاتب الكبير جمال الغيطانى وفى تحليل رائع لإحدى الفضائيات حول تلك العلاقة الخالدة بين شعب مصر وجيشها عن سائر جيوش العالم.

من زاوية أخرى

وفى كتابه «الجنرال المنقذ» يقدم لنا الكاتب عادل نجيب بشرى رؤية متكاملة حول مواصفات القائد المنقذ بشكل عام ثم يقترب مقارناً بين تلك المواصفات وشخصية السيسى وهو ما يرد بقوة على مزاعم الأمريكان الذين يفتحون أبوابهم لقادة العالم الثالث ليس حباً فيهم ولا هى رهبانية فى العالم إنما لدراستهم وهم يدرسون.. ومحاولات زرع حالة من الانبهار ثم الولاء للمنهج

الأمـريكـى.. فـإذا مـا قـادوا زمـام الأمـور فى بلادهم كـانت لـهم الولاية عليـهـم وهذا هو سـر انقـلابهم على الـسـيسـى رغم كل مـا قيل فى حقه.

وكتـاب عادل نجيب هو ترجمـة لكتـاب «فيكتـور دافيز هانسـون» الذى يسـتـعـرض تاريخ مـجـمـوعة من القـادة الأفـذاذ عـبـر أزمنة مـخـتلفـة منـهم ثيـمـسـتـوكـليـز وصـلاح الدين الأيوبى وشـيـرمـان ديبـتـراس.. وأخـذ يـخـصـص أحـد فـصـول الكتـاب للـسـيـسـى ويستعرض سيرته الذاتية ثم يتحدث تفصيلاً عن الجنرال المنقذ وعلاقته بالشعب المدنى فيقول خلال قتاله على مختلف الجبهات سـيكون على الجنرال المنقذ دائماً النظر إلى المدنيين من أفـراد الشـعـب على أنـهم القـوى الحـقيـقيـة والمفـتـاح الذى سـيمكنه من تحـقيق النصـر وتنفيذ الأهداف السـامية لاسـتـراتيـجيـتـه العظمى وعلى سـبـيل المثال فـإن ثيـمـسـتـوكـليـز اعـتـمـد عليـهم فـى تكوين جـيـشـه عندمـا لـحـقت الـهـزيمـة بالمـحـتـرفـين من جنود الـيـونان المتحالفين فى «ثرموبيلا Thermioylae» وهو قد استخدمهم فى إضـعـاف الروح المعنوية لدى خـصـمـه المتفـوق عليـه عسكرياً من حيث العدد والعـدة ففى كل مرة ذهب فيها زيركسز لاحتلال إحـدى المدن اليـونانيـة الكبـرى، وجـدها خـاوية أمـامـه، وقـد اسـتـخـدم صـلاح الدين الأيوبى هـذه التـقـنيـة ذاتـهـا، مع الملك ريتشارد قلب الأسد والذى ذهب لاحتلال عسقلان ليفاجأ بأنها خاوية على عروشها وأنه قد تم تدمير أبراجها.

وفى هذا الـخـصـوص، فـإننى أريد أن يمـتـد المعنى المقـصـود من

كلماتى فى الفقرة السابقة عن مصطلح «المدنيين من أفراد الشعب» ليشمل المدنيين من أفراد شعوب الخصم أيضاً فإن القوى المدنية لأفراد أى شعب.. أياً كان هى قوة هائلة لا يجب الاستهانة بها أبداً ويكون من واجب «الجنرال المنقذ» العمل على استغلالها لصالحه ولصالح بلوغ الهدف السامى المتضمن فى الاستراتيجية العظمى التى يتبعها على سبيل المثال فإن صلاح الدين تمكن بشهامته الأسطورية من إقناع المدنيين فى شعوب أوروبا من أنه أكثر صلاحاً للحفاظ على مسقط رأس المسيح من غالبية ملوكهم الفاسدين ذوى الأطماع المادية والشهوات الدنيوية ويمكن لنا رؤية مثال سيئ لاستغلال أفراد شعوب الخصم فيما فعله بتراس فى العراق عندما استخدم سياسة «فرق تسد» وزرع الشقاق بين السنة والشيعة فى العراق مشعلا شرارة الفتنة الطائفية بينهما وهو قد فعل هذا فى نفس الوقت الذى استغل فيه المدنيين من أفراد الشعب الأمريكى واكتسب تأييدهم لما يدور فى العراق من خلال ادعاءاته الكاذبة بأن استراتيجية الطفرة قد تمكنت من فرض الهدوء والأمن على الشارع العراقى وتقليل عدد القتلى فى الجانب الأمريكى وعندما تم فضح هذه الأكاذيب عند فشله فى تطبيق استراتيجيته المزعومة فى أفغانستان انسحب من هناك وهو يجر أذيال الخيبة خصوصاً أن المقاومة هناك كانت قد بدأت هى الأخرى فى استخدام أساليب المقاومة العراقية فى اصطياد جنود الاحتلال باستخدام المتفجرات المصنعة محلياً «IEDS» وفى هذا الشأن كان شيرمان غالباً ما يعمل فى بيئة معادية له تماماً فى الجنوب الأمريكى ولهذا قرر أن يكون خبيثاً

لدرجة كافية لإيقاع أكبر ضرر ممكن بخصومه الجنوبيين وعلى سبيل المثال فإنه كان يستهدف عن عمد بيوت الأثرياء وخصوصاً ملاك الإقطاعيات الزراعية الكبيرة من ملاك العبيد كذلك فإنه كان يعمد إلى تدمير كل ما له علاقة بحسن سير البنية التحتية للجنوب «من طرق ومبان تاريخية ومخازن ومجارى مياه ووقود» وغيرها من الموارد الاستراتيجية حتى يمنع الجنوبيين من الاستفادة بها فى قتاله.. أما التصرفات النبيلة فيمكن رؤية صداها فيما قام به صلاح الدين الأيوبى من أفعال خلال صراعه الطويل مع جيوش الفرنجة فإنه اكتفى فى كل مرة بعقاب من أوقع الأضرار بمصالحه وتسبب فى أيذاء المدنيين والمسالمين من قوافل التجار والحجاج بل إنه فى الواقع تناسى ما ارتكبته جيوش الفرنجة من فضائح وأعمال وحشية قبل عهده ولم يحاسبهم إلا على المخالفات التى ارتكبوها بنقض اتفاقيات الهدنة التى عقدوها معه شخصياً فقط.

وعلى هذا فإن أحدى المهام الأساسية لـ«الجنرال المنقذ» هى إقناع الخصم - خاصة غير المقاتلين «المدنيين» - بأنه لم يكن المتسبب الحقيقى فى الأضرار التى لحقت بهم، وأن المخططين الأشرار من قادتهم هم الذين جروا عليهم هذا البلاء وبالتالى فإن التخلص من مثل هذه القيادات الفاسدة فى جانب الخصم سيكون فى صالح كلا الجانبين، ومن الممكن أن يكون البداية السلمية لطريق يؤدى بنا إلى التعايش فى سلام.. والسؤال: ما علاقة السيسى بهذه النوعية من القادة وهل يمضى على طريقهم أم أنه تحول عنهم وأصبحت له مواصفات خاصة؟

من عبدالناصر إلى عبدالفتاح

جمال عبدالناصر له عينان فقط ولديه ٢٤ ساعة فى اليوم مثل غيره ونحن فى مصر ٣٠ مليوناً لكل واحد عينان وكل واحد فينا يرى ونحن نستطيع أن ننتصر على أى عدو إذا ما شعر كل فرد بمسئوليته عن نفسه وبيته وأولاده.

يا سبحان الله هل كانت هذه الكلمات التى خاطب بها الزعيم عبدالناصر جماهير شعبه فى الخمسينيات صالحة للاستخدام الوطنى فى وقتنا هذا وكأنها هى نفس الكلمات تقريبا التى يرددها عبدالفتاح السيسى فى كل مناسبة أن القائد مهما كانت قدراته لا يمكن أن يحقق النجاح دون إرادة شعبية فاعلة ونشطه وطموحه ومبكرا بعد الثورة.. وجد عبدالناصر نفسه فى مواجهة عصابات الإخوان ونجح أن يقضى على شرورهم وكان يعرفهم جيدا وقد انخرط بينهم فى شبابه وكيف يتكرر ظهوره فى وقتنا هذا حتى ربطت الصورة بين جمال وعبدالفتاح فى كادر واحد.. إنه الشعور الوطنى الحساس الذى وجد تشابها بين الاثنين.. جمع حى الجمالية بينهما مبكرا خال جمال كان يسكنه.. بالقرب من البيت الذى شهد ميلاد السيسى وهو الحى الذى شهد أيضا ميلاد أديب نوبل نجيب محفوظ والذى خلده فى رواياته إنها أحياء الأصالة والجدعنة والشهامة.

الذين يقولون فى سماجة وكيف لنا أن نعود إلى دولة العسكر يغفل هؤلاء أن جيشنا هو شعبنا وشعبنا هو جيشنا وقد خلع البكباشى جمال بدلته العسكرية وحل مجلس قيادة الثورة وخيّر

ضباطه الأحرار بين بدلة السياسة والبدلة الميرى ولم تكن بدعة لأن ديجول فى فرنسا فعلها وإيزنهاور فى أمريكا بل إن دولة الصهاينة معظم رجال سياستها من جيشها وهم لمامة من دول وجنسيات عديدة بعكس رجالنا وماذا يقول هؤلاء إن البروفيسر الأمريكى الذى كان يشرف على دراسة اللواء السيسى فى إكاديمية الحرب ووصفه بناء على أبحاثه ومناقشاته بأنه رجل دولة يعتصم بدينه على هموم دنياه ويثق كل الثقة فى عروبته وأبعاده الأفريقية والآسيوية والعالمية.

الناس تطلب السيسى وترى فيه الخلاص من فارق الزعامات العديدة المشكوك فيها من فلان وعلان والناس هى أيضا من طلبت عبدالناصر وتمسكت به حتى بعد أن أطل عليها فى عام ٦٧ وأعلن مسئوليته الكاملة عما جرى برجولة كاملة وقرر أن يبتعد عن المشهد وأنا من الذين خرجوا ولأول مرة أرى والدى – رحمة الله عليه – يبكى أمامى وكنت فى الخامسة عشرة تقريبا وليلتها مشيت أكثر من ٢٠ كيلو متراً على الأقدام فى مشهد جماهيرى عظيم قال بعض السفلة أن الاتحاد الاشتراكى هو الذى أمرنا بالخروج!!

نريد السيسى وقد كشف أبعاد المؤامرة وحمل حياته على كفه عندما رأى وطنه وهو رجل المخابرات أن بلاده على يد العصابة الإخوانية معرضة للبيع فى سوق النخاسة الأمريكى بأبخس الأثمان وبمساعدة الباش أغا التركى والسمسار البهلوان القطرى ولا بأس أن نبحث عن بطل وأن نجد ضالتنا فى هذا الرجل.

وأعود إلى الماضى لأجد أن نفس فرقة الأبالسة قالوا وقتها إن ثورة الشعب التى قادها الجيش فى عام ١٩٥٢ هى انقلاب وتجاهل هؤلاء خروج الملايين تبارك ما فعله ضباطه الأحرار ولو أننا أعطينا الاهتمام للإعلام الكاذب هنا وهناك ما تقدمنا.

ويكاد يكون لسان حال جمال عبدالناصر يقول للسيسى وبشكل عاجل: اعقد العزم وتوكل على الله فإن نزولك سوف يغلق أبواب الفتنة والانقسام إلى حد كبير انزل فإن الشعب لا يمنح ثقته إلا لمن يستحقها والمؤامرات هى نفسها.. غرب لعين وإخوان ملاعين ورجعية عليها ألف لعنة وقد اتهموا عبدالناصر بالعلمانية ومحاربة الدين وهو الذى أسس جامعة الأزهر على أحدث علوم الدنيا والدين واحتضنت مدينة البعوث الإسلامية آلاف الطلاب من الشرق والغرب وعادوا إلى بلادهم وأصبح منهم الرئيس والوزير والقائد وكلهم يدينون بالفضل لمصر الأزهر.

عبدالناصر الذى أسس إذاعة القرآن الكريم وتم تسجيله فى عهده كاملا.. وامتدت يد الإصلاح إلى العباد من عمال وفلاحين وغلابة هم أيضا أول من يقول للسيسى لا تخذلنا ونعدك بألا نخذلك وأن نكون معك فقط نريد أن نشعر بالعدالة بين الجميع فقد عاد إلينا الوطن ووجدنا من يحنو عليه وعلى المواطن.

وقد وقف عبدالناصر يقول للفلاحين فى احتفالاتهم بالإصلاح الزراعى: لقد جئتكم وليس معى هدايا وكل ما عندى مسئولية

كبيرة أريد أن أضعها على أكتافكم بأن تبدعوا وتنتصروا فى معارك التنمية.

إنها نفس الكلمات التى يقولها السيسى فى كل مناسبة لذلك يظل السؤال العاجل يقول: يا من تريدون السيسى هل تريدون الوطن؟ ويا من ربطتم بينه وبين عـبـدالناصـر.. إرادتكم هى الأصل وإذا كنتم تبحثون عن العدل بينكم وبين غيركم الأولى أن تبحثوا عن العدل مع أنفسكم أولاً.. فمن أراد لمصر أن تتغير وعليه أن يتغير ولا اختيار أمامنا ولا خلفنا إلا أن ننجح بكرامة وكبرياء وقوة.. بإذن الله من قبل ومن بعد.



الإمام الأكبر أحمد الطيب
شيخ الأزهر الشريف

وجود الإمام الأكبر شيخ الجامع الأزهر فى مشهد ٣ يوليو كان له دلالته الواضحة.. وأهميته الكبرى لأن إخوان الأبالسة صوروا ما جرى فى ٣٠ يونيو على أنه الانقلاب ضد شرع الله.. وأبعد من ذلك وقفوا على منصة رابعة العدوية حيث اعتصموا واعتبروها دولة إسلامية من قلب دولة كافرة لا تريد لشرع الله أن يسود والعجيب أن الدول التى تؤمن بالعلمانية وكانت تخشى ـ حكم العسكر وتطلبها مدنية مدنية.. دخلت معهم على الخط ونبتت لها لحية واكتست أجسادهم بالجلباب القصير.

لقد جاء ٣٠ يونيو يحطم الكثير من المفاهيم الكاذبة المغلوطة ويردها إلى طريق الصواب فهل يمكن لدولة تحارب إسلامها وصليبها أن تضع شيخ أزهر وبابا كنيستها فى الصدارة على هذا النحو الذى شاهدته الدنيا كلها فى ٣ يوليو.

وجدد شيخ الأزهر الطيب ابن الطيبين الزاهد فى راتبه وموقعه خريج السوربون كان يعرف أن حضوره يعنى عودة الأزهر إلى

المكان والمكانة فى وقت تعرض فيه الأزهر الشريف إلى هجمات شرسة من الإخوان والسلفية والتكفيريين والأزهر دائما وأبدا حكاية مرتبطة بالوطن فى أفراحه وأحزانه وانتصاره وانكساره وهنا نقف مع حلمى النمنم فى كتابه الأزهر الشيخ والمشيخة حيث يقول:

الأزهر هو أول مسجد جامع بنى فى القاهرة، أسسه جوهر الصقلى حين شرع فى تأسيس العاصمة الجديدة، أى القاهرة، وكان بناء مسجد جامع فى العاصمة أو المدينة قيد الإنشاء، سلوكاً منيعاً فى الدولة الإسلامية، أيا كان اسمها، ويعود هذا السلوك أو التقليد إلى سنة استنها الحكام والولاة عن رسول الله، حين هاجر إلى المدينة «يثرب» إذ شرع فى بناء مسجده بها، وكان المسجد مقراً للصلاة وبمعنى ما لإدارة شئون المدينة «الدولة»، وجاء من بعده الخليفة الأول أبو بكر الصديق ثم عمر بن الخطاب الذى طلب من الولاة والفاتحين أن يتخذ كل منهم فى المدينة التى يقيم بها مسجداً جامعاً، ولذا وجدنا عمرو بن العاص يقيم الجامع الذى يحمل اسمه إلى اليوم فى «الفسطاط» حين دخلها لحظة فتح مصر.

وإذا كان بناء المسجد الجامع فى المدينة ضرورة سياسية ودينية، فإن إقامة الأزهر فى القاهرة، حمل معنى إضافياً وهو أنه ضرورة أيديولوجية أو مذهبية فالدولة الفاطمية، كانت دولة إسلامية تعتنق المذهب الشيعى، وتحديداً الشيعة الإسماعيلية، وكان الهدف نشر هذا المذهب فى مصر كى تكون قاعدة انطلاق

نحو بلاد الشام، أى السيطرة على الدولة العباسية، ومركزها بغداد، والدولة العباسية كانت دولة إسلامية سنية ومن هنا عول جوهر على بناء الأزهر فى هدفه وهدف دولته الاستراتيجى.

بدأ العمل فى الأزهر بموقعه الحالى، فى شهر جمادى الأولى سنة ٣٥٩ هجرية ـ مايو سنة ٩٧٠ ميلادية واستغرق العمل فيه أكثر من عامين حيث تم افتتاحه بإقامة صلاة الجمعة أول مرة فيه يوم ٧ من رمضان سنة ٣٦١ هجرية، وقد وضح الطابع المذهبى بالأزهر من اللحظة الأولى، فقد كان الأذان به مختلفاً عما اعتاده المصريون، فبدلا من «حى على الصلاة، حى على الفلاح» بدأ المؤذن يقول «حى على خير العمل» واصطبغ الأذان بالطابع الشيعى الصرف، فقد وردت فيه عبارة «محمد وعلى خير البشر»، ثم أمر الخليفة الفاطمى بتعميم الأذان، فانتقل منه إلى جامع أحمد بن طولون ثم جامع عمرو بن العاص وهكذا.

لم يقف التعديل على نص الأذان، ولكنه امتد إلى الدعاء الذى أدخل على خطب الجمعة والعيدين، وكان الدعاء شيعيا أيضا، إذ يقول «اللهم صل على محمد النبى المصطفى، وعلى على المرتضى، وعلى فاطمة البتول، وعلى الحسن والحسين سبطى الرسول، اللذين أذهبت عنهم الرجس وطهرتهم تطهيرا، اللهم صل على الأئمة الراشدين، آباء أمير المؤمنين الهادين المهديين»، ظل الأزهر، أو جامع القاهرة، كما كان يسمى عند إنشائه، هو الجامع الرسمى للدولة، كان الخليفة الفاطمى يصلى الجمعة الأولى من رمضان فى القصر، ثم يصلى بقية الجمع طوال

الشهر فى الأزهر وكذلك الحال فى العيدين، وبقى الأزهر على هذا الحال حتى أقيم جامع الحاكم بأمر الله، والذى يقع حاليا فى أول شارع المعز لدين الله من جهة باب الفتوح.. فقد استأثر الجامع الجديد باهتمام الخليفة، وصار الجامع الرسمى، إن صحت التسمية، ولكن هذا لا يعنى تراجع الاهتمام بالأزهر، بقى فى الصدارة ومن الجوامع المعدودة فى القاهرة الكبرى، كان هناك جامع عمرو وجامع ابن طولون ثم الأزهر وأخيراً جامع الحاكم بأمر الله أو الجامع الحاكمى، وأطلق عليه أيضا «الجامع الأنور»، ويحتفظ إلى اليوم باسم «جامع الحاكم».

لم يكن الأزهر مسجداً جامعاً فقط، لكنه كان ساحة علمية كذلك، فقد كان الفقهاء يتدارسون فيه الفقه الشيعى، صحيح أنه كان به بعض الدروس والمناقشات الدينية عموما، لكن كان المذهب الشيعى وقضاياه هو الغالب على الدرس، ولا يحب أن نقلل من ذلك الأمر، فقد كانت هذه الدروس تهدف إلى نشر التشيع بين المصريين، لكن مكانة وأهمية الدرس به تراجعت كذلك فى عصر الحاكم بأمر الله، فكما أنشأ الحاكم جامعه فى شارع المعز، أسس كذلك «دار الحكمة» وكانت أشبه بمكتبة أو أكاديمية تضم مختلف الكتب والدراسات حول المذهب والفقه الشيعى، وقد سحبت هذه الدار من رصيد الأزهر كموقع للدراسة وإن كان هناك من يرى أن ذلك أدى إلى تراجع دراسة الفقه الشيعى بالأزهر لكنه أنعش الدراسات الدينية المذهبية عموما والدراسات اللغوية والأدبية باختصار أصبح الأزهر متحررا من ضغط المذهب الرسمى للدولة.

بقى الأزهر، على هذا النحو، حتى سقطت الدولة الفاطمية على يد صلاح الدين الأيوبى الذى أسس الدولة الأيوبية وهى دولة سنية المذهب، ويذكر المؤرخون أن الشعب المصرى لم يكن تشيع فى عهد الدولة الفاطمية، وقد ورد لدى ابن الأثير فى «الكامل» أن الذين تشيعوا كانوا من العاملين فى جهاز الدولة فقط، وأن عددهم تجاوز المئتين، والمعنى أنه لم تكن هناك مشكلة مذهبية فى مصر، لكن صلاح الدين أراد أن يحد من الثقافة الشيعية فى مصر، وكان أمامه دار الحكمة والجامع الأزهر، كانت الدار هى المكتبة والأكاديمية الكبرى فى البلاد وكان الأزهر هو الجامع الأقدم والرمز فى القاهرة، ولذا قرر صلاح الدين أن يتخلص منهما، وفيما يخص دار الحكمة فقد أمر بإحراقها وحملت الكتب والمجلدات التى بها إلى مستوقدات الفول، واختلف المؤرخون فيما بينهم، منهم من ذهب إلى أن هذه المستوقدات ظلت تعمل بالكتب أربعة أشهر وذكر بعضهم أنها عامان، وسواء أكانت شهوراً أو عامين فهذا يكشف ضخامة الكتب التى كانت موجودة بالدار(٢)، أما الأزهر لم يكن ممكناً إحراقه، لكن كان ممكناً إلغاء وجوده ودوره، ولم يفعل صلاح الدين ذلك بنفسه بل تركه إلى قاضى القضاة صدر الدين عبدالله بن درباس، كان صلاح الدين شافعى المذهب، وكذلك كان قاضى القضاة.

قرر قاضى القضاة ابن درباس أن الفقه الشافعى لا يجيز أن تقام خطبتان للجمعة فى مدينة واحدة وكذلك الحال بالنسبة إلى خطبة عيد الفطر وخطبة عيد الأضحى، ومن ثم فلا معنى وجود

مسجدين جامعين فى مدينة واحدة، ولم تكن هناك مشكلة بالنسبة إلى جامع عمرو، حيث إنه يقع فى مدينة «الفسطاط» وكذلك جامع أحمد بن طولون الذى يقع فى مدينة «القطائع» وكل منهما مدينة مستقلة، آنذاك، وتقع خارج أسوار القاهرة، أما الأزهر فقد كان داخل القاهرة ومعه كذلك جامع الحاكم بأمر الله، ولذا كان لابد من المفاضلة بينهما واستبقاء أحدهما فقط وتقرر الاكتفاء بإقامة الصلاة فى جامع الحاكم، ومنع إقامة الصلاة الجامعة فى الأزهر، ولا نعرف على أى أساس تمت المفاضلة وتم استبعاد الأزهر، هل لأنه كان مركزاً للدرس وللعلم إلى جوار الصلاة، هل لأن الفقهاء به كانوا أكثر شهرة وجذباً للمواطنين، هل لأنه الأقدم ومن ثم فهو «الرمز» للدولة البائدة؟ المهم أنه فى عام ٥٦٧ هجرية (١١٧١ ميلادية)، توقفت الخطبة ومن ثم الصلاة فى الأزهر، بعد أكثر من قرنين كان فيهما محط اهتمام الدارسين والمتفقهين فى المذهب الشيعى، لم يكن رأى قاضى القضاة أو فتواه تمنع إقامة الصلاة فى الأزهر، طوال الأسبوع، فقط تمنع صلاة الجمعة، لكن هذه أخذت معها بقية الصلوات، طوال الأيام، وهكذا هجر الفقهاء والعلماء الأزهر، وهجره معهم المصلون وازداد هجران المصلين له بعد انتزاع أجزاء من الفضة الخالصة كانت فى محراب الأزهر، قدر المقريزى وزنها بأنها «خمسة آلاف درهم نقرة» وكان رأى صلاح الدين أن وجود الفضة فى المحراب من تراث الخلفاء الفاطميين ورموزهم التى يجب أن تزال، وقد أدى هذا كله إلى انصراف المصلين تمامًا عن الأزهر.. والمساجد مثل

البيوت إذا هجرها أصحابها، دب فيها الخراب والبؤس فقد تم الاعتداء على أرض الأزهر ومخصصاته ثم تآكلت أسقفه وحوائطه، ومع الأيام صار مجرد مبنى خرب، أو أطلال مبنى والبيروقراطية هى هى دائما، مضى صلاح الدين الأيوبى إلى ربه، وجاء من بعده عدد من السلاطين وانقضى أمر الدولة والأسرة الأيوبية بالكامل، لكن بقيت فتوى أو قرار منع إقامة الصلاة الجامعة بالجامع الأزهر، يصدر القرار ثم تزول أسباب اتخاذه ودوافعه، وتتغير الأجواء بالكامل لكن يبقى القرار سارياً ونافذاً ويصبح من التراث الذى لا يجوز الاقتراب منه بالإلغاء أو التعديل، ولا يتم حتى إعادة التفكير فيه، وهذا ما حدث بالنسبة إلى الأزهر فترة طويلة، قرابة مئة عام والأزهر معطل تماماً.

فى عصر الظاهر ركن الدين بيبرس، حدث إحياء للجامع الأزهر، فقد كان نائب السلطنة فى عهده، الأمير عز الدين أيدمر العلى، يسكن داراً بجوار الأزهر، وعز عليه أن يكون بجوار داره ذلك المكان الخرب بكل ما تحمله الكلمة من معنى وعز عليه كذلك أن يكون ذلك مآل المسجد الأول بمدينة القاهرة، والحق أن عصر المماليك شهد ازدهاراً واهتماماً شديداً ببناء المساجد والاهتمام بها وبفنونها المعمارية، شرع الأمير فى إعادة إعمار الأزهر، فبدأ باستعادة أراضيه التى تم الاعتداء عليها وأملاكه التى تسربت، ثم جرت إعادة بناء الأزهر، فضلا عن توسعته، وحين اكتمل البناء خصص له خطيباً وجاء بالفقهاء يتلون آيات القرآن الكريم به.. ولم يكن الأمير يفعل ذلك منفرداً أو دون علم السلطان، فقد فاتح بيبرس فى الأمر وأقنعه بأهمية إعادة الحياة

إلى الأزهر، بقيت مشكلة إقامة صلاة جامعة بالمسجد وهناك فتوى سابقة بعدم جواز إقامة صلاة الجماعة به، والفتوى لا تنسخ ولا تلغى إلا بفتوى، على نفس المستوى، أى أن فتوى المنع صدرت عن قاضى القضاة فلا ترد إلا بفتوى من قاضى القضاة أيضا.. وهكذا توجه نائب السلطنة إلى قاضى القضاة تاج الدين ابن بنت الأعز، وكان شافعياً، يطلب إليه أن تؤدى صلاة الجمعة فى الأزهر، كان ذلك فى عام ٦٦٥ هجرية = ١٢٦٧ ميلادية أى بعد مضى ٩٨ عاما هجرية على الفتوى الأولى التى أصدرها سلفة صدر الدين عبدالله بن درباس، لكن ابن بنت الأعز رفض طلب نائب السلطنة وتمسك بفتوى سلفه، قرابة قرن من الزمان ولا يريد قاضى القضاة أن يعيد النظر فى فتوى سابقة، ولا يريد أن يتأمل الواقع الجديد، ولا أن يدرك معنى إعادة افتتاح بيت من بيوت الله، قرابة قرن ولم يتطور الفقه الشافعى بقى الفقهاء مقلدين وأكاد أقول جامدين، لكن نائب السلطنة لم ييأس، فطلب تدخل السلطان بنفسه، وفعلها بيبرس الذى فاتح هو الآخر ابن بنت الأعز، ويبدو أن المسألة داخلها العناد، وربما جاء عناد ابن بنت الأعز من أن نائب السلطنة لم يفاتحه من البداية، حين قرر استعادة الأزهر، وذهب إليه بعد أن كان قد أعاد الإعمار واختار المؤذن والخطيب.. أيا كان الأمر تعقد الموقف تماما، ابن بنت الأعز أعلن تمسكه بعدم إقامة صلاة الجماعة بالأزهر اكتفاء بالمسجد الحاكمى، وكان يعنى ذلك أن يترك الأزهر من جديد للخراب.. بقى السلطان ونائبه وحدهما، أمام ابن بنت الأعز الذى وجد مساندة كاملة

من فقهاء الشافعية وقضاتها فى مصر، ولم يجد السلطان بداً من أن يعزل قاضى القضاة وهذا من حقه ومن اختصاصه، وجاء مكانه بآخر ينتمى إلى مذهب الإمام الأعظم أبى حنيفة النعمان، وكان معروفاً سلفاً أن الأحناف لا يمانعون فى أن تقام أكثر من صلاة جامعة فى المدينة، وقرر قاضى القضاة الحنفى إعادة صلاة الجمعة إلى الأزهر الشريف، وتحدد يوم الجمعة ١٨ من ربيع الأول سنة ٦٦٥ هجرية، لبدء الصلاة بالأزهر لكن هناك رواية أخرى تنفى قيام الظاهر بعزل قاضى القضاة الشافعى وأن نائب السلطنة اكتفى برأى عدد من الفقهاء أجازوا إقامة الصلاة، وطبقا لهذه الرواية فإن السلطان الظاهر لم يحضر صلاة الجمعة الأولى بالأزهر، لأن قاضى القضاة لم يحضرها، ولم يكن ممكنا أن يتم إرغام قاضى القضاة أو إكراهه على ما لا يوافق به ويرضاه، المهم أن قاضى القضاة قال رأياً وتمسك به، لكنه لم يقف ضد ولم يمنع الرأى المغاير له، وأقيمت الصلاة ودعى إليها كبار العلماء والفقهاء فضلا عن عدد من الأمراء، وبعد الصلاة أخذهم نائب السلطنة إلى داره، وأقام لهم مأدبة كبيرة.. وأكرمهم، وأجاب مطالبهم، ويقول المقريزى إنه قدم لهم «ما تشتهى الأنفس وتلذ الأعين، ثم دار الحديث حول مشروعية الصلاة الجامعة وكتبوا فتوى بذلك، وأخذ خطوطهم عليها» أى وقعوا عليها جميعا، وبذلك لم يعد هناك مجال للاعتراض على إقامة الصلاة به وهكذا انتظمت الصلاة بالأزهر وصار له إمام يؤم المصلين ومؤذنون وقراء للقرآن الكريم، والأهم من ذلك أن أصبح له «ناظر» يدير ويتولى

شئونه، ولم يكن «ناظر الأزهر» من العلماء ولا من الفقهاء، فقد كانت مهمته إدارية بحتة، يتولى متابعة الأوقاف التى أوقفت عليه ونظامه ونظافته وغير ذلك.. ولم يعد الأزهر مسجدا للصلاة فقط، بل كانت تقرأ وتعلن على الناس من منبره النداءات والمنشورات أو التعليمات السلطانية إلى الرعية وكذلك توجيهات الأمراء، أى صار منبراً إعلامياً إلى جوار دوره الدينى وازدهرت أحوال الأزهر.

☆☆☆

وفى بدايات القرن التاسع الهجرى «٨١٨هـ - ١٤١٥ ميلادية» كانت نظارة الأزهر للأمير سودون القاضى، حاجب الحجاب، وتحت إلحاح وضغوط مشاغله، عهد إلى صديقه شمس الدين محمد أن يقوم بنظارة الأزهر نيابة عنه، وفى تلك الفترة كان هناك بعض المجاورين من طلاب العلم، فضلاً عن الأغراب القادمين إلى القاهرة من بلاد الغرب أو الشام، وكذلك من القادمين إليها من الريف المصرى، ولا يجدون مكاناً للمبيت أولا تمكنهم قدراتهم المالية من الإقامة فى أحد الخانات «فنادق» فإنهم كانوا يبيتون بالأزهر، ومن الناحية العملية كانوا يقيمون فيه إقامة تامة، وبلغ عددهم فى تقدير المقريزى نحو ٧٥٠ فردا، ويبدو أن هذا الأمر كان موضع استنكار البعض، وهكذا فى جمادى الأول من نفس السنة، وكان صيفاً قائظاً قرر ناظر الأزهر بالإنابة إخراج المجاورين منه ومعهم صناديقهم ومتعلقاتهم، وقال الناظر إنه بذلك يقوم بعمل يثيبه الله عليه» ويعلق المقريزى بأن ذلك العمل «كان من أعظم الذنوب وأكثرها ضرراً.. والواقع أن من طردوا من الجامع كان معظمهم من طلاب العلم يدرسون الفقه والحديث والتفسير، فضلاً عن قراءة القرآن الكريم

وكانت لهم مجالس وعظ وحلقات ذكر، وبطردهم من الأزهر تشردوا فى أقاليم مصر وتدهورت حالهم، فقد فقدوا دخلاً اقتصادياً كان يرد إليهم، وطافوا بالقرى يسألون الناس، وكان لهؤلاء المجاورين أروقتهم، لكن فى تلك الموجة بقى بعض المغتربين لم يخرجوا من الأزهر، ظلوا يبيتون فيه، ويبدو أن تصرف ناظر الأزهر كان موضع لغط فى مجتمع القاهرة، لذا نراه يعلن تبريراً لتصرفه ذلك فقد ذكر أنه وصلته أخبار ولنقل وشايات بأن هؤلاء الذين أخرجهم كانوا يقومون بارتكاب المنكرات ليلاً داخل المسجد، ولم يحدد أى نوع من المنكرات، ولم يذكر ما إذا كان تحقق منها أو أنه أعمل الآية القرآنية الكريمة التى تطالبنا بأن نتبين إذا ما جاءنا فاسق بنبأ، ولم يذكر واقعة واحدة تثبت وقوع المنكر، ويبدو أن الذين لم يبرحوا الجامع كانوا مصرين على موقفهم ورفضوا الامتثال لأوامر ناظر الأزهر بمغادرة الجامع، لذا نراه يقدم على عملية غريبة من نوعها بعد حوالى شهر.

فى ليلة ١١ من جمادى الآخر اقتحم الناظر الجامع ومعه بعض الجند وسار فى موكبهم عدد غير قليل من الغلمان والزعران والعوام، الجند قاموا بضرب المجاورين المقيمين بالجامع وطردوهم، أما الزعران والغلمان فقد نهبوا الجامع واخذوا ما به من أشياء المجاورين واحتياجاتهم الخاصة كالملابس والكتب وغيرها، وامتدت أيديهم إلى ما فى الجامع من مصاحف وكتب، المقريزى يقول لنا إنهم خربوا الجامع تماماً، ويمكننا أن نفهم من هذا التعبير أنهم أخذوا كل ما وجدوه أمامهم وما أمكنهم أخذه.

أخرج المجاورون من الأزهر عنوة وتشردوا فى أنحاء مصر، يحاولون التكسب بما لديهم من بعض العلم والفقه، وما يلفت الانتباه هنا، أن هذا الحادث رغم بشاعته وقسوته مر وكأنه شأن يومى أو عادى، ناظر الأزهر تصرف فى حدود اختصاصه وسلطاته الممنوحة إليه، لم يكن هناك وقتها من يمكن أن يطلق عليهم علماء الأزهر، حتى يغضبوا أو يحتجوا على السلوك الشائن للناظر، ولا كانت هناك الشخصية الأدبية والمعنوية للأزهر التى تجعل سكان القاهرة يهبون ويلتفون حوله وحول من به من العلماء أو حتى المجاورين، كما سيحدث فيما بعد، كان الأزهر جامعاً بين جوامع عدة فى مصر المحروسة.. لا هو أقدمها ولا هو يمتاز عنها بشىء.

☆☆☆

حمل العصر المملوكى بعض الرياح التى جعلت الجامع الأزهر يتقدم على غيره من الجوامع وتبدأ مدرسته العلمية فى التشكل، وكانت هذه الرياح قادمة من خارج مصر، فقد شهد ذلك العصر اجتياح المغول لبغداد وقيامهم بتدميرها وإحراقها، كانت بغداد - بمعنى ما - عاصمة العالم الإسلامى كله، صحيح أنها لم تكن كما كانت فى عصر الرشيد وخلفاء بنى العباس العظام، لكنها كانت تحمل الكثير من عبقها القديم، فيها كبار علماء الإسلام، وقد وجد هؤلاء عاصمتهم تهدم وكتبهم تحرق، وهم أنفسهم لن يسلموا من وحشية هولاكو، فهاجروا منها، وجاء عدد منهم بما يحمله من كتب وعلم إلى مصر، واستقر بعضهم بالجامع الأزهر.. وفى الناحية الأخرى من العالم الإسلامى، فى بلاد الأندلس - إسبانيا حالياً -

كانت الضغوط الكاثوليكية تزداد على الإمارات الإسلامية، وكان ضعف الامراء المسلمين باديا وملامح هزيمتهم واضحة، لذا فر عدد من علمائها ومحدثيها وكتابها إلى البلاد الإسلامية المجاورة، اقصد «بلاد الغرب» فى شمال أفريقيا، وكان أن انتقل عدد منهم إلى مصر واستقرت بهم الحال فى الجامع الأزهر.. فى ذلك الزمان كانت الأراضى والأملاك الموقوفة على الأزهر تزداد، من أمراء وكبار التجار وغيرهم ، وقد أدى هذا إلى ازدياد العائد على علماء الأزهر وطلابه، وهذا ما شجع العلماء على أن يختاروا الأزهر للتدريس به والجلوس فيه، ومن هؤلاء عبدالرحمن بن خلدون، الذى اختار الأزهر معقلاً له، حين جاء إلى مصر قادماً من تونس، واستمع المجاورون إلى أفكاره وآرائه المستنيرة التى سبق بها عصره، خصوصاً فى مجال التاريخ والاجتماع.

وسقطت الدولة المملوكية تحت سنابك خيول سليم الأول، فى موقعة مرج دابق سنة ١٥١٧م، ودخل سليم الأول القاهرة، ووجد مقاومة عنيفة من السلطان العادل طومان باى، وأمكن لسليم الأول التغلب عليه وإعدامه على باب زويلة وبدءا من عام ١٥١٨م استقر الأمر للعثمانيين فى مصر، ومن ثم بدأت المرحلة العثمانية فى التاريخ المصرى، بسماتها المختلفة تماما عما قبلها، وانعكس ذلك كله على الأزهر، حتى مجىء العثمانيين كان الأزهر جامعا بين جوامع أخرى فى القاهرة، وكانت به مدرسة مثل بقية المدارس فى الجوامع الأخرى مثل جامع السلطان حسن وجامع عمرو وغيرهما من الجوامع والمدارس، لكن تغير الأمر كثيراً مع العثمانيين لصالح الأزهر.

كانت مصر مع المماليك دولة مستقلة، وكان حاكمها يحمل لقب ومسمى «سلطان» وكانت تتبعه بلاد الشام كلها، أى ما يشمل الآن الأردن وفلسطين وسوريا ولبنان والموصل بالعراق، وكانت تتبعه كذلك بلاد الحرمين الشريفين، ولأن السلطان المملوكى كان غالباً بلا ذرية ترث موقعه، فقد كان السلاطين يحرصون على أن تخلد أسماؤهم بمنجزات ملموسة، ولذا كان يسعى كل منهم إلى بناء جامع أو أن يوقف من أملاكه وثرواته على بعض الجوامع مثلا الأزهر.. ولم يكن بعضهم يكتفى بالجامع وحده، بل كان يلحق به سبيلاً وكتاباً لتعليم القرآن الكريم ومدرسة علمية وفقهية، وربما ألحق به «ماريستانا» أى مستشفى عام لعلاج المرضى مجانيا، وهكذا وجدنا مجموعة السلطان قلاوون، وكذلك جامع السلطان حسن وغيرها من الجوامع التى لا تزال تزين القاهرة إلى يومنا هذا ـ لكن مع العثمانيين تغير الأمر، لم يعد حاكم مصر سلطانا، بل صارت مصر ولاية عثمانية تتبع الأستانة وليس لها سلطان، تنتظر والياً يعينه سلطان اسطنبول ويأتى هذا الوالى «موظفاً» عبر البحر إلى الإسكندرية ومنها إلى القلعة يجلس فيها ولا يغادرها إلا نادرا وكانت خطة العثمانيين ألا يمكث الوالى فى مصر أكثر من ثلاث سنوات حتى لا يؤسس لنفسه قاعدة قوية بها وتراوده الأحلام إلى السعى نحو الاستقلال والانفصال بل يبقى مجرد موظف رفيع المستوى.. وإذا كان الأمر على هذا النحو لم يعد هناك مبرر ولا نية لدى الوالى أن يؤسس جامعا أو يشيد مدرسة علمية لذا فقد تراجع بناء المساجد الكبرى فى العصر العثمانى،

وكان أن وضع الولاة أيديهم على ممتلكات السلاطين والحكام السابقين، فضعف الإنفاق على الجوامع الكبرى المقامة، وأهملت الأوقاف التى أوقفت عليها، فقل عائدها، ومن ثم ضعف الاهتمام بهذه الجوامع وأدى ذلك إلى تراجع المدارس التى تتبعها، فلم يعد دخل الفقهاء والطلاب بها كما كان ولا صار مشجعا واتجه هؤلاء إلى الأزهر وساعدت على ذلك عوامل عديدة، ومن بينها أن الأزهر لم يكن ينتسب إلى سلطان سابق من سلاطين المماليك فلم يحسب دارسوه وعلماؤه على المرحلة السابقة والدولة المنهارة «البائدة» وكانت أوقافه كثيرة وتعود إلى أمراء وتجار وأغنياء من عموم الناس، وهكذا ظلت إيراداته فى ازدياد، وبقى الأثرياء يوقفون عليه أوقافا جديدة، فصار قبلة العلماء والدارسين، ويمكن أن نضيف إلى ذلك اتساع مساحته وازدياد الفراغ المحيط به، مما أمكن بناء الأروقة للطلاب وللمجاورين حوله، وهذا جعله المدرسة الأولى فى مصر فى ذلك الزمان، ولأن النمط العثمانى الحاكم كان واحدا فى بلاد المنطقة العربية، وضعف المدارس الذى جرى فى مصر، جرى مثله وربما أكثر فى تلك البلدان، لذا وفد الدارسون من هذه البلدان أو معظمهم إلى الأزهر ومن ثم صار جامعة بالمعنى الكامل، تستقبل الطلاب من كل مكان بلا شرط سوى الشروط العلمية المعمول بها فى تلك الجامعة.

ولم يشهد ذلك العصر بروز علماء كبار فى مصر، كما كان فى السابق، مثل ابن خلدون.. تقى الدين المقريزى.. السيوطى وغيرهم من العلماء والفقهاء والمؤرخين الكبار، لكن الأزهر لعب

دوراً مهماً فى حفظ وصيانة علوم العربية، فمع التدهور العلمى فى مصر وغيرها من الولايات العربية التابعة للسلطان العثمانى، كان يمكن لتراث العربية وعلومها أن تتبدد وتفقد هى الأخرى، لكن الأزهر أتاح الحفاظ عليها، فضلاً عن تجميعها وتدارسها، صحيح أنه لم تحدث إضافات علمية كبرى عليها، لكن يكفيه أنه حفظها، خصوصاً أن الدولة الحاكمة، أى الدولة العثمانية كانت تعتمد لغتها القومية أى التركية، ومن ثم كان حماية العربية مهمة قام بها الأزهر، حماية لها من التبدد والتتريك، والحقيقة أن الدولة العثمانية كدولة إسلامية فى نهاية الأمر لم تجد غضاضة فى دور الأزهر العلمى بل رحبت به وأبدت احتراما خاصا تجاهه، مما مكن له القيام بذلك الدور. واذا كان هناك من سخروا من عقلية «الهوامش على المتون» التى انتشرت فى ذلك العصر وسادت الأزهر، فلا يجب أن نغفل له دوره المهم فى صيانة اللغة العربية والعلوم الإسلامية.

☆☆☆

اتاح العصر العثمانى للأزهر أن يلعب دوراً جديداً عليه، هو الدور الاجتماعى والسياسى، ذلك أنه من البداية كان هناك حاجز حقيقى بين الدولة العثمانية متمثلة فى السلطان ومندوبه بمصر أى الوالى، والشعب المصرى.

هذا الحاجز انتبه إليه مبكرا السلطان سليم الأول وهو فى القاهرة، فالولى سوف يجىء من الأستانة وهو على الأغلب لن يكون غير ضيف على مصر والمصريين، لكنه ضيف ثقيل، لا

يعرف العربية ولا يعرف الشعب المصرى، ومصيره ليس مرتبطا به، بعكس سلاطين المماليك من قبل فقد كانوا أغراباً حقاً عن مصر، لكنهم كانوا يتعلمون العربية وبعضهم كان يجيدها، السلطان قنصوة الغورى كان يعقد مجالس العلم والشعر والأدب فى قصره، وكان يشارك فيها بالرأى وبالحجة السلطان طومان باى كان - بمعنى ما - تلميذ الشيخ أبى السعود الجارحى وكان طومان متصوفاً وشاعراً أيضاً، لكن الولاة العثمانيين لم يكونوا كذلك، ولعل انتباه سليم الأول إلى هذه الحقيقة هو ما دفعه إلى الإبقاء على بكوات المماليك فى مصر، وكان تصوره أن هؤلاء سوف يكونون عوناً للوالى وحلقة وصل بينه وبين عموم المصريين بحكم احتكاكهم بهم أو تعاملهم معهم، لكن ما لم يلتفت إليه سليم الأول أن هؤلاء المماليك كان يردعهم وجود السلطان بالقلعة، أما وأن المقيم بالقلعة هو «الوالى» وهو أضعف من أن يلزمهم بشىء أو يضغط عليهم، لذا استبدوا بالاهالى واشتد طغيانهم، وهكذا صاروا حاجزاً إضافياً بين الدولة العلية والمواطنين المصريين وكان لابد من وسيط بين الأهالى، أى المصريين عموماً والدولة التى تحكمهم سواء مع الوالى فى القلعة أو مقر السلطنة نفسه بالعاصمة، ولم يكن غير الأزهر كى يقوم بهذا الدور.. وتثبت الوقائع أن الأهالى هم الذين اختاروا علماء الأزهر تلقائياً، فقد كانوا يلجأون إليهم بالشكوى مما يتعرضون له من ظلم وأجحاف الولاة ومماليكهم، ويجب القول إن الأزهر كان «المؤسسة» المؤهلة والجاهزة أكثر لأداء هذا الدور، وذلك أن العلماء

والمجاورين هم من عموم المصريين من الصعيد ومن الدلتا فضلاً عن المدن الكبرى ومن ثم هم يمثلون الشريحة الكبرى من السكان، أهالى مصر وإذا كان المواطنون يلجأون إلى علماء الدين يستفتونهم فيما يعن لهم وما يواجههم من مشكلات فى حياتهم، يصبح من الطبيعى أن يشكوا إليهم ما يقع عليهم من ظلم ومن عنت.. والعلماء يتاح لهم فى العديد من المناسبات الدينية أن يلتقوا الوالى وكبار البكوات، لذا يكون مطلوباً منهم أن يفاتحوه بطريقتهم فى أمر ما يصل إلى مسامعهم من شكاوى.. وهذا ما حدث ومع مرور السنوات، كان هذا الدور يقوى ويشتد.

«الوسيط» بين طرفين يجب أن ينال رضا كل طرف، ومن ثم لا يمكن أن ينحاز نهائيا لصالح طرف ضد طرف آخر، ولا يمكن أن يكون «ثورياً» لصالح طرف، ولكنه يحافظ على مسافة مع كل منهما، وحين كانت الدولة قوية، كانت وساطته بسيطة ومحددة، لكن مع ضعف الدولة وضعف رموزها وشدة الاستبداد والبطش بالأهالى، قوى دور الوسيط وصار أكثر انحيازاً للأهالى وتعبيراً عنهم، وهذا ما وجدناه فى السنوات السابقة على حملة نابليون.

ومن بين ما حمله العصر العثمانى بالنسبة إلى الأزهر هو ظهور منصب «شيخ الأزهر» ليكون معبراً عن المؤسسة وممثلاً لها لدى الوالى، والأهم من ذلك يكون الأزهر نموذجاً للفقه وللعلم أمام الأهالى والمسلمين عامة فى مصر وفى غيرها من بلدان المنطقة.

الأزهر.. والثورة

يواصل حلمى النمنم الكاتب الصحفى الكبير والذى أصبح وزيراً للثقافة فيما بعد.. رحلته مع الأزهر ودوره فى ثورة يناير والمواقف التى أثيرت فى هذا الشأن سلباً وإيجاباً.. ويؤكد فى كتابه «الأزهر الشيخ والمشيخة».. أن المؤسسة العريقة لم تكن غائبة فى ثورة ٢٥ يناير، وكانت مشيخة الأزهر والشيخ حاضرين أيضاً.. شيخ الأزهر وهو د. أحمد الطيب وهو من شيوخ الأزهر الذين أتموا تعليمهم العالى فى باريس مثل د. عبدالحليم محمود ود. عبدالرحمن تاج وغيرهما، وقد تولى موقع دار الإفتاء المصرية ثم ترك هذا الموقع ليشغل رئاسة جامعة الأزهر، وفى صيف ٢٠١٠م صدر القرار الجمهورى بتعيينه شيخاً للأزهر، خلفاً للشيخ محمد سيد طنطاوى الذى توفى فى ١٠ مارس ٢٠١٠م، صدر القرار فى ١٩ مارس، فلم يكن ممكناً للدولة أن تترك ذلك الموقع المهم شاغراً.

واجه د. الطيب مشكلة فور تعيينه، فقد كان عضواً فى المكتب السياسى للحزب الوطنى الحاكم، وأثار ذلك الموقع قلق الكثيرين، فلا يليق بالإمام الأكبر شيخ الأزهر أن يكون قيادياً فى الحزب الحاكم أو أى حزب آخر، وتقدم د. الطيب باستقالته من ذلك الموقع ومن الحزب إلى رئيس الحزب الذى هو الرئيس مبارك، وقبلت الاستقالة فور عودة مبارك من رحلته العلاجية فى ألمانيا، وكان ذلك الموقف مهماً للشيخ وللمشيخة، فقد أدرك الجميع أن المشيخة يجب أن تقف على مسافة من الحزب

الحاكم ومن قيادة الحكم، وهذا وضح أثناء ثورة ٢٥ يناير، طبعاً لم يكن متوقعاً من الشيخ وهو فى موقعه أن يخرج على الحكم، والحاكم أو أن ينزل الشارع ليشارك فى المظاهرات كما تصور البعض، لكنه اكتفى بإصدار عدة بيانات تناشد الشباب بالهدوء وأن مطالبهم سوف تجاب وقف الشيخ على مسافة متساوية من الحكم ومن المتظاهرين، وكان ذلك مكسباً للمتظاهرين، فلم يتورط الشيخ فيما تورط فيه آخرون، لكن كما هى عادة الأزهر فى الثورات، شاهدنا شباب العلماء من أبناء الأزهر يندفعون فى مجموعات بعمائمهم وزيهم الأزهرى إلى ميدان التحرير منذ يوم موقعة الجمل، ليؤكدوا انحيازهم إلى المطلب العام للجماهير المصرية وأن موقعهم وسط الجماهير.

بعد ١١ فبراير ورحيل مبارك عن الحكم تعرض د. الطيب لهجوم جاء من بعض العاملين بالأزهر، ولقى انتقادات من بعض شباب ثورة يناير، واعتبر من «الفلول».. وتبين أن احتجاج بعض العاملين يعود إلى أسباب مالية، فقد كانت هناك بدلات مالية تمنح لشيخ الأزهر تتجاوز سبعين ألف جنيه شهرياً، رفضها الشيخ الطيب، الطريف أنه كان بينها بدل يسمى «بدل فتح الكراتين»، وقد ترتب على هذا الرفض إحراجاً لآخرين فضلاً عن تعطيل صرف البدلات لهم، لأنه إذا رفض رئيس المؤسسة استلام بدله فإن ذلك سيعطل - لأسباب إدارية - صرف بدلات الآخرين فثاروا عليه، وحين عرف السبب وجد الشيخ تعاطفاً من كثير من المراقبين.

هذه المشكلة أدت إلى تحرر الشيخ من كل ما كان يواجه به، لقد وصل ببعض العاملين إلى حد محاولة منع الشيخ من دخول مكتبه، فتقدم باستقالته إلى المشير محمد حسين طنطاوى رئيس المجلس الأعلى للقوات المسلحة، ورفض المشير الاستقالة ورد على الشيخ «تمر البلاد بأوقات عصيبة والأزهر فى حاجة إليك»، هذه الاستقالة أسقطت ما كان يوجه إلى الشيخ أنه عين فى موقعه بقرار من الرئيس السابق، وبرد المشير عليه صار يحمل فى موقعه مشروعية جديدة، تمت إلى عهد الثورة.. وفى اجتماع مجمع البحوث الإسلامية الذى يترأسه الشيخ أعلن استقالته وقام الأعضاء بإعادة انتخابه، صحيح أن الاستقال يجب ألا توجه إليهم، وأنهم هم ليسوا – من الناحية القانونية – من يختار الشيخ الأكبر، لكن د. الطيب بهذا الموقف وذلك التصرف يكون قد أسقط كل الحجج التى واجهته، وأظهر استعداداً من حيث المبدأ للإصلاح والذى نادى به البعض داخل الأزهر وخارجه قبل رحيل د. طنطاوى بسنوات عديدة.

مطالب إصلاح الأزهر والتى يدور حولها الحديث الآن ليست جديدة، إذ تتعلق بطريقة اختيار شيخ الأزهر وأن يكون بالانتخاب من بين هيئة كبار العلماء «أعضاء مجمع البحوث الإسلامية» وتمتد إلى المطالبة بإلغاء منصب وزير شئون الأزهر ورد اختصاصاته إلى شيخ الأزهر، وهذا المطلب يعود إلى أيام العراك الشديد بين الشيخ شلتوت شيخ الأزهر ود. محمد البهى وزير الأوقاف وشئون الأزهر، لكن لا تمتد المطالب إلى

الوضع العلمى والفقهى للأزهر كله ومستوى خريجيه وطرق التدريس به ومدى الاجتهاد الذى يجب أن يتم.

بعد ١١ فبراير استعاد الأزهر دوره، بفضل شيخه وبفضل الظروف التى جرت، الشيخ رجل معتدل، يتمتع بعقل مستنير، ربما بحكم تخصصه العلمى فى التصوف، وذلك ما وضح فى الفتاوى التى أطلقها حين كان مفتياً لمصر، وفى مصر ظهر الاحتياج الشديد إلى الأزهر فى المرحلة الجديدة.

أدت أحداث ما بعد سقوط مبارك إلى انتعاش تيارات الإسلام السياسى متمثلاً فى الإخوان المسلمين والسلفيين، فضلاً عن الجماعة الإسلامية وجماعة الجهاد، والظهور اللافت لهؤلاء جميعاً أصاب الكثيرين بالقلق، من احتمال تكرار نموذج مشابه لنموذج طالبان فى أفغانستان أو نموذج البشير - الترابى فى السودان والجماعات الجهادية فى الصومال.. وكان من المهم لهذه التيارات أن تسقط هذا التخوف وتقدم إشارات طمأنينة للمجتمع، ولم يكن أمامها سوى اللجوء إلى الأزهر وإلى شيخه باعتباره مركزاً للاعتدال والوسطية الإسلامية.. وأعلن الشيخ الطيب عدة تصريحات تعبر عن القلق من تصرفات بعض المجموعات السلفية، وأشار بوضوح إلى أنهم يتلقون دعماً مالياً مهولاً من خارج مصر، قال بالحرف «لديهم أموال لا تأكلها نار ولا حطب».. وقال أيضاً «إن مكانة الأزهر صنعها التاريخ والدور ومكانتهم صنعتها الأموال».

فى المقابل كانت بعض التيارات المدنية والعلمانية فى المجتمع

ترجو أن يتدخل الأزهر فى هذا الجدل ليوقف جموح السلفيين.. وهكذا وجدنا الجميع يهرع إلى الأزهر، الباحثون عن الشرعية وإبداء وجه حسن للمجتمع من تيارات الإسلام السياسى وكذلك القلقون والخائفون من الاجتياح السلفى للمجتمع، واتجه الجميع إلى الأزهر من د. محمد بديع المرشد العام لجماعة الإخوان المسلمين وحتى نجيب ساويرس مؤسس حزب المصريين الأحرار، ونسى الجميع الخلافات والإحن القديمة، فقد سبق لجماعة الإخوان أن هاجمت بضراوة د. أحمد الطيب سنة ٢٠٠٦م حين كان رئيساً لجامعة الأزهر عندما قام طلاب الجماعة بعرض عسكرى فى المدينة الجامعية أدى إلى اعتقال عدد منهم.

وبادر فضيلة الإمام الأكبر بدعوة عدد من المثقفين من مختلف التيارات الفكرية إلى الاجتماع فى مكتبه بعدد من علماء الأزهر وتكررت الاجتماعات وانتهت إلى إصدار «وثيقة الأزهر» التى أعلنها فضيلة الإمام الأكبر يوم ٢٠ يونيو ٢٠١١م فى مؤتمر صحفى.

ضمت الوثيقة ١١ بنداً وكان أهم ما جاء فيها أنها طالبت أن تقوم الدولة على قاعدة تداول السلطة وأن تكون دولة وطنية تقوم على التعددية وركزت الوثيقة على عدم التمييز بين المواطنين على أساس الدين أو اللون أو الجنس، كما اعتبرت الوثيقة «المواطنة» قاعدة التعامل بين الدولة والأفراد.

استقبلت الوثيقة بحماس شديد داخل مصر وخارجها، فى

مصر اعتبرها مجلس الوزراء من ضمن الوثائق التى سيعتمد الرجوع إليها فى إعداد الدستور.. وتبنتها عدة قوى وتيارات سياسية، فقد أعلن ١٤ حزباً من الأحزاب المصرية تبنيها للوثيقة، وفى أوروبا اعتبرها الاتحاد الأوروبى دليلاً على استعادة الأزهر لدوره، أما فى العالم العربى فلقيت استحساناً كبيراً، ولكن كان هناك من أبدى عدة ملاحظات على الوثيقة، فقد رأى عدد من المثقفين والمفكرين أنها تؤدى إلى تكريس الأزهر كمؤسسة دينية تلعب دوراً سياسياً، وأن المؤسسات الدينية لا شأن لها بالسياسة أو هكذا ينبغى أن يكون، وأن الدور السياسى للأزهر وللمؤسسة الدينية يفتح الباب واسعاً أمام قيام الدولة الدينية «الثيوقراطية».

وكان نجاح وثيقة الأزهر دافعاً للكثير أن يطلبوا من مشيخة الأزهر إصدار وثيقة لمناصرة الثورات العربية، خصوصاً فى ليبيا التى شهدت صراعاً عسكرياً مريراً بين الثوار ومعهم طائرات الناتو فى جانب وجيش القذافى فى الجانب الآخر، وكذلك الحال بالنسبة إلى اليمن وسوريا، وتكرر الأمر من اللقاء فى مكتب الإمام الأكبر بين فريق من المثقفين وعدد من العلماء وتم إصدار بيان «وثيقة» يحدد الموقف من الثورات العربية، ونص هذا البيان على عدة قضايا محورية أهمها مطالبة الحكام العرب بالكف عن الاستبداد والظلم والفساد ومطالبة الجيوش العربية أن تنحاز إلى مطالب الشعب كل فى بلده ولا تساند الظلم والاستبداد، كما تطالب الدول العربية بمساندة الشعوب التى تتعرض لقهر حكامها، وأخيراً فإنها تحذر من التدخلات الأجنبية فى بلاد المنطقة.

ثم صدرت بعد ذلك وثيقة الحريات الأربع التى تتناول قضايا الحريات العامة فى مصر.

☆☆☆

الدور النشط الذى يقوم به شيخ الأزهر د. أحمد الطيب بعد الثورة، أثار قلق بعض المثقفين والمراقبين من أن الأزهر فى النهاية مؤسسة دينية تتجه إلى العمل السياسى وتلعب دوراً سياسياً، خصوصاً بإصدار وثيقة الأزهر الأولى ثم الوثيقة الثانية وأفواج الزائرين والمترددين على المشيخة من السياسيين ورجال الأحزاب، وكذلك مشروع «بيت العائلة» الذى أسسه شيخ الأزهر بالاشتراك مع الكنيسة المصرية.. ويجب أن نتوقف هنا أمام عدة أمور حول الأزهر عموماً والدور الذى يقوم به:

أولاً: إن وثيقة الأزهر ليست ملزمة لأى طرف، لا هى ملزمة للدولة ولا للأحزاب ولا لأى جهة أو تيار، إنما هى مجموعة مبادئ مطروحة للنقاش العام، قد يسترشد بها من يريد ذلك أو تسهم فى صياغة الدستور، هى مجرد اقتراح أو نداء فقط، لكنها ليست نصاً قانونياً ولا هى مشروع دستور، فضلاً عن ذلك ليست نصاً ولا نداء روحياً، وإنما هى تعبر - فقط - عمن وقع عليها من مثقفين وعلماء فضلاً عن شيخ الأزهر، أى أنها ليست تعبيراً عن مؤسسة الأزهر ذاتها.

ثانياً: الأزهر ليس حزباً سياسياً ولا يعبر عن اتجاه سياسى، كما أنه لم يكن يوماً مؤسسة موازية للدولة يمكن أن تفرض عليها شيئاً أو أن تمنعها من شىء، الأزهر تاريخياً كان

مؤسسة من مؤسسات الدولة تعمل فى اختصاص محدد وهو المجال الفقهى والعلمى، أما الدور الاجتماعى العام فقد كان الأزهر يمارسه بناء على طلب المواطنين وسعيهم، وفى حالات كثيرة، كان الضغط الجماهيرى هو الذى يدفع الأزهر إلى اتخاذ مواقف محددة، قد لا ترضى عنها المشيخة أو لا تباركها كما كان فى ثورتى القاهرة فى أثناء حملة بونابرت بين عامى ١٧٩٨م - ١٨٠١م وكما حدث فى ثورة ١٩١٩م.. وروى لنا الجبرتى كيف اعتدى الأهالى على المشايخ الكبار وفى المقدمة منهم شيخ الأزهر عبدالله الشرقاوى أثناء ثورة القاهرة الثانية حينما طلبوا إليهم الانصياع لنداء كليبر والتوقف عن أعمال «الفتنة» أى الثورة.

ثالثاً: المؤسسة الدينية بالمفهوم الأوروبى هى المؤسسة التى كان يمكن أن تتدخل لتعزل إمبراطوراً أو ملكاً وقد تتدخل لتنصيب آخر وتمنحه مشروعيتها ودون ذلك يفتقد الشرعية ويكون معرضاً للسقوط، وقد تفرض على الإمبراطور أو الحاكم اتجاهاً ما وتلزمه بقرار معين، لكن فى تاريخ الأزهر لم تسجل حالة واحدة تدخل فيها الأزهر وأصدر فرماناً بعزل حاكم أو تنصيب آخر، تقول لنا الوقائع عكس ذلك تماماً، كان الحاكم هو الذى يتدخل لعزل شيخ الأزهر، وكان هو من يعين الشيخ دائماً، وفى بعض الحالات وجدنا الشيخ يُعزَل ويتعرض للعقاب، كالنفى أو تحديد الإقامة.. وأكثر من ذلك وجدنا الحاكم يتدخل بإغلاق الأزهر تماماً، بل إن صلاح الدين قام بإغلاقه ومن ثم إلغاء وجود الأزهر، وظل ملغى قرابة قرن، وهذا ما لم نجده فى أى

مؤسسة دينية بالمعنى الكهنوتى الذى يتحدث عنه البعض حول المؤسسة الدينية وسلطتها أو بطريركيتها.

رابعاً: ليس مطلوباً من الأزهر أن يلعب دوراً سياسياً ولا أن يكون نصير الحكومة ضد من يعارضها ولا أن ينحاز إلى حزب ضد حزب آخر، فيجب ألا يكون الأزهر طرفاً فى نزاع أو عراك سياسى وفى الشأن السياسى الداخلى، كما كانت الحال سنة ٢٠٠٥م مثلاً، وفى المقابل ليس مطلوباً من الأزهر أن يبتعد عن الشأن الوطنى العام، ودائماً كان الأزهر مدعواً فى اللحظات الوطنية الحرجة أو الفارقة لأداء دور معين، حدث ذلك فى أثناء الحملة الفرنسية وفى أيام الثورة العرابية وكذلك فى ثورة ١٩١٩م، ونحن الآن فى نفس الأجواء ومن ثم يجب للأزهر ألا يبتعد ولا أن ينكفئ على الشأن الدينى الفقهى فقط، وهذه المرة كما كان دائماً فإن المواطنين والقوى الوطنية هى التى سعت إلى الأزهر وتوجهت إليه، وما كان يجب أن يغلق أبوابه ولا أن يرد الساعين إليه خائبين، بل عليه أن يستقبلهم ويشاركهم ويتفاعل معهم وهذا ما جعل للأزهر دوراً وتاريخاً.. هناك فى مصر مساجد أقدم كثيراً من الأزهر، فى القاهرة جامع عمرو بن العاص وجامع أحمد بن طولون وفى الإسكندرية كذلك هناك مسجد قديم، لا يعرفه الكثيرون قريباً من ميدان المنشية، يعود إلى زمن عمرو بن العاص، لكن الأزهر امتاز عنهم جميعاً بالدور الاجتماعى الوطنى يعد فى تاريخ هذه الأمة، وبمعنى أدق الذى أرادت له الأمة أن يلعبه وألزمته به وفى بعض الحالات فرضته عليه فرضاً.

خامساً: يجب أن نحذر ونناضل ضد قيام دولة دينية «ثيوقراطية»، سواء كان يحكمها رجال الدين أو العلماء أو أن تحكمها الفكرة والأيديولوجية الدينية، وهناك نماذج للحالتين فى العالم الإسلامى، وكانت موجودة فى أوروبا العصور الوسطى «عصور الظلام» ومن حسن الحظ أن مصر لم تعرف هذا النوع من الدول، على الأقل منذ عهد الدولة الفاطمية.. وأظن أن الوعى العام والميراث التاريخى وتجربة مصر الحديثة منذ عهد محمد على، بل وقبل محمد على، أى مع مشروع على بك الكبير سنة ١٧٧٦ ميلادية يحول دون قيام مثل هذه الدولة الآن.. لكن يجب كذلك أن نتجنب إقصاء الفكرة الدينية تماماً عن المجتمع الحديث، الدولة يجب أن تكون للمواطنين جميعاً، وأن يكون معيار المواطنة هو الحكم ورفض التمييز بين المواطنين على أساس الدين، لكن ذلك لا يعنى مطلقاً إقصاء أو استبعاد الفكرة الدينية من ضمير المواطن ومن الدور الاجتماعى، فالدين فى المجتمع وفى دولة القانون والمواطنة يصبح مصدر تماسك اجتماعى وأخلاقى للفرد وللمجموع أيضاً.

سادساً: إننا ننسى أحياناً أو نتناسى أن معظم رواد التحديث فى مصر طوال القرنين التاسع عشر والعشرين خرجوا من ساحات الأزهر، حسن العطار ورفاعة رافع الطهطاوى ومحمد عبده وطه حسين وسعد زغلول وعلى عبدالرازق وغيرهم، ومن عباءتهم خرجت موجات الأفكار الحديثة ورموزها .. ومن يراجع اليوم كتاب الطهطاوى «مناهج الألباب المصرية ومباهج الآداب

العصرية» وكذلك كتاب «المرشد الأمين للبنات والبنين»، فضلاً عن كتابه الأول «تخليص الإبريز فى تلخيص باريز» يدرك أن معظم الليبراليين والعلماء المصريين والعرب إنما يدورون فى الأفكار التى قدمها الطهطاوى وطرحها فى أعماله، ما يتعلق منها بالوطن والوطنية أو الحريات السياسية والمدنية وكذلك العدالة الاجتماعية.

والمفارقة أن الذين طرحوا الأفكار الداعية أو التى تؤدى إلى قيام دولة دينية لم يكونوا من خريجى ولا من أبناء الأزهر، سيد قطب صاحب «معالم فى الطريق» والذى قسم المجتمع إلى حزب الله وحزب الشيطان ولا وسط بينهما، لم يكن أزهرياً، ومن ساروا على طريقه وخلف معالمه لم يكونوا من أبناء الأزهر، شكرى مصطفى الذى وضع «التوسمات» والمهندس محمد عبد السلام فرج الذى صاغ «الفريضة الغائبة» وغيرهما، لم يحملوا بصمات الأزهر، بل إن علماء الأزهر كانوا أول من حاول التصدى لهذه الأفكار وتفنيدها، صحيح وجدنا بعض الشباب من أبناء الأزهر الذين تأثروا بتلك الأفكار والدعوات، وحدث لهم ذلك فى زمن ضعف الأزهر.

بيان الأزهر ونخبة من المثقفين حول مستقبل مصر

بمبادرة كريمة من الأستاذ الدكتور أحمد الطيب شيخ الأزهر اجتمعت كوكبة من المثقفين المصريين على اختلاف انتماءاتهم الفكرية والدينية مع عدد من كبار العلماء والمفكرين فى الأزهر الشريف، وتدارسوا خلال عدة مقتضيات اللحظة التاريخية الفارقة التى تمر بها مصر بعد ثورة الخامس والعشرين من يناير وأهميتها فى توجيه مستقبل مصر نحو غاياته النبيلة وحقوق شعبها فى الحرية والكرامة والمساواة والعدالة الاجتماعية.

وقد توافق المجتمعون على ضرورة تأسيس مسيرة الوطن على مبادئ كلية وقواعد شاملة تناقشها قوى المجتمع المصرى تستبصر فى سيرها بالخطى الرشيدة لتصل فى النهاية إلى الأطر الفكرية الحاكمة لقواعد المجتمع ونهجه السليم.

واعترافاً من الجميع بدور الأزهر القيادى فى بلورة الفكر

الإسلامى الوسطى السديد، فإن المجتمعين يؤكدون أهميته واعتباره المنارة الهادية التى يُستضاء بها، ويحتكم إليها فى تحديد علاقة الدولة بالدين وبيان أسس السياسة الشرعية الصحيحة والتى ينبغى انتهاجها ارتكازاً على خبراته المتراكمة وتاريخه العلمى والثقافى الذى ارتكز على الأبعاد التالية:

١- البعد الفقهى فى إحياء علوم الدين وتجديدها، طبقاً لمذهب أهل السنة والجماعة الذى يجمع بين العقل والنقل ويكشف عن قواعد التأويل المرعية لنصوص الشريعة.

٢- البعد التاريخى لدور الأزهر فى قيادة الحركة الوطنية نحو الحرية والاستقلال.

٣- البعد الحضارى لإحياء مختلف العلوم الطبيعية والآداب والفنون بتنوعاتها الخصبة.

٤- البعد العملى فى قيادة حركة المجتمع وتشكيل قادة الرأى فى الحياة المصرية.

٥- البعد الجامع للعلم والريادة والنهضة والثقافة فى الوطن العربى والعالم الإسلامى.

وقد حرص المجتمعون على أن يستلهموا فى مناقشاتهم روح تراث أعلام الفكر والنهضة والتقدم والإصلاح فى الأزهر الشريف ابتداءً من شيخ الإسلام الشيخ حسن العطار وتلميذه الشيخ رفاعة الطهطاوى إلى الإمام محمد عبده وتلاميذه وأئمته المجتهدين من علمائه من أمثال المراغى ومحمد عبدالله دراز

ومصطفى عبدالرازق وشلتوت وغيرهم من شيوخ الإسلام وعلمائه إلى يوم الناس هذا.

كما استلهموا فى الوقت نفسه إنجازات كبار المثقفين المصريين ممن شاركوا فى التطور المعرفى والإنسانى، وأسهموا فى تشكيل العقل المصرى والعربى الحديث فى نهضته المتجددة من رجال الفلسفة والقانون والأدب والفنون وغيرها من المعارف التى صاغت الفكر والوجدان والوعى العام اجتهدوا فى كل ذلك وركزوا فى وضع القواسم المشتركة بينهم جميعاً تلك القواسم التى تهدف إلى الغاية السامية التى يرتضيها الجميع من عقلاء الأمة وحكمائها والتى تتمثل فى الآتى:

تحديد المبادئ الحاكمة لفهم علاقة الإسلام بالدولة فى المرحلة الدقيقة الراهنة، وذلك فى إطار استراتيجية توافقية ترسم شكل الدولة العصرية المنشودة ونظام الحكم فيها وتدفع بالأمة فى طريق الانطلاق نحو التقدم الحضارى بما يحقق عملية التحول الديمقراطى ويضمن العدالة الاجتماعية ويكفل لمصر دخول عصر إنتاج المعرفة والعلم وتوفير الرخاء والسلم مع الحفاظ على القيم الروحية والإنسانية والتراث الثقافى وذلك حماية للمبادئ الإسلامية التى أسفرت فى وعى الأمة وضمير العلماء والمفكرين من التعرض للإغفال والتشويه أو الغلو وسوء التفسير، وصون لها من استغلال مختلف التيارات المنحرفة التى قد ترفع شعارات دينية طائفية أو أيديولوجية تنافى ثوابت أمتنا ومشتركاتها وتحيد عن نهج الاعتدال والوسطية وتناقض

جوهر الإسلام فى الحرية والعدل والمساواة وتبعد عن سماحة الأديان السماوية كلها.

من هنا نعلن نحن المجتمعين على المبادئ التالية لتحديد طبيعة المرجعية الإسلامية النيرة التى تتمثل أساساً فى عدد من القضايا الكلية المستخلصة من النصوص الشرعية القطعية الثبوت والدلالة بوصفها المعبرة عن الفهم الصحيح للدين ونجملها فى المحاور التالية:

أولاً: دعم تأسيس الدولة الوطنية الدستورية الديمقراطية الحديثة، التى تعتمد على دستور ترتضيه الأمة، يفصل بين سلطات الدولة ومؤسساتها القانونية الحاكمة، ويحدد إطار الحكم، ويضمن الحقوق والواجبات لكل أفرادها على قدم المساواة بحيث تكون سلطة التشريع فيها لنواب الشعب بما يتوافق مع المفهوم الإسلامى الصحيح حيث لم يعرف الإسلام لا فى تشريعاته ولا حضارته ولا تاريخه ما يعرف فى الثقافات الأخرى بالدولة الدينية الكهنوتية التى تسلطت على الناس وعانت منها البشرية فى بعض مراحل التاريخ بل ترك للناس إدارة مجتمعاتهم واختيار الآليات والمؤسسات المحققة لمصالحهم شريطة أن تكون المبادئ الكلية للشريعة الإسلامية هى المصدر الأساس للتشريع وبما يضمن لأتباع الديانات السماوية الأخرى الاحتكام إلى شرائعهم الدينية فى قضايا الأحوال الشخصية.

ثانياً: اعتماد النظام الديمقراطى، القائم على الانتخاب الحر المباشر، لأنه الصيغة العصرية لتحقيق مبادئ الشورى

الإسـلامـيـة، بما يضـمنه من تعـددية ومن تداول سلمى للسلطة ومن تحديد للاختصاصات ومراقبة للأداء ومحاسبة للمسئولين أمام ممثلى الشعب وتوخى منافع الناس ومصالحهم العامة فى جميع التشريعات والقرارات وإدارة شئون الدولة بالقانون - والقانون وحده وملاحقة الفساد وتحقيق الشفافية التامة وحرية الحصول على المعلومات وتداولها.

ثالثاً: الالتزام بمنظومة الحريات الأساسية فى الفكر والرأى، مع الاحترام الكامل لحقوق الإنسان والمرأة والطفل، والتأكيد على مبدأ التعددية واحترام الأديان السماوية، واعتبار المواطنة مناط المسئولية فى المجتمع.

رابعاً: الاحترام التام لآداب الاختلاف وأخلاقيات الحوار، وضرورة اجتناب التكفير والتخوين واستغلال الدين واستخدامه لبعث الفرقة والتنابذ والعداء بين المواطنين مع اعتبار الحث على الفتنة الطائفية والدعوات العنصرية جريمة فى حق الوطن ووجوب اعتماد الحوار المتكافئ والاحترام المتبادل والتعويل عليهما فى التعامل بين فئات الشعب المختلفة دون أى تفرقة فى الحقوق والواجبات بين جميع المواطنين.

خامساً: تأكيد الالتزام بالمواثيق والقرارات الدولية، والتمسك بالمنجزات الحضارية فى العلاقات الإنسانية، المتوافقة مع التقاليد السمحة للثقافة الإسلامية والعربية، والمتسقة مع الخبرة الحضارية الطويلة للشعب المصرى فى عصوره المختلفة وما قدمه من نماذج فائقة فى التعايش السلمى ونشدان الخير للإنسانية لها.

سادساً: الحرص التام على صيانة كرامة الأمة المصرية والحفاظ على عزتها الوطنية، وتأكيد الحماية التامة والاحترام الكامل لدور العبادة لاتباع الديانات السماوية الثلاث وضمان الممارسة الحرة لجميع الشعائر الدينية دون أى معوقات واحترام جميع مظاهر العبادة بمختلف أشكالها دون تسفيه لثقافة الشعب أو تشويه لتقاليده الأصيلة وكذلك الحرص التام على صيانة حرية التعبير والإبداع الفنى والأدبى فى إطار منظومة قيمنا الحضارية الثابتة.

سابعاً: اعتبار التعليم والبحث العلمى ودخول عصر المعرفة قاطرة التقدم الحضارى فى مصر، وتكريس كل الجهود لتدارك ما فاتنا فى هذه المجالات، وحشد طاقة المجتمع كله لمحو الأمية واستثمار الثروة البشرية وتحقيق المشروعات المستقبلية الكبرى.

ثامناً: إعمال فقه الأولويات فى تحقيق التنمية والعدالة الاجتماعية ومواجهة الاستبدال ومكافحة الفساد والقضاء على البطالة، وبما يفجر طاقات المجتمع وإبداعاته فى الجوانب الاقتصادية والبرامج الاجتماعية والثقافية والإعلامية على أن يأتى ذلك على رأس الأولويات التى يتبناها شعبنا فى نهضته الراهنة، مع اعتبار الرعاية الصحية الحقيقية والجادة واجب الدولة تجاه كل المواطنين جميعاً.

تاسعاً: بناء علاقات مصر بأشقائها العرب ومحيطها الإسلامى ودائرتها الإفريقية والعالمية، ومناصرة الحق الفلسطينى والحفاظ على استقلال الإرادة المصرية واسترجاع الدور القيادى

التـاريخى على أسـاس التـعاون على الخـيـر المشـتـرك وتحـقـيق مـصلحـة الشـعوب فى إطار من الندية والاسـتقـلال التام ومتـابعة المشاركة فى الجهد الإنسـانى النبيل لتقدم البشرية والحفاظ على البيئة وتحقيق السلام العادل بين الأمم.

عاشراً: تأييد مشروع استقلال مؤسسة الأزهر، وعودة «هيئة كبار العلماء» واختصاصها بترشيخ واختيار شيخ الأزهر، والعمل على تجديد مناهج التعليم الأزهرى ليسترد دوره الفكرى الأصيل وتأثيره العالمى فى مختلف الأنحاء.

حادى عشر: اعتبار الأزهر الشريف هو الجهة المختصة التى يرجع إليها فى شئون الإسلام وعلومه وتراثه واجتهاداته الفقهية والفكرية الحديثة مع عدم مصادرة حق الجميع فى إبداء الرأى متى تحققت فيه الشروط العلمية اللازمة وبشرط الالتزام بآداب الحوار، واحترام ما توافق عليه علماء الأمة.

ويهيب شيخ الأزهر وعلماء الأزهر والمثقفون المشاركون فى إعداد هذا البيان بكل الأحزاب والاتجاهات السياسية المصرية أن تلتزم بالعمل على تقدم مصر سياسياً واقتصادياً واجتماعياً فى إطار المحددات الأساسية التى وردت فى هذا البيان والله الموفق لما فيه خير الأمة

مشيخة الأزهر فى:

١٧ من رجب سنة ١٤٣٢ هـ

١٩ من يونيو سنة ٢٠١١ م

بيان الأزهر ونخبة من المثقفين حول الثورات العربية

انطلاقاً من إدراك كبار علماء الأزهر، ومجموعة المثقفين المشاركين لهم، لمتطلبات المرحلة التاريخية المفصلية، التى تمر بها شعوب الأمة العربية فى نضالها المشروع للحرية والعدالة والديمقراطية، واستئناف مسيرتها الحضارية، واستلهاماً لروح التحرر فى الإسلام، والقوانين الفقهية لمشروعية السلطة، ودورها فى الإصلاح وتحقيق المقاصد والمصالح العليا للأمة.

واتساقاً مع مواقف الأزهر الشريف، وقادة الفكر فى مصر والوطن العربى، فى دعم حركات التحرر من المستعمر الغاشم والمستبد الظالم، وإيماناً من الجميع بضرورة يقظة الأمة للأخذ بأسباب النهضة والتقدم، وتجاوز العثرات التاريخية، وإرساء حقوق المواطنين فى العدالة الاجتماعية، على أساس راسخ من مبادئ الشريعة وأصولها، بما تتضمنه من حفظ العقل والدين

والنفس والعرض والمال، وسد الطريق أمام السلطة الجائرة التى تحرم المجتمع العربى والإسلامى من دخول عصر التألق الحضارى، والتقدم المعرفى، والإسهام فى تحقيق الرخاء الاقتصادى والنهضة الشاملة انطلاقاً من كل ذلك: فإن المجموعة التى أصدرت وثيقة الأزهر ومثلت مختلف ألوان الطيف الفكرى فى المجتمع المصرى، قد أدارت عدة حوارات بناءة، حول ما حققته الثورات العربية من تفاعل خصب، وتجاوب حميم بين مختلف المشارب والتيارات، وتوافقت على جملة المبادئ المستمدة من الفكر الإسلامى، والطموحات المستقبلية للشعوب العربية، وانتهت برعاية الأزهر الشريف إلى إعلان ضرورة احترام المواثيق التالية:

أولاً: تعتمد شرعية السلطة الحاكمة من الوجهة الدينية والدستورية على رضا الشعوب، واختيارها الحر، من خلال اقتراع علنى يتم فى نزاهة وشفافية ديمقراطية، باعتباره البديل العصرى المنظم لما سبقت به تقاليد البيعة الإسلامية الرشيدة، وطبقاً لتطور نظم الحكم وإجراءاته فى الدولة الحديثة والمعاصرة، وما استقر عليه العرف الدستورى من توزيع السلطات التشريعية والتنفيذية والقضائية، والفصل الحاسم بينها، ومن ضبط وسائل الرقابة والمساءلة والمحاسبة، بحيث تكون الأمة هى مصدر السلطات جميعاً، ومانحة الشرعية وسالبتها عند الضرورة.. وقد درج كثير من الحكام على تعزيز سلطتهم المطلقة متشبثين بفهم مبتور للآية القرآنية الكريمة:

﴿ أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُوْلِي الأَمْرِ مِنكُمْ ﴾ متجاهلين سياقها الواضح الصريح فى قوله تعالى قبل ذلك فى الآية التى تسبق هذه الآية مباشرة: ﴿ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تُؤَدُّوا الأَمَانَاتِ إِلَىٰ أَهْلِهَا وَإِذَا حَكَمْتُم بَيْنَ النَّاسِ أَن تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ ﴾

مما يجعل الإخلال بشروط أمانة الحكم وعدم إقامة العدل فيه مسوغاً شرعياً لمطالبة الشعوب حكامهم بإقامة العدل، ومقاومة الظلم والاستبداد، ومن قال من فقهائنا بوجوب الصبر على المتغلب المستبد من الحكام حرصاً على سلامة الأمة من الفوضى والهرج والمرج - فقد أجاز فى الوقت نفسه عزل المستبد الظالم إذا تحققت القدرة على ذلك وانتفى احتمال الضرر والإضرار بسلامة الأمة ومجتمعاتها.

ثانياً: عندما يرتفع صوت المعارضة الوطنية الشعبية والاحتجاج السلمى، الذى هو حق أصيل للشعوب لتقويم الحكام وترشيدهم، ثم لا يستجيب الحكام لنداء شعوبهم، ولا يبادرون بالإصلاحات المطلوبة، بل يمعنون فى تجاهل المطالب الوطنية المشروعة التى تنادى بالحرية والعدالة والإنصاف، فإن هؤلاء المعارضين الوطنيين لا يعدون من قبيل البغاة أبداً، وإنما البغاة هم الذين تحددت أوصافهم فقهياً بامتلاك الشوكة والانعزال عن الأمة ورفع الأسلحة فى مواجهة مخالفيهم، والإفساد فى الأرض بالقوة، أما الحركات الوطنية السلمية المعارضة، فهى من صميم حقوق الإنسان فى الإسلام التى أكدتها سائر المواثيق الدولية، بل هى

واجب المواطنين لإصلاح مجتمعهم وتقويم حكامهم، والاستجابة لها واجب على الحكام وأهل السلطة، دون مراوغة أو عناد.

ثالثاً: تعد مواجهة أى احتجاج وطنى سلمى بالقوة والعنف المسلح، وإراقة دماء المواطنين المسالمين، نقضاً لميثاق الحكم بين الأمة وحكامها، ويسقط شرعية السلطة، ويهدر حقها فى الاستمرار بالتراضى، فإذا تمادت السلطة فى طغيانها، وركبت مركب الظلم والبغى والعدوان واستهانت بإراقة دماء المواطنين الأبرياء، حفاظاً على بقائها غير المشروع - وعلى الرغم من إرادة شعوبها - أصبحت السلطة مدانة بجرائم تلوث صفحاتها، وأصبح من حق الشعوب المقهورة أن تعمل على عزل الحكام المتسلطين وعلى محاسبتهم، بل تغيير النظام بأكمله، مهما كانت المعاذير من حرص على الاستقرار أو مواجهة الفتن والمؤامرات، فانتهاك حرمة الدم المعصوم هو الخط الفاصل بين شرعية الحكم وسقوطه فى الإثم والعدوان، وعلى الجيوش المنظمة - فى أوطاننا كلها - فى هذه الأحوال أن تلتزم بواجباتها الدستورية فى حماية الأوطان من الخارج، ولا تتحول إلى أدوات للقمع وإرهاب المواطنين وسفك دمائهم، فإنه ﴿ **مَن قَتَلَ نَفْسًا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِي الأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ النَّاسَ جَمِيعًا وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَا أَحْيَا النَّاسَ جَمِيعًا** ﴾.

رابعاً: يتعين على قوى الثورة والتجديد والإصلاح أن تبتعد كلياً عن كل ما يؤدى إلى إراقة الدماء، وعن الاستقواء بالقوى

الخارجية أياً كان مصدرها، ومهما كانت الذرائع والتعللات التى تتدخل بها فى شئون دولهم وأوطانهم وإلا كانوا بغاة خارجين على أمتهم وعلى شرعية دولهم.. ووجب على السلطة حينئذ أن تردهم إلى وحدة الصف الوطنى الذى هو أولى الفرائض وأوجب الواجبات.. وعلى قوى الثورة والتجديد أن تتحد فى سبيل تحقيق حلمها فى العدل والحرية، وأن تتفادى النزاعات الطائفية أو العرقية أو المذهبية أو الدينية، حفاظاً على نسيجها الوطنى، واحتراماً لحقوق المواطنة، وحشداً لجميع الطاقات من أجل تحول ديمقراطى يتم لصالح الجميع، فى إطار من التوافق والانسجام الوطنى، ويهدف لبناء المستقبل على أساس من المساواة والعدل، وبحيث لا تتحول الثورة إلى مغانم طائفية أو مذهبية، أو إثارة للحساسيات الدينية، بل يتعين على الثوار والمجددين والمصلحين الحفاظ على مؤسسات دولهم، وعدم إهدار ثرواتها، أو التفريط لصالح المتربصين، وتفادى الوقوع فى شرك الخلافات والمنافسات، والاستقواء بالقوى الطامعة فى أوطانهم أو استنزاف خيراتها.

خامساً: بناءً على هذه المبادئ الإسلامية والدستورية، المعبرة عن جوهر الوعى الحضارى، فإن علماء الأزهر وقادة الفكر والثقافة يعلنون مناصرتهم التامة لإرادة الشعوب العربية فى التجديد والإصلاح ومجتمع الحرية والعدالة الاجتماعية والتى انتصرت فى تونس ومصر وليبيا، ولاتزال محتدمة فى سوريا واليمن، ويدينون آلات القمع الوحشية التى تحاول إطفاء جذوتها، ويهيبون بالمجتمع العربى والإسلامى أن يتخذ مبادرات

حاسمة وفعالة لتأمين نجاحها بأقل قدر من الخسائر، تأكيداً لحق الشعوب المطلق فى اختيار الحكام، وواجبها فى تقويمهم منعاً للطغيان والفساد والاستغلال، فشرعية أى سلطة مرهونة بإرادة الشعب، وحق المعارضة الوطنية السلمية غير المسلحة مكفول فى التشريع الإسلامى فى وجوب رفع الضرر، فضلاً عن كونه من صميم حقوق الإنسان فى المواثيق الدولية جميعاً.

سادساً: يناشد علماء الأزهر والمثقفون المشاركون لهم النظم العربية والإسلامية الحاكمة يناشدونهم الحرص على المبادرة إلى تحقيق الإصلاح السياسى والاجتماعى والدستورى طوعاً، والبدء فى خطوات التحول الديمقراطى، فصحوة الشعوب المضطهدة قادمة لا محالة، وليس بوسع حاكم الآن أن يحجب عن شعبه شمس الحرية، ومن العار أن تظل المنطقة العربية وبعض الدول الإسلامية قابعة دون سائر بلاد العالم فى دائرة التخلف والقهر والطغيان، وأن ينسب ذلك ظلماً وزوراً إلى الإسلام وثقافته البريئة من هذا البهتان، كما يتعين على هذه الدول أن تشرع على الفور فى الأخذ بأسباب النهضة العلمية والتقدم التكنولوجى والإنتاج المعرفى، واستثمار طاقاتها البشرية وثرواتها الطبيعية خدمة لمواطنيها، وتحقيقاً لسعادة البشرية كلها.

هذا ولا يحسبن أحد من رعاة الاستبداد والطغيان أنه بمنجاة من مصير الظالمين، أو أن بوسعه تضليل الشعوب، فعصر الاتصالات المفتوحة والانفجار المعرفى، وسيادة المبادئ الدينية

والحضارية النيرة ونماذج التضحية والنضال المشهودة عيان فى دنيا العرب، كل ذلك جعل من صحوة الناس شعلة متوهجة، ومن الحرية راية مرفوعة، ومن أمل الشعوب المقهورة باعثاً يحدوها للنضال المستميت حتى النصر وليكف الجاهلون بالدين، والمشوهون لتعاليم الإسلام، والداعون لتأييد الطغيان والظلم والاستبداد عن هذا العبث الذى لا طائل وراءه ﴿ **وَاللَّهُ غَالِبٌ عَلَىٰ أَمْرِهِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لا يَعْلَمُونَ** ﴾ اللهم إنا نسألك رحمة تهدى بها قلوبنا، وتجمع بها شملنا، وترد بها الفتن عنا يا رب العالمين.

مشيخة الأزهر فى:

٣ من ذى الحجة سنة ١٤٣٢ هـ

٣٠ من أكتوبر سنة ٢٠١١ م

بيان الأزهر والمثقفين عن منظومة الحريات الأساسية

يتطلع المصريون، والأمة العربية والإسلامية، بعد ثورات التحرير التى أطلقت الحريات، وأذكت روح النهضة الشاملة لدى مختلف الفئات يتطلعون إلى علماء الأمة ومفكريها المثقفين، كى يحددوا العلاقة بين المبادئ الكلية للشريعة الإسلامية السمحاء، ومنظومة الحريات السياسية التى أجمعت عليها المواثيق الدولية، وأسفرت عنها التجربة الحضارية للشعب المصرى، تأصيلاً لأسسها، وتأكيداً لثوابتها، وتحديداً لشروطها التى تحمى حركة التطور وتفتح آفاق المستقبل وهى:

حرية العقيدة، وحرية الرأى والتعبير، وحرية البحث العلمى، وحرية الإبداع الأدبى والفنى، على أساس ثابت من رعاية مقاصد الشريعة الغراء، وإدراك روح التشريع الدستورى الحديث ومقتضيات التقدم المعرفى الإنسانى «بما يجعل من

الطاقة الروحية للأمة وقوداً للنهضة وحافزاً للتقدم وسبيلاً للرقى المادى والمعنوى» فى جهد موصول يتسق فيه الخطاب الثقافى الرشيد مع الخطاب الدينى المستنير، ويتآلفان معاً فى نسق مستقبلى مثمر، تتحد فيه الأهداف والغايات التى يتوافق عليها الجميع.

ومن هنا فإن مجموعة العلماء الأزهريين والمثقفين المصريين الذين أصدروا وثيقة الأزهر الأولى برعاية من الأزهر الشريف، وأتبعوها ببيان دعم حراك الشعوب العربية الشقيقة نحو الحرية والديمقراطية قد واصلوا نشاطهم وتدارسوا فيما بينهم القواسم الفكرية المشتركة فى منظومة الحريات والحقوق الإنسانية وانتهوا إلى إقرار جملة من المبادئ والضوابط الحاكمة لهذه الحريات، انطلاقاً من متطلبات اللحظة التاريخية الراهنة، وحفاظاً على جوهر التوافق المجتمعى، ومراعاة للصالح العام فى مرحلة التحول الديمقراطى حتى تنتقل الأمة إلى بناء مؤسساتها الدستورية بسلام واعتدال وتوفيق من الله تعالى.

وبما لا يسمح بانتشار بعض الدعوات المغرضة بكل التى تتدخل باسم الدين أو اسم الحداثة فى حريات الناس العامة والخاصة، الأمر الذى لا يتناسب مع التطور الحضارى والاجتماعى لمصر الحديثة، وفى الوقت الذى تحتاج فيه البلاد إلى وحدة الكلمة والفهم الوسطى الصحيح للدين والذى هو رسالة الأزهر الدينية ومسئوليته نحو المجتمع والوطن.

أولاً: حرية العقيدة

تُعد حرية العقيدة وما يرتبط بها من حق المواطنة الكاملة لكل مواطن، والقائم على المساواة التامة فى الحقوق والواجبات – تُعد حجر الزاوية فى البناء المجتمعى الحديث، وقد كفلتها ثوابت النصوص الدينية القطعية وصريح الأصول الدستورية والقانونية إذ يقول المولى عز وجل: ﴿**لاَ إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَد تَّبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ**﴾ ويقول: ﴿**فَمَن شَاءَ فَلْيُؤْمِن وَمَن شَاءَ فَلْيَكْفُرْ**﴾ ومقتضى ذلك تجريم أى مظهر من مظاهر الإكراه فى الدين، أو الاضطهاد أو التمييز بسبب منه، فلكل فرد فى المجتمع أن يعتنق من الأفكار ما يشاء دون أن يمس حق المجتمع فى الحفاظ على العقائد السماوية، فللأديان الإلهية الثلاثة قداستها، وللمؤمنين بها حرية إقامة شعائرها دون عدوان على مشاعر بعضهم أو مساس بحرمة هذه المشاعر قولاً أو فعلاً ودون إخلال بالنظام العام.

ولما كان الوطن العربى مهبط الوحى السماوى وحاضن الأديان الإلهية – كان أشد التزاماً برعاية قداستها واحترام شعائرها وصيانة حقوق المؤمنين بها فى حرية وكرامة وإخاء.

ويترتب على حق حرية الاعتقاد والتسليم بمشروعية التعدد ورعاية حق الاختلاف ووجوب مراعاة كل مواطن مشاعر الآخرين والمساواة بينهم على أساس متين من المواطنة والمشاركة وتكافؤ الفرص فى جميع الحقوق والواجبات.

كما يترتب على احترام حرية الاعتقاد رفض نزعات الإقصاء والتكفير ورفض التوجهات التى تدين عقائد الآخرين ومحاولات التفتيش فى ضمائر المؤمنين بهذه العقائد بناء على ما استقر من نظم دستورية بل بناء على ما استقر - قبل ذلك - بين علماء المسلمين من أحكام صريحة قاطعة قررتها الشريعة السمحاء فى الحديث الشريف «هلا شققت عن قلبه» وقررها إمام أهل المدينة المنورة الإمام مالك والأئمة الآخرون بقوله: «إذا صدر قول من قائل يحتمل الكفر من مئة وجه ويحتمل الإيمان من وجه واحد، حُمل على الإيمان ولا يجوز حمله على الكفر» وقد أعلى أئمة الاجتهاد والتشريع من شأن العقل فى الإسلام وتركوا لنا قاعدتهم الذهبية التى تقرر أنه: «إذا تعارض العقل والنقل قدم العقل وأُوِّل النقل» تغليباً للمصلحة المعتبرة، وإعمالاً لمقاصد الشريعة.

ثانياً: حرية الرأى والتعبير

حرية الرأى هى أم الحريات كلها، وتتجلى فى التعبير عن الرأى تعبيراً حراً بمختلف وسائل التعبير من كتابة وخطابة وإنتاج فنى وتواصل رقمى، وهى مظهر الحريات الاجتماعية التى تتجاوز الأفراد لتشمل غيرهم مثل تكوين الأحزاب ومنظمات المجتمع المدنى، كما تشمل حرية الصحافة والإعلام المسموع والمرئى والرقمى، وحرية الحصول على المعلومات اللازمة لإبداء الرأى، ولابد أن تكون مكفولة بالنصوص الدستورية لتسمو على القوانين العادية القابلة للتغيير وقد استقرت المحكمة الدستورية

العليا فى مصر على توسيع مفهوم حرية التعبير ليشمل النقد البناء ولو كان حاد العبارة ونص على أنه «لا يجوز أن تكون حرية التعبير فى القضايا العامة مقيدة بعدم التجاوز بل يتعين التسامح فيها» لكن الضرورى أن يجب التنبيه إلى وجوب احترام عقائد الأديان الإلهية وشعائرها وتعاليمها لما فى الخروج على ذلك من خطر تحقق على النسيج الاجتماعى والأمن الوطنى. ومن ثم فليس من حق أحد أن يثير الفتن الطائفية أو النعرات المذهبية باسم حرية التعبير، وإن كان حق الاجتهاد بالرأى العلمى المقترن بالدليل، وفى الأوساط المتخصصة، والبعيد عن الإثارة مكفولاً كما يتبين من الفقرة القادمة من حرية البحث العلمى.

ويعلن المجتمعون أن حرية الرأى والتعبير هى المظهر الحقيقى للديمقراطية، وينادون بتنشئة الاجيال الجديدة وتربيتها على ثقافة الحرية وحق الاختلاف واحترام الآخرين، ويهيبون بالعاملين فى مجال الخطاب الدينى والثقافى والسياسى فى وسائل الإعلام مراعاة هذا البعد المهم فى ممارساتهم، وتوخى الحكمة فى تكوين رأى عام يتسم بالتسامح وسعة الأفق، ويحتكم للحوار ونبذ التعصب، فى إطار من التقاليد الحضارية للفكر الإسلامى السمح الذى كان يقول فيه أكابر أئمة الاجتهاد: «رأيى صواب يحتمل الخطأ ورأى غيرى خطأ يحتمل الصواب» ومن ثم فلا سبيل لتحصين حرية الرأى سوى مقارعة الحجة بالحجة طبقا لآداب الحوار، وما استقرت عليه الأعراف الحضارية فى المجتمعات الراقية.

ثالثًا: حرية البحث العلمى

يعد البحث العلمى الجاد فى العلوم الإنسانية والطبيعية والرياضية وغيرها، قاطرة التقدم البشرى، ووسيلة اكتشاف سنن الكون ومعرفة قوانينه لتسخيرها لخير الإنسانية، ولا يمكن لهذا البحث أن يتم ويؤتى ثماره النظرية والتطبيقية دون أن تكرس الأمة طاقتها وتحشد إمكاناتها من أجله.. ولقد أفاضت النصوص القرآنية الكريمة فى الحث على النظر والتفكر والاستنباط والقياس والتأمل فى الظواهر الكونية والإنسانية لاكتشاف سننها وقوانينها، ومهدت الطريق لأكبر نهضة علمية فى تاريخ الشرق، نزلت إلى الواقع وأسعدت الإنسان شرقا وغربا، وقادها علماء مسلمون ونقلوا شعلتها لتضىء عصر النهضة العربية كما هو معروف وثابت وإذا كان التفكير فريضة إسلامية فى مختلف المعارف والفنون كما يقول المجتهدون فى البحث العلمى النظرى والتجريبى هو أداة هذا الفكر. وأهم شروطه أن تمتلك المؤسسات البحثية والعلماء المتخصصون حرية أكاديمية تامة فى إجراء التجارب وفرض الفروض والاحتمالات واختبارها بالمعايير العلمية الدقيقة، ومن حق علماء هذه المؤسسات أن يمتلكوا الخيال الخلاق والخبرة الكفيلة بالوصول إلى نتائج جديدة يصنفونها للمعرفة الإنسانية، لا يوجههم فى ذلك إلا أخلاقيات العلم ومناهجه وثوابته، وقد كان كبار العلماء المسلمين مثل الرازى وابن الهيثم وابن النفيس وغيرهم أقطابا للمعرفة العلمية وروادا لها فى الشرق والغرب قرونا عدة، وآن الأوان للأمة العربية والإسلامية أن تعود إلى سابق القوة وتدخل عصر المعرفة، فقد

أصبح العلم مصدر القوة العسكرية والاقتصادية وسبب التقدم والتنمية والرخاء، وأصبح البحث العلمى الحر مناط نهضة التعليم وسيادة الفكر العلمى وازدهار مراكز الإنتاج إذ تخصص لها الميزانيات الضخمة، وتتشكل لها فرق العمل وتقترح لها المشروعات الكبرى، وكل ذلك مما يتطلب ضمان حرية البحث العلمى والإنسانى وقد أوشك الغرب فى القرون الثلاثة الاخيرة أن يقبض بيديه على كل تقدم علمى وأن يحتكر مسيرة العلم لولا نهضة اليابان والصين والهند وجنوب شرقى آسيا التى قدمت نماذج مضيئة لقدرة الشرق على كسر هذا الاحتكار، ولدخول عصر العلم والمعرفة من أوسع الأبواب، وقد آن الأوان ليدخل المصريون والعرب والمسلمون ساحة المنافسة العلمية والحضارية، ولديهم ما يؤهلهم من الطاقات الروحية والمادية والبشرية وغيرها من شروط التقدم ودخول معترك الحضارات فى عالم لا يحترم الضعفاء ولا يحسب للمتخلفين أدنى حساب.

رابعاً: حرية الإبداع الأدبى والفنى

تستهدف الآداب والفنون فى جملتها تنمية الوعى بالواقع، وتنشيط الخيال، وترقية الإحساس الجمالى وتثقيف الحواس الإنسانية وتوسيع مدارك الإنسان وتعميق خبراته فى الحياة والمجتمع، كما تقوم بنقد المجتمع أحياناً استشرافاً لما هو أرقى منه وأفضل، وكلها وظائف سامية تؤدى فى حقيقة الأمر إلى إثراء اللغة والارتقاء بالذوق العام فى مناخ من الحرية الملتزمة.

وقد شملت الوثيقة التأكيد على عدة نقاط:

■ التعاهد الوطنى - باسم كل القيم السابقة - على استكمال أهداف ثورة الخامس والعشرين من يناير.

■ التوافق الوطنى على رعاية كل مكونات هذا الوطن، دون غلبة أو هيمنة أو إقصاء أو انحياز.

■ تأكيد حق المواطن الدستورى فى محاكمته أمام قاضيه الطبيعى، ومنع المحاكمات العسكرية للمدنيين، والإفراج عن جميع المعتقلين السياسيين.

■ سرعة المحاكمات بما لا يخل بحرمة الحق والعدالة والنزاهة.

■ استكمال الوفاء بحقوق أسر الشهداء والمصابين فى العلاج والتعويض والعمل والرعاية التامة.

■ المضى فى البناء الديمقراطى لمؤسسات الدولة وإتمام تسليم السلطة للمدنيين فى موعده المحدد دون إبطاء.

■ الالتزام بما أسفرت عنه الانتخابات الحرة الشفافة من نتائج، والتعاون بين شباب الثورة جميعاً وممثلى الشعب المنتخبين فى بناء مصر المستقبل تحت مظلة الديمقراطية وعلى أساس من الشرعية البرلمانية والتوافق الوطنى.

■ القضاء على آثار الفلسفات القمعية، والفساد الشامل، والعمل الجاد على بناء اقتصاد مصرى قوى، يستثمر كل إمكانات مصر، ويحقق العدالة لجميع أبنائها.

■ عودة الدور الوطنى المصرى فى ريادة المنطقة، والإسهام فى السياسة الدولية بقرار حر دون تبعية أو انحياز.

■ عودة الجيش الوطنى ـ ذخر الوطن وحامى انتفاضاته الثورية ـ إلى دوره فى حراسة حدود مصر وأمنها القومى.

■ إطلاق طاقات الشعب، وبخاصة شبابه الثورى الناهض لبناء المجتمع والدولة، ومحاربة التخلف والفقر والمرض والجهل، والنهوض بمصر سياسياً واقتصادياً وأخلاقياً لتكون الأنموذج المضىء لأمة العرب والمسلمين.

والله خير الشاهدين، وهو حسبنا ونعم الوكيل.

مشيخة الأزهر فى:

١٧ من صفر سنة ١٤٣٣هـ

١١ من يناير سنة ٢٠١٢م



البابا تواضروس
بطريرك الكرازة المرقسية

«مصر ليست وطناً نعيش فيه.. بل هو الوطن الذى يعيش فينا».. كانت هذه كلمات البابا شنودة أحد رموز الوطنية المصرية على رأس الكنيسة المصرية.. ولما رحل وخلفه البابا تواضروس الثانى وامتدت يد الإرهاب والتفجير والحرق إلى عشرات الكنائس قال كلمته الخالدة: «يمكننا أن نعيش بلا كنائس.. ولكن من المستحيل أن نعيش بلا وطن».

وأثبت الرجل فى مواقف عديدة أن الكنيسة هى العمود الثانى لمعمار الوطن إلى جانب عمود الأزهر.. تعرفهما بالقلب والعقل والتاريخ.

تواضروس الذى تصادف يوم إجراء القرعة لاختياره بطريركياً للكرازة المرقسية.. مع يوم ميلاده ٤ نوفمبر ١٩٥٢ فى مدينة المنصورة بمحافظة الدقهلية باسم: وجيه صبحى باقى سليمان.

● والده كان يعمل مهندس مساحة، وتنقلت الأسرة فى المعيشة ما بين المنصورة وسوهاج ودمنهور والإسكندرية.

● حصل على بكالوريوس الصيدلة بجامعة الإسكندرية سنة ١٩٧٥.

● حصل على بكالوريوس الكلية الإكليريكية سنة ١٩٨٣.

● حصل على زمالة الصحة العالمية بإنجلترا سنة ١٩٨٥.

● عمل مديراً لمصنع أدوية بدمنهور تابع لوزارة الصحة قبل رهبنته.

● ذهب يوم الأربعاء الموافق ٢٠ أغسطس ١٩٨٦ إلى دير الأنبا بيشوى بوادى النطرون، وظل طالب رهبنة لمدة عامين.

● ترهبن يوم الأحد الموافق ٣١ يوليو عام ١٩٨٨ بدير الأنبا بيشوى.

● رُسم قساً يوم السبت الموافق ٢٣ ديسمبر ١٩٨٩.

● انتقل للخدمة بمحافظة البحيرة «إيبارشية البحيرة بدمنهور - بعد رسامته كاهناً بشهرين - فى يوم الخميس الموافق ١٥ فبراير ١٩٩٠.

● نال درجة الأسقف فى ١٥ يونيو ١٩٩٧ «فى عيد العنصرة»، كأسقف عام لمساعدة نيافة الحبر الجليل الأنبا باخوميوس مطران البحيرة ومطروح والخمس مدن الغربية.

● سافر كراهب إلى الخارج ثلاث مرات منها مرتان عام ١٩٩٠ و١٩٩٣ إلى قبرص لحضور لقاءات مسكونية فى مجلس كنائس الشرق الأوسط، حول «الكنيسة والتنمية».. والمرة الثالثة عام ١٩٩٥ عندما سافر إلى ليبيا، لمساعدة الآباء المشاركين فى الخدمة بطرابلس وبنغازى.

● قام بدراسة «التعليم المسيحى والإدارة» فى سنغافورة سنة ١٩٩٩.

● من ضمن ما اهتم به مرحلة الطفولة، سواء فى مهرجان الكرازة المرقسية وملتقى الأطفال المبدعين، أو كونه مسئولاً عن لجنة الطفولة بالمجمع المقدس.

● ألّف ١٣ كتاباً.

● حصل الأنبا تواضروس على تزكيات للبطريركية من آباء أساقفة من داخل وخارج مصر: نيافة الحبر الجليل الأنبا رافائيل أسقف عام كنائس وسط القاهرة - نيافة الحبر الجليل الأنبا دميان أسقف ألمانيا - نيافة الحبر الجليل الأنبا سوريال أسقف ملبورن بأستراليا - نيافة الحبر الجليل الأنبا مكاريوس أسقف المنيا - نيافة الحبر الجليل الأنبا باخوم أسقف سوهاج - نيافة الحبر الجليل الأنبا أنداروس أسقف أبوتيج وتوابعها.

● قداسة البابا تواضروس الثانى من عائلة كهنوتية.. فكان أول كاهن فى تاريخ العائلة الحديث هو أبونا أنطونيوس باقى «عمه»، ورُسم سنة ١٩٦٩، ثم أبونا القمص يوحنا باقى ١٩٧٢ «كاهن كنيسة مارمرقس بمصر الجديدة»، ثم أبونا باخوم حبيب «وهو كاهن حالى فى كنيسة الأنبا أنطونيوس بشبرا».. وبعده رسم القس أنطونيوس باقى سنة ١٩٩٦ «كاهن كنيسة السيدة العذراء وماريوحنا، سان فرنسيسكو، أمريكا - وهو ابن عم قداسة البابا»، ثم أبونا يونان، ثم أبونا يوحنا زكريا «يخدم فى

إيبـارشـيـة الكرسـى الأورشليـمى والشـرق الأدنى والخليـج مع أبينا الحبيب نيافة الأنبا إبراهام».

هلال وصليب

ولم تكن الصورة التى استقرت فى الأذهان وجسدها المخرج حسن الإمام فى فيلم بين القصرين عن رواية الكاتب الكبير نجيب محفوظ.. لم تكن هذه الصورة التى تعود إلى ثورة ١٩١٩ هى بداية الحكاية فى ذلك العناق المصرى الصميم بين هلالها وصليبها.. وكما كان للأزهر دوره فى المشهد الوطنى عبر متغيراته وأحداثه.. كذلك كانت الكنيسة حاضرة.. رغم بعض النداءات فى وقت ما بأن تبعد عن السياسة.. والواضح أنها فى أغلب الظروف لا هى بعدت ولا السياسة تركتها.

وشهدت الفترة الانتقالية التى أعقبت ثورة يناير مشاركة الأقباط، فى تأسيس الأحزاب، والانضمام إليها، مثل حزب «المصريين الأحرار» الذى أسسه رجل الأعمال نجيب ساويرس، والحزب «المصرى الديمقراطى الاجتماعى».

وبعد مرحلة الصعود الكبير للإسلاميين فى الانتخابات البرلمانية، جاء محمد مرسى رئيساً للجمهورية فى الانتخابات الرئاسية ٢٠١٢ كأول رئيس مدنى منتخب ينتمى إلى جماعة الإخوان المسلمين، ومع تفاقم الأزمة بين مرسى ومعارضيه، ازدادت حدة الاستقطاب السياسى، وازدادت مساحة التراشق الطائفى.

دفعت محصلة هذه العوامل الأقباط إلى العودة إلى أحضان الكنيسة مجدداً وتزامنت تلك التطورات، مع تولى الأنبا تواضروس الثانى منصب بطريركية الكرازة المرقسية فى نوفمبر ٢٠١٢.. وبات الدور السياسى للبابا واضحاً مرة أخرى خصوصًا بعد مظاهرات ٣٠ يونيو وصولاً إلى مشهد الثالث من يوليو ٢٠١٣ الذى شهد الإطاحة بمحمد مرسى وعزله عن منصبه، بحضور البابا تواضروس فى تفاصيل المشهد، إلى جانب وزير الدفاع الفريق عبدالفتاح السيسى، وفضيلة شيخ الأزهر الدكتور أحمد الطيب وآخرين.

مع اندلاع ثورة ٢٥ يناير وسقوط عهد مبارك ظهرت ميول الكنيسة وارتباطها بنظام مبارك حيث كانت ترفض فى البداية الدعوة لإسقاط النظام وكانت ترفض أيضًا مشاركة الأقباط فى هذه المظاهرات، وأدى ذلك إلى تراجع الدور السياسى للكنيسة إلى حد كبير وبدأ الأقباط يرفضون رد فعل الكنيسة على أحداث العنف الطائفى التى يتعرضون لها خصوصًا بعد تصاعد الأحداث الطائفية فى نجع حمادى وأطفيح وإمبابة، وكانت مظاهرات الأقباط تخرج على الشكل التقليدى الذى دائماً ما يكون داخل أسوار الكاتدرائية.

لكن بعد ذلك بدأت الائتلافات والحركات الاحتجاجية القبطية تخرج لتعبر عن مطالب الأقباط عامة وانضموا إلى مليونيات التحرير للجمع بين مطالبهم ومطالب القوى السياسية الأخرى وشكلت هذه الائتلافات ظاهرة جديدة فى تاريخ الكنيسة

القبطية.. كما شهدت الانتخابات الرئاسية والبرلمانية فما بعد الثورة إقبالاً جماهيرياً شعبياً غير مسبوق من قبل جميع فئات المجتمع وتشكلت مجموعات قبطية للتوعية بأهمية المشاركة فى المرحلة الانتقالية.. أيضاً فى الانتخابات الرئاسية الأخيرة كان هناك توجه شبه عام من المصريين جميعاً تجاه انتخاب الرئيس عبدالفتاح السيسى وأيضاً كان للأقباط دور مهم فى تدعيمه.

ظهور حركات اجتماعية جديدة

إن مشاركة الشباب فى العمل الاجتماعى والسياسى تتأثر بالمشاركة المجتمعية العامة وقد نتج عن قلة تفاعل المواطنين مع الحياة السياسية حالة من الاغتراب لدى الشباب، لكن منذ عام ٢٠٠٤ شهدت مصر عدداً كبيراً من الحركات الاحتجاجية والتى كان أهمها حركتى كفاية و٦ أبريل.. أما أيام ثورة ٢٥ يناير وبعدها نشط الكثير من الحركات الاجتماعية والإلكترونية الأخرى وكان لها دور مهم فى رفع الوعى السياسى لدى المواطنين وكان لها تأثير واضح فى تحريك الشارع، ولذلك تعتبر الحركات الاجتماعية الجديدة والحركات الإلكترونية بمثابة انطلاقة جديدة للعمل المدنى فى حشد وتعبئة الشارع خلال وبعد الثورة.

أما عن الحركات الاحتجاجية القبطية فنجد أنه على الرغم من تصاعد وتيرة الاحداث وخصوصاً الاعتداءات على الأقباط فى الكشح عام ٢٠٠٠ فإنه لم يكن هناك ظهور للشباب الأقباط كقادة لأى احتجاجات للتعبير عن غضبهم، ولكن بدأت الشرارة

الأولى لمظاهرات الأقباط كرد فعل لما حدث فى عام ٢٠٠١ بسبب ما يتعرضون له من عنف طائفى، وكانت المظاهرات رد فعل لما نشر فى جريدة النبأ حيث نشرت الجريدة وقائع مغلوطة عن راهب له فضائح أخلاقية، وبعدها تكررت هذه الاحتجاجات إثر بعض الخلافات الطائفية، أيضاً كانت هناك بعض المظاهرات التى تؤيد البابا فى رفضه لتنفيذ أحكام المحكمة الإدارية العليا بشأن الزواج الثانى، وقد كانت كل هذه المظاهرات تدعم قرارات الكنيسة تجاه ما تتخذه ضد أحداث العنف وكانت هذه المظاهرات تساند البابا حتى حادثة الاعتداء على الأقباط فى نجع حمادى.

كل تلك الاحتجاجات كانت داخل الكنيسة أو الكاتدرائية حيث كان الأقباط يرون أن الكنيسة هى الممثل الوحيد لهم والمعبر عن مطالبهم.. أما الظاهرة التى بدت غريبة هى انتشار عدد من الحركات الدينية المسيحية فى الشارع المصرى بعد أحداث نجع حمادى وأطفيح، وهذه الحركات يبلغ عددها ٣٦ حركة بحسب ما أعلنه المجلس الاستشارى القبطى، ومن أشهرها «اتحاد شباب ماسبيرو» و«ائتلاف أقباط مصر» و«أقباط بلا قيود» و«الأقباط أحرار» و«الإخوان المسيحيين» و«الاتحاد المصرى للأقباط» وحركة «صوت المعمدان».

وفى هذا الصدد ذكرت د. مى مجيب: «بعد الثورة ظهر دور الأقباط واضحًا فى الائتلافات والاتحادات القبطية التى كونوها والتى كان أشهرها ائتلاف شباب ماسبيرو، كما أن هالة شكر الله كانت أول

رئيسة حزب مسيحية وهو حزب «الدستور» فقد كان إهمال مطالب الأقباط فى عهد الرئيس مبارك له دور فعّال فى معاداة الشباب القبطى للنظام حيث لم يكن هناك أى محاولة قبطية للحوار داخلياً وأهم هذه الحوارات ما يخص قانون الأحوال الشخصية الموحد للمسيحيين الذى لم تنظر الحكومة إليه، أيضاً كان هناك تجاهل لمطالب الأقباط التى كان أهمها إلغاء المادة الثانية من الدستور، والإسراع بإصدار قانون العبادة الموحد.

أيضاً كان تراجع تأثير الكنيسة السياسى على الأقباط له دور فعّال فى ظهور تلك الحركات السياسية القبطية لأنه بسبب رفض الكنيسة للثورة فى أيامها الأولى وتضامنها مع النظام وعدم اتخاذ الكنيسة موقفا جاداً من أحداث كنيسة القديسين بأطفيح فى مارس ٢٠١١، وجد الشباب أن الكنيسة تطالب بعدم التظاهر وأنه قد تراجع دورها فى التعبير عنهم خصوصًا مع انشغال الكنيسة بالانتخابات الباباوية بعد رحيل البابا شنودة، كل هذا دفع الشباب القبطى لتكوين حركات سياسية والاعتصام كمواطنين مصريين لهم الحق فى الضغط على النظام لتحقيق مطالبهم فى القصاص من المعتدين.

فمنذ أحداث العمرانية ٢٠١٠ وتفجيرات كنيسة القديسين يناير ٢٠١١، ظهرت تجليات الحراك الشبابى القبطى للخروج من الكنيسة للوطن، أعلن الكثير منهم رفضه لدعوة البابا الراحل شنودة الثالث بمقاطعة تظاهرات ٢٥ يناير، وشهد الميدان وجودا قبطياً ملحوظاً.

وأكد ذلك أستاذ سمعان عبدالملاك قائلاً: «إن أحداث العمرانية فى آخر ٢٠١٠ خرج بعدها الأقباط بمظاهرات ضد الشرطة فى العمرانية والجيزة وكانت هذه المظاهرات مؤشرا لنزول الأقباط فى ٢٥ يناير».

كانت الحركة الأكثر بروزا هى ائتلاف شباب ماسبيرو ويرجع البعض عوامل ظهورها إلى حادث أطفيح والبعض الآخر يقول إن الظهور الحقيقى كان بعد الانفصال عن رأى الكنيسة فى مارس ٢٠١١ والبعض الآخر يقول إنه ظهر بعد أحداث إمبابة.

وقد قرر الاتحاد الانفصال عن الكنيسة فى مارس ٢٠١١ عندما طلب البابا فض الاعتصام فرفعوا شعار «عفوا قداسة البابا أنت أبونا الروحى ولكن ليس لديك سلطة سياسية علينا» ومن هنا بدأ الصوت العالى ضد الكنيسة لرفع يدها عن التدخل السياسى وبعد تشكل الاتحاد خرج فى مظاهرات أصبح له فروع فى عدة محافظات، واستطاع الاتحاد أن يكون موجوداً سياسيا ثم بدأ التنسيق مع الحركات الشبابية التى خرجت بعد الثورة، وأصبح الاتحاد عضوا فى جبهة الإنقاذ الوطنى، وكان للاتحاد هدفان: الأول هو إنشاء منبر علمانى مواز للكنيسة يتحدث عن الأقباط حتى لا تتحدث الكنيسة بمفردها عنهم، والثانى هو تحقيق العدالة لكل المواطنين ومناهضة التمييز الدينى.

بعد أحداث أطفيح وخروج هؤلاء الشباب للتعبير عن مطالبهم دفعهم ذلك إلى الخروج فى ٢٥ يناير مرددين الشعارات المطالبة

بإسقاط النظام وعبروا عن غضبهم من وزارة الداخلية حيث كانوا يعتبرونها المسئولة عما يحدث لهم.

وخلال الفترة الزمنية هذه حدثت انتخابات رئاسية مرتين: الأولى كانت عام ٢٠١٢ والثانية عام ٢٠١٤ .

١- الانتخابات الرئاسية ٢٠١٢:

كان إقبال المصريين كبيراً على المشاركة فى الانتخابات الرئاسية لعام ٢٠١٢ بسبب طول الفترة الانتقالية ورغبة الشعب فى عودة الاستقرار خصوصًا بعد المواجهات التى حدثت بين المجلس الأعلى للقوات المسلحة والمتظاهرين فى ماسبيرو ومحمد محمود ومجلس الوزراء، ولذلك كان الشعب يريد انتخابات رئاسية فى أقرب وقت لإنهاء تلك المرحلة ولكن جاءت نتيجة الجولة الأولى من الانتخابات صادمة للبعض بسبب تشتت الأصوات بين أحمد شفيق «آخر رئيس وزراء فى عهد مبارك» ومحمد مرسى «التابع لجماعة الإخوان».

وكان وضع الكنيسة حرجاً فى تلك الانتخابات ففى حين قيام القائم مقام الأنبا باخوميوس بالتأكيد على أنه لا توجد توجيهات من الكنيسة للتصويت لمرشح بعينه، نجد أن هناك بعض كهنة الكنيسة قاموا بتشجيع الأقباط نحو التصويت لشفيق، ولكن فى صورة مقترح وتوصية وليس أمراً دينياً.. وأكد ذلك مينا نبيل قائلاً: «نعم كان يوجد دعم من الكنيسة لشفيق وربما كان ذلك

سبباً من أسباب خسارته لأنه كان يوجد حشد مقابل فى الطرف الآخر لصالح مرسى».. ومع ذلك كان وضع الأقباط منقسما حيث صوت المعظم لمصلحة حمدين صباحى وعمرو موسى وغيرهما فى الجولة الأولى، ولكن قد خابت آمالهم بوصول أحمد شفيق الذى يراه البعض أنه جزء من النظام السابق، ومرسى مرشح الإخوان المسلمين إلى جولة الإعادة.. أما البعض الآخر من الأقباط فقد صوت لشفيق فى المرحلة الأولى وأيضاً صوت له فى المرحلة الثانية، بينما بعض الأقباط قاطعوا التصويت أو قاموا بإبطال أصواتهم لأنهم غير مقتنعين بأى من المرشحين، فمن وجهة نظرهم يمثل شفيق النظام السابق ومرسى يمثل الدولة الدينية، وبعضهم تم منعهم من المشاركة فى الانتخابات ببعض الدوائر.

٢- الانتخابات الرئاسية ٢٠١٤:

بناء على ما قدمه تقرير البرلمان العربى وتقرير جامعة الدول العربية فإن تلك الانتخابات تميزت بوجود مشاركة شعبية واضحة بين جميع فئات الشعب المصرى وسط أجواء من الاحتفالات من جانب المواطنين أمام اللجان وترديد الأغانى الوطنية احتفالاً بالعملية الانتخابية.. وأيضاً كانت هناك مشاركة فعالة وإيجابية من جانب الأقباط فى هذه الانتخابات والتى اعتبروا أنها الجزء الأهم من استحقاقات خارطة الطريق واستكمال ثورة الثلاثين من يونيو والخلاص من العنف والإرهاب.

ولذلك شاركت الكنيسة بقياداتها فى التصويت ودعت الشباب إلى تلبية نداء الوطن، دون التدخل فى اختيار مرشح بعينه، ولكن الحث على المشاركة الوطنية، وقامت قيادات الكنيسة وعلى رأسها البابا تواضروس الثانى بابا الإسكندرية بطريرك الكرازة المرقسية بالإدلاء بصوته فى الانتخابات فى لجنة فى العباسية.. ودعا بابا الكنيسة كل المصريين مسلمين ومسيحيين إلى المشاركة فى الانتخابات، مشيراً إلى أن أقباط الصعيد أدلوا بأصواتهم دون تهديد أو مشاكل، كما قام العديد من أساقفة الكنيسة بالإدلاء بأصواتهم فى مختلف محافظات الجمهوريه، كما قام عدد من الآباء الرهبان والكهنة قد ذهبوا أيضاً للإدلاء بأصواتهم.

أما على المستوى الشعبى أى مشاركة الأقباط فهى لم تختلف عن مشاركة الكنيسة فقد شهدت معظم محافظات الجمهورية مشاركة قوية من الأقباط فى أول يوم لانطلاق الانتخابات الرئاسية حيث خرجت تكتلات تصويتية كبيرة من الرجال والسيدات للإدلاء بأصواتهم داخل صندوق الاقتراع وكان إقبال الأقباط على التصويت ملحوظاً، كما تزايدت أعداد الناخبين على لجان قرى الصعيد.

وقد عكست نتيجة الاستفتاء على الدستور الأوضاع الطائفية فى مصر بين المسلمين والمسيحيين، وانعكس ذلك على الانتخابات البرلمانية، حيث إن الناخبين الإسلاميين يدعون للتصويت لصالح الإخوان أو السلفيين، وفى المقابل ظهر

الناخبون الأقباط يقومون بالتصويت لصالح الكتلة المصرية.. وكان دور الكنيسة عليه جدل واسع فقد قيل إن الكنيسة تحث الأقباط على التصويت لأسماء معينة على المقاعد الفردية بالإضافة إلى قائمة الكتلة المصرية لأنها تخشى من وصول الإسلاميين إلى الحكم وانفرادهم بصنع القرار.. وأكدت على ذلك د. مى مجيب وقالت: «فى الانتخابات البرلمانية ٢٠١١، الأنبا موسى نفسه قال إن الكنيسة سوف تدعم الكتلة المصرية، فكان موقف الكنيسة واضحاً».. وبالفعل كان تصويت الأقباط المكثف للكتلة وعلى رأسهم حزب «المصريون الأحرار» رغم أن أكثر المرشحين على قائمته مسلمون، وكان ذلك عاملاً مهماً فى حصول الكتلة المصرية وعلى رأسها أحزاب التجمع والمصريون الأحرار والمصرى الديمقراطى الاجتماعى المركز الثالث فى المرحلة الأولى لانتخابات برلمان ٢٠١١ بعد حزبى «الحرية والعدالة» و«النور».

وأكد ذلك مينا نبيل قائلاً: «الانتخابات البرلمانية ٢٠١٢ اكتسحها الإخوان رغم أن الكنيسة كانت تدعو لتدعيم الكتلة المصرية».

أما عن مقاعد الأقباط فى البرلمان فنجد أن النسبة القليلة لتمثيل الأقباط فى البرلمان المصرى لم تتغير كثيراً عن البرلمانات السابقة للثورة، ولكن انتخابات مجلس الشعب بعد الثورة شهدت إقبالاً كبيراً من الأقباط، الذين تمكنوا من الفوز بستة مقاعد منتخبة، وهو أكبر عدد يحصلون عليه منذ سنوات

عديدة، لكن النسبة لاتزال قليلة مقارنة بعددهم فى المجتمع، وقد حصل الأقباط على أحد عشر مقعداً فى برلمان ما بعد ثورة يناير «ستة منها بالانتخاب، وخمسة بالتعيين» من بين ٥٠٨ مقاعد، أى أن النسبة تصل إلى نحو ٢,٢٪ من إجمالى عدد النواب.

طبيعة العلاقة بين الكنيسة والدولة

دائماً ما تميل الكنيسة إلى ربط تأمينها بالنظام وتنظر له على أنه حام لها، فنجد أنه بعد نجاح ثورة يناير فى إسقاط النظام، تباينت العلاقة بين الدولة والكنيسة والأقباط وتأرجحت صعوداً وهبوطاً، فخلال الفترة التى يتضمنها هذا الفصل تعاقب على رئاسة مصر الكثيرون فنجد أنه عقب الثورة مباشرة استلم المجلس العسكرى إدارة البلاد وتم عمل انتخابات رئاسية فاز بها الرئيس السابق محمد مرسى ثم قامت ثورة الثلاثين من يونيو واستلم الرئاسة الرئيس المؤقت عدلى منصور وحدثت انتخابات رئاسية مرة أخرى وفاز فيها الرئيس عبد الفتاح السيسى رئيس مصر حالياً، ونجد أن كلاً منهم كانت له مواقفه الخاصة مع الكنيسة، كما أنه فى تلك الفترة أيضاً تنيح البابا شنودة وأخذ مكانه القائم مقام الأنبا باخوميوس إلى أن سلم الكنيسة إلى نيافة البطريرك الحالى البابا تواضروس، وأيضاً كان لكل منهم دور مختلف عن الآخر، كما اتسمت تلك الفترة بزيادة الوعى السياسى لدى الشعب عامة وهو ما بدا واضحًا فى زيادة المشاركة السياسية وزيادة عدد الأحزاب والحركات

الاجتماعية والاحتجاجية، وأيضاً زاد الوعى السياسى لدى الأقباط كجزء من الشعب وزادت المشاركة السياسية لهم عن فترة ما قبل ثورة ٢٥ يناير.

دور القيادة الكنسية

لقد تغير موقف الكنيسة من ثورة يناير، فنجد أنه بعد نجاحها فى إسقاط النظام، تغير موقف الكنيسة منها وقام البابا شنودة بإصدار بيان ليحيى فيه شباب الثورة والجيش على ما قاموا به، وتحولت علاقة الكنيسة تجاه النظام من التأييد إلى المقاومة خصوصًا بعد أحداث ماسبيرو التى شهدت مواجهات عنيفة بين قوات الجيش والأقباط وراح ضحيتها الكثير من الأقباط وأصيب البعض الآخر، مما أدى إلى عودة الأقباط إلى أسوار كنيستهم مرة أخرى.

وذكر الأستاذ سمعان عبد الملاك عن موقف الكنيسة من تظاهرات ٢٥ يناير قائلا: «البابا شنودة قال فى برنامج لعمرو أديب على الهواء مباشر أنه مع مبارك ويرفض المظاهرات بينما قال شيخ الأزهر رأيه بطريقة لم توضح موقفه صراحة، وربما قال البابا ذلك لأن كان عنده معلومة بخطورة تصاعد التيار الدينى».

وعن رفض الكنيسة لمظاهرات ٢٥ يناير قالت جانيت جون: «إن من أهم أسباب رفض الكنيسة فى البداية لنزول الأقباط أن البابا كان خائفاً على أولاده، كما أنه كان من غير المعروف ما

الذى سيحدث، فالبابا كان يرى أن هناك انسحاباً من الشرطة وأنه لا يوجد تأمين، وأن الأقباط سوف يصبحون فى مواجهة المشهد، وأثر ذلك على مشاركة الأقباط فيها لكن الأقباط شاركوا خصوصًا فى الـ١٨ يوماً الأخيرة وكان النزول شعبياً عاماً».

وأيضاً قالت د. مى مجيب: «رفضت الكنيسة هذه التظاهرات فى البداية وقالت لا نؤيد مطالب لا نعرف مصدرها وذكر ذلك فى عظات البابا شنودة فى تلك الفترة وكانت أقواله تحث على أنه لا يجب الخروج على الحاكم كما تكلم الأنبا موسى أيضا فى نفس الموضوع داعيا الشباب فى البداية بعدم المشاركة، هذا على مستوى الكنيسة الأرثوذكسية أيضاً على مستوى الكنيسة الكاثوليكية حدث نفس الشىء كانت تنادى بعدم المشاركة».. وأكد على ذلك الأستاذ مينا نبيل قائلا: «فى مظاهرات ٢٥ يناير كان بعض الكهنة والقيادات الكنسية خائفين على أولادهم ولكن أوضح أن رفض الكنيسة لنزول المسيحيين موقف سياسى غير مقبول وانتقد موقف الكنيسة فى عدم تبريرها لسبب رفضها للمظاهرات فكان يجب أن تبرر موقفها هل يعتبر تأييدًا للنظام أم خوفاً على أبنائها».

وبعد أن تنيح البابا شنودة تم اختيار الأنبا باخوميوس ليكون قائم مقام لشئون الكنيسة القبطية، فى ٢٧ مارس ٢٠١٢ واستمر حوالى ٨ أشهر فى الفترة من مارس ٢٠١٢، حتى تم اختيار البابا تواضروس بالانتخاب فى ٧ نوفمبر ٢٠١٢.. وقد

أدار الأنبا باخوميوس المرحلة الانتقالية للكنيسة بهدوء رغم مروره على عدد من المشكلات الصعبة، منها لائحة انتخاب البابا لعام ١٩٥٧ واعترافه بأنها غير مناسبة ويجب تغييرها، لكنه فضل تنفيذ هذه اللائحة القديمة على التعديل فى فترة حكم الإخوان.

وأكدت ذلك د. مى مجيب وعلقت قائلة «كانت فتره القائم مقام الأنبا باخوميوس فترة استثنائية داخلياً وخارجياً، فداخلياً: لأنها كانت فترة لابد فيها من إعادة تنظيم البيت من الداخل لأن البابا شنودة كان شخصية قوية دينياً وسياسياً، وكانت الكنيسة فى أشد الحاجة لأن يحل محله قيادة قوية، أما على المستوى السياسى فكان الوضع كارثياً وكانت هناك مطالب بتعجيل الانتخابات».

أما عن الدور السياسى للأنبا باخوميوس فكان دوراً مؤثراً، فهو كان رافضاً لمشاركة الكنيسة فى الحياة السياسية إلا فيما يخدم هدفها الروحى، ففى الفترة التى تولى فيها، وبعد توليه بـ٣ شهور منصب قائم مقام الكنيسة القبطية الأرثوذكسية أجريت أول انتخابات رئاسية بعد ٢٥ يناير فاز فيها الرئيس محمد مرسى المنتمى لجماعة الإخوان المسلمين، وكان قد أصدر تعليماته مؤكداً الدور الوطنى للأقباط فى المشاركة الإيجابية بالانتخابات، ووقوف الكنيسة على مسافة واحدة من كل الأطراف، وأنه على كل إنسان الانتخاب الحر بما يمليه عليه ضميره.

أيضاً كان له موقف واضح فى مواجهه السلطة فى فترة حكم محمد مرسى، فقام بسحب ممثلى الكنائس من اللجنة التأسيسية الأولى لوضع الدستور حيث سيطر الإخوان على أغلب أعضائها، وسبق القوى المدنية فى إعلان الانسحاب مما شجع الجميع السير على دربه لتنفض هذه اللجنة فيما بعد، وقام بذلك قبل يومين من تجليس البابا تواضروس وكان ذلك فى ١٦ نوفمبر ٢٠١٢ لمنع تعرضه لمشاكل مع السلطة فى بداية توليه رعاية الكنيسة، كذلك واجه الإخوان فى تهجير مسيحيى دهشور، ورفض فكرة عقد الجلسات العرفية.

وعن سبب انسحاب الكنيسة من الجمعية التأسيسية للدستور ذكر القس بولس جميل: «كان هناك بعض المواد التى اعترضت عليها الكنيسة لأنها ليست فى صالحها ولم تتلق أى استجابة أو رد فعل أو حوار فكان موقف الكنيسة هو الانسحاب».

وفى الوقت نفسه، فشلت جماعة الإخوان المسلمين فى التعامل مع مخاوف الأقباط بشأن الحرية الدينية وتهميشهم فى مؤسسات الدولة، وعلى الرغم من أنه تم تعيين د. سمير مرقص مساعدا للرئيس لشئون التحول الديمقراطى، فإنه قدم استقالته بعد عدة أشهر عندما اكتشف أنه لم يسهم فى عملية صنع القرار، واحتجاجاً على ممارسات الإخوان المسلمين الاستبدادية فى السلطة خصوصًا بعد صدور الإعلان الدستورى الذى قام فيه مرسى بتحصين قراراته من الطعن القضائى عليها.

وعلقت د. مى مجيب على تلك الفترة بأن: «العلاقه بين الكنيسة والدولة كانت ثنائية لكن لم يقدر مرسى على اختزال الأقباط فى الكنيسة كأيام مبارك، فكانت هذه العلاقة يشوبها الحظر حيث كان هناك تخوف من أن مرسى لن يفى بوعوده بدليل كلامه فى خطاباته «أهلى وعشيرتى»، فكان يتحدث عن فئة معينة رغم أنه قال لن يحدث استبعاد لأحد وأنه سوف يعين نائباً قبطياً، وبالفعل عين د. سمير مرقص.

أيضاً أكد القس شنودة وهيب على سوء تلك الفترة قائلاً: «كانت فترة حكم مرسى فترة سيئة جدا بالنسبة للكنيسة والأزهر وجميع مؤسسات الدولة، وكانت أول مرة يحدث فيها اعتداءات على الكاتدرائية، هذا بالإضافة إلى سوء الأوضاع الاقتصادية والسياسة والاجتماعية عامة».

أما عن موقف الكنيسة من ثورة ٣٠ يونيو فنجد أن الوضع عامة كان به حالة من الغضب الشديد فى الشارع المصرى، وقد أعطى الجيش مهلة زمنية للنظام السابق، بدأت بأسبوع ثم ٤٨ ساعة، وبعدها كان يجب اتخاذ قرار، ولذلك اجتمعت قيادة الجيش بالكنيسة وشيخ الأزهر إضافة إلى قيادات شبابية وشخصيات عامة، للتشاور حول ما يجب فعله، بعد أن ساء الأمر وزاد الاحتقان فى ظل رفض نظام الرئيس المعزول محمد مرسى لأى استجابة.

وأكد ذلك القس بولس جميل قائلاً: «أعطت الكنيسة حرية التعبير عن الرأى ولم تجبر أحداً على شىء وكانت مع التغيير

للأفضل وأيدت ثورة ٣٠ يونيو وشارك الأقباط بصورة كبيرة في المظاهرات للتغيير ورفض الظلم».

وقامت الكنيسة بلعب دور مهم في الإطاحة بمرسي فبعد الاحتجاجات واسعة النطاق التي حدثت في ٣٠ يونيو، دعا الجيش ممثلي السلطة القضائية والحركات الشبابية والمعارضة السياسية ورئيس حزب النور السلفي والدكتور محمد البرادعي ممثلاً عن جبهة الإنقاذ، بالإضافة إلى شباب حركة تمرد، والكنيسة القبطية والأزهر، لمناقشة حل للأزمة السياسية، واتفقوا على عزل الرئيس الأسبق مرسي وألقى كل من البابا تواضروس وشيخ الأزهر وشباب المعارضة كلمة لدعم التدخل العسكري وأيدوا إقامة انتخابات رئاسية مبكرة.

ودعا البابا تواضروس الشباب إلى التعبير عن رأيهم دون غضب، ودون التعدي على مؤسسات الدولة، ووجه حديثه لهم قائلاً: «عبر عن رأيك وكن شجاعا، وتجنب الدم والصدام والعنف».. كما شاركت الكنيسة في اجتماع القوى الوطنية والسياسية يوم ٣ يوليو، من أجل وضع بنود خارطة المستقبل، والتفكير في مرحلة ما بعد عزل محمد مرسي، وهو ما كان محل ثناء وتقدير القوى السياسية، التي اعتبرت أن مشاركة البابا تواضروس في هذه الجلسة المهمة، من أبرز المواقف الوطنية التي شهدها المجتمع خلال العقود الأخيرة، وأيضاً مشاركة الكنيسة في الثالث من يوليو كانت مشاركة وطنية، وليست سياسية، لأنها كانت لمحاربة الإرهاب وهذا في صالح مصر.

وعن الموقف الكنسى من تظاهرات ٣٠ يونيو قالت د. مى مجيب: «كان موقف الكنيسة واضحاً من أول أبريل منذ أن بدأت حركة تمرد تقوم بعمل الاستمارات، فقد أيدت الكنيسة هذه التظاهرات، ويرجع ذلك إلى سوء الأحوال الاقتصادية والاجتماعية والسياسية، أيضاً حدوث اعتداءات على الكاتدرائية الأمر الذى لم يحدث من قبل، أيضاً تزايد الانتماء لحزب الحرية والعدالة، فلم يكن هناك أى ممثل تنفيذى للأقباط».

وشاركت الكنيسه أيضاً فى اللجنة التى صاغت النسخة المعدلة من دستور ٢٠١٢ الذى تم إقراره تحت حكم الإخوان المسلمين وعلاوة على ذلك، كتب البابا تواضروس مقالاً فى صحيفة الأهرام لحث المصريين للموافقة على الاستفتاء على الدستور فى يناير٢٠١٤، كما شجع السيسى على خوض الانتخابات الرئاسية واصفاً ذلك بالواجب الوطنى.

وتوالى الدور الوطنى للكنيسة، من خلال امتصاص غضب الجماعات والتيارات الإسلامية التى قامت باعتداءات على الكنائس بعد عزل مرسى، وأيضاً ما حدث بعد ذلك من اعتداءات على الكنائس بعد فض اعتصامى رابعة العدوية وميدان النهضة.. ويرى البابا تواضروس أن الكنيسة بذلك لا تلعب أى دور سياسى فى مصر، لكنها تقوم بدور وطنى، فهى مؤسسة روحية بالدرجة الأولى، تقدم أدواراً اجتماعية ووطنية تخدم المجتمع، بصفتها أحدى مؤسسات الدولة الرئيسية،

بجانب الأزهر والجيش والقضاء والشرطة، وأكد البابا أن علاقة الكنيسة بالشباب القبطى قوية، رغم حالة التمرد الداخلى التى يمر بها الشباب ضد قبول أى سلطة سواء من البيت أو المدرسة أو الجامعة أو السلطة السياسية أو الروحية.

فالكنيسة القبطية اتجهت نحو إعلاء المصلحة الوطنية للمجتمع، ومنع انزلاقه فى حرب أهلية، وحماية المصريين من الشجار والعنف، ولم يكن هناك بديل سوى الإطاحة بمحمد مرسى وجماعة الإخوان، والاتفاق على خارطة طريق للمستقبل، وإعادة بناء مؤسسات الدولة.

قصة لابد منها

القصة تكشف تاريخ الكنيسة مع الحركة الوطنية وكما جاءت فى كتاب المفكر الكبير د. مصطفى الفقى حيث يقول:

● نشأ تعبير «القبطى» من الكلمة العربية «قبط» التى هى بدورها مجرد مصطلح مختصر للكلمة اليونانية إيجيبتوس «المصرى» Agyptios.

لذلك فإن تعبير «الكنيسة القبطية» يعنى «الكنيسة المصرية» وهو ينطبق على الكنيسة التى قام بإنشائها - طبقًا للتقاليد والنواميس - القديس مارك المبشر - st.Mark The Evangelist فى الإسكندرية، حيث استشهد فى ٢٥ أبريل سنة ٦٣ ميلادية، وقد مضت قرابة المئة عام أو نحو ذلك، وحتى عصر البطريرك ديمتريوس، سنة ١٨٩ ميلادية، ولا نكاد نعرف عن أولئك الذين شغلوا عرش القديس مارك، سوى أسمائهم.

وفى القرن الخامس، لعبت الكنيسة المصرية - فى ظل القديس سريال بطريرك الإسكندرية - دورًا مهمًا فى المجادلات التى شغلت الكنيسة فى ذلك الوقت.

وقد دارت تلك المجادلات - بصفة خاصة - حول الخلاف بين الأرثوذكس والكاثوليك، إذ بينما الأرثوذكس يؤمنون بأن الروح البشرية «الإنسانية» للمسيح مندمجة مع طبيعته وجوهره المقدس، يؤمن الكاثوليك بأن المسيح كان يمتلك الروح الإنسانية

بينما كان على الأرض، وأنه دخل جوهره المقدس فقط، عندما صعد إلى السماء، بعد أن تم صلبه.

وكان القديس ديوسكوروس - بطريرك الإسكندرية - هو الذى قاد الأساقفة المحتشدين لاتخاذ قرار حرمان القديس ليو - بابا روما - وعزل القديس فليفيان من الكرسى الأسقفى فى القسطنطينية.

وكان الانشقاق بين الكنيسة المصرية والكنيستين اليونانية واللاتينية كاملًا فى ذلك الوقت، وأيدت وتمسكت الكنيسة المصرية الوفية المخلصة لما آمنت بأنه تعليم القديس «سريال» فيما يتعلق بطبيعة يسوع المسيح.

وهكذا ظهرت إلى الوجود مجموعتان من الباباوات وبطاركة الإسكندرية إحداهما تمثل الكنيسة المصرية القائلة إن للمسيح طبيعة واحدة، والأخرى الكنيسة الأرثوذكسية اليونانية فى مصر التى تم تقليصها - بعد الفتح الإسلامى لمصر - إلى كنيسة غير ذات أهمية، وكان بطاركتها يقيمون بصورة طبيعية فى القسطنطينية وكان يمثلهم فى مصر patriarchal - Vicaro.

وفى عام ٦٤٠ ميلادية فتح عمرو بن العاص مصر وألحق الهزيمة بقوات الإمبراطورية فى معركة هيليوبوليس، وفى السنة التالية استسلمت قلعة بابل وعندما لم تصل مساعدة من القسطنطينية، جلت القوات الإمبراطورية عن الإسكندرية بعد عقد معاهدة وأبحرت عن المدينة فى ١٧ سبتمبر سنة ٦٤٢ ميلادية.

والكنيسة القبطية تعتبر تجميعًا زمنيًا حيًا للأشكال القديمة للنصرانية مما يؤيد ويدعم فكرة أن الكنيسة القبطية، كنيسة أصيلة ذات طابع كلاسيكى، والجانب الروحى للأقباط يظهر فى تعاليم العقيدة الأرثوذكسية، فمنذ البداية والأقباط الأرثوذكس يتمسكون بمذهب الوحدة الطبيعية والتوحيد، أى طبيعة وجوهر واحد وإرادة واحدة للسيد المسيح، ويؤمن قانون العقيدة القبطية بالثالوث المقدس trinity، لكن التوحيد غير المقسم هو السائد والمهمين فى عقيدتهم، وتلك أمور قد يتم اعتبارها مسائل ثانوية غير ذات أهمية الآن، لكنها تسببت فى العصور القديمة فى نشوب حروب، وموجات اضطهاد فيما بين الجماعات المختلفة، وتعتبر الكنيسة القبطية فى الجانب المحافظ للكنيسة المسيحية ككل، وتشتهر بشخصيتها المتحفظة مع النفور الواضح من التغيير.

ومنذ الفتح العربى لمصر المسيحية، وسكان مصر يتكونون من عنصرين رئيسيين: المسلمون والأقباط، ويشكل العنصر الأخير الآن نحو ١٠٪ من المجموع الكلى للسكان ويوجد هناك -بالطبع- أقليات صغيرة جدًا من المسيحيين غير الأقباط واليهود، ودراسة تاريخ مصر المسلمة منذ الفتح العربى توضح أن سياسة الطبقة المسلمة الحاكمة تجاه الأقباط لم تكن مستقرة، وبالتالى كانت السياسات والاتجاهات والقرارات معرضة للتغيير، فى أحوال كثيرة، طبقًا للطبيعة الشخصية والمزاج السياسى للحاكم، وقد حكمت مصر بحاكم كان يتم تعيينه فى البداية من الخلفاء الراشدين بعد الفتح الإسلامى حتى عام ٦٦١، ثم عن طريق

الخلفاء الأمويين حتى عام ٧٥٠، ثم بواسطة الخلفاء العباسيين بعد ذلك، ثم الخلفاء الفاطميين الذين أقاموا نظام حكم مباشراً لنحو قرنين من الزمان «٩٦٩ - ١١٦٩».

وعين الحكام الفاطميون عدداً من غير المسلمين لتولى مناصب مهمة فى الدولة، ومستشارين ووزراء، وهذه الفترة من تاريخ مصر الإسلامى حافلة بالأحداث المتعلقة بمعاملة الدولة لأهل الذمة، كما أنها شهدت تطورات كثيرة فى هذا المجال، وكان لكل حاكم فاطمى سياسته الخاصة فى التعامل مع الأقليات، ففى حين كان كثير من الخلفاء متسامحين جداً، وواسعى الأفق بصورة كبيرة، كان الآخرون شديدى التعصب ومتحيزين، يتخذون إجراءات عنيفة وقاسية ضد الأقليات دون أى سبب قوى ومقنع، ومثال ذلك الحاكم بأمر الله فى بعض أطوار حكمه.

ومع ذلك فهناك نقطة مهمة تبرز من أى دراسة عن الأقليات فى تاريخ مصر الإسلامية فمعاملة الحكام لهم كانت تحكمها - فى الدرجة الأولى - حاجة هؤلاء الحكام للأموال بسبب نفقاتهم المتزايدة، ومن أجل الحصول على ذلك، اضطروا إلى تنفيذ سياساتهم لجمع الضرائب أو «الجزية» ولم تقاس الأقليات غير المسلمة - فى الأساس- بسبب التحيز الدينى فقط، ولكن من الضغوط المالية كذلك، وكان الفاطميون فى مصر يطمحون لتوسع نطاق دولتهم ودعم هيبتهم، ويهتمون ببناء المساجد والقصور والعيش بأسلوب مسرف لجعل القاهرة مركز جذب للمسلمين بدلاً من بغداد عاصمة الدولة العباسية وكانوا فى حاجة دائمة

للمال، وبالتالى يحتاجون إلى نظام إدارى قوى لجمع الضرائب، وتطوير وتنمية المصادر المالية للدولة، وأثبت الأقباط أنهم قادرون على تولى تلك المهام، وعلى استعداد للوفاء بها بكفاءة، وعندما فقد الفاطميون كل الأمل فى جذب السنيين إلى جانبهم، وتأكدوا من إمكانية الاعتماد على الأقباط والتعويل عليهم، وقدرتهم فى تدوين الحسابات، ووسائل جباية الضرائب أظهروا امتنانهم لهم بالتسامح تجاههم وتحسين أسلوب التعامل معهم.

وأثناء الحروب الصليبية، أظهر الأقباط – تحت حكم العباسيين – قليلاً من الحماس للأوروبيين، بل إنهم – على العكس من ذلك – اعتبروا هزيمة الصليبيين عقاباً من الرب بسبب هرطقة الكنيسة الغربية.. بل إنهم رفضوا إعداد الصليبيين بأنهم إنما كانوا يحاولون حماية الأقليات المسيحية، والأقباط من بينهم، وقد كان الأقباط مرتبطين – بصورة طبيعية – ومتعلقين بشدة بأصلهم وجذورهم القديمة طوال تقلبات التاريخ الإسلامى، ولم يفكروا فى الفرار من البلاد، على الرغم من العنف الطارئ والمعاملة الجائرة التى عاملهم بها بعض الحكام حين كانت سطوة الحاكم المستبد تشمل المصريين جميعاً أقباطاً ومسلمين.

وكان وضع الأقباط – أثناء الحروب الصليبية – حرجاً بسبب الخاصية الدينية للصدام، والاشتباه فى الولاء والشكوك التى سادت الدولة الإسلامية تجاه الأقليات فى تلك الفترة، وعلى الرغم من حقيقة أن الكنيسة القبطية لا تربطها صلات دينية قوية بالكنيسة الكاثوليكية الرومانية، وأن الأقباط لم يرحبوا

بالصليبيين، فإن بعض الأقباط قد راودتهم فكرة التعاون مع الصليبيين لإعادة إحياء دولة مسيحية فى مصر، وقد خلفت الحرب الصليبية وراءها حساسية تاريخية بين الإسلام والمسيحية على الرغم من أنها كانت بداية الصلة الثقافية والانفتاح الحضارى بين الشرق والغرب.

وأصبحت مصر، سنة ١٥١٧، ولاية خاضعة للإمبراطورية العثمانية تحت حكم السلطان سليم الأول الذى بعث إلى اسطنبول بعدة آلاف من أمهر المصريين فى كل المهن والحرف، كان من بينهم عدد كبير من الأقباط، وكانت أحوال الأقباط تحت الحكم العثمانى خاضعة للسياسات المتنوعة لمندوبى السلطان فى القاهرة، فقد كانوا - على سبيل المثال - مطمئنين فى ظل حاكم قوى هو على بك الكبير، لكن حكاماً آخرين قد طالبوا بمزيد من الأموال بإصدار قوانين ضرائبية جديدة خلقت معاناة عامة لدى الشعب المصرى، نال الأقباط جزءاً منها بحكم تميز وضعهم المادى بالنسبة لباقى المصريين فى ذلك الوقت.. ويمكن ذكر عدد من الشخصيات البارزة من بين الأقباط الذين لعبوا دوراً فى الحياة العامة، قبل ظهور مصر الحديثة، مثل المعلم رزق الذى كان رئيساً لكتبة الأقباط تحت حكم على بك الكبير، وقد خلفه - بعد وفاته - المعلم إبراهيم الجوهرى.

وقد تميز موقف الأقباط من الحملة الفرنسية برد فعل متحفظ تجاه سياسة نابليون، فقد وصل إلى مصر، مردداً الادعاء أنه قد قدم لمساعدة المسلمين ضد المماليك وتخليصهم من ظلمهم،

لأنه يحترم الإسلام كدين، وكحقيقة تاريخية، وقد اتهم الأقباط الفرنسيين بأنهم كانوا يبغون التخلص منهم، بالكف عن الاعتماد عليهم فى جمع الضرائب، ويبرر الكتاب الأقباط - الذين عالجوا ودرسوا تلك الفترة - نقدهم لسياسة نابليون، مثلما يشكو ميخائيل فى كتابه قائلاً:

«لقد جاء نابليون فى ١٧٩٨ إلى مصر غازياً ومعلناً نفسه فى الوقت ذاته حامياً للإسلام مدافعاً عنه».

وبعد ثورة القاهرة ضد الفرنسيين، تغير موقف الفرنسيين من الأقباط، كمحاولة منهم لكسبهم إلى جانبهم، وعندما طلب ثوار القاهرة الأمن والسلام، وافق كليبر على طلبهم، لكنه قرر فرض ضريبة إضافية على جميع السكان، باستثناء الأقباط والسكان غير المسلمين الآخرين.. وهناك نقطة مهمة، لم يتم حتى الآن دراستها بصورة مرضية: وهى التى تتعلق بالتعاون العسكرى بين الأقباط والغزاة الفرنسيين، والمعروفة باسم «حركة الجنرال يعقوب» أو الفيلق القبطى، حيث تعاونت مجموعة من شباب الأقباط بقيادة المعلم يعقوب مع الفرنسيين إلى حد أن اتخذوا لأنفسهم زياً عسكرياً مماثلاً للزى العسكرى الفرنسى، ولكن معظم الأقباط عارضوا سياسة الجنرال يعقوب، وأدانوها فى مناسبات كثيرة، كما أن الجنرال يعقوب لم يكن على علاقات طيبة مع البطريركية القبطية حتى لقد أشيع أنه دخل يوماً الكنيسة ممتطياً جواده شاهراً سيفه.

ومن ناحية أخرى، يرى عدد من الكتاب الأقباط فى حركة

الجنرال يعقوب أسلوباً وطنياً من نوع خاص، وينظرون إلى محاولة يعقوب باعتبارها المحاولة المصرية الأولى من أجل تحقيق الاستقلال عن السيادة التركية.

ويعتبر القرن التاسع عشر، ومجيء الحملة الفرنسية إلى مصر مرحلة انتقال من أوضاع القرون الوسطى فى الفكر والسياسة إلى بداية دولة عصرية فى مجال الزراعة والصناعة والإدارة الحديثة، وفى مجال التعليم أيضاً بحيث يمكن اعتبارها المولد الحقيقى للقومية المصرية، وتحديد شخصية المجتمع المصرى الحديث.. ولما كان محمد على يسعى إلى الاستقلال عن الإمبراطورية العثمانية فقد أولى الشخصية المصرية اهتمامه، وشجع إرهاصات القومية المصرية التى كانت فى الواقع ميلاد الدولة العلمانية فى مصر الحديثة، وبقدر ما حاول محمد على الاعتماد على العنصر المصرى فى مشروعات وخطط دولته من أجل خلق الدولة العصرية، فقد تأثرت سياسته تجاه الأقباط بصورة متوازية، مثال ذلك أنه لم يرفض قط أى طلب من أجل بناء كنيسة جديدة، وكان أول حاكم ينعم بلقب بك على قبطى، كما أنه منح الأقباط – علاوة على ذلك – جميع التسهيلات الضرورية للحج إلى الأراضى المقدسة.

وعندما تولى سعيد باشا السلطة فى البلاد، اعتمد سياسة تقوم على الاعتماد أكثر على العنصر المصرى، وخصوصًا «الفلاحين» وهيأ لهم فرص تولى مناصب فى الحكومة والترقى بالجيش، وكأنه يرغب فى الحد من المشاركة التركية فى جميع المجالات، وأزاح ـ فى النهاية ـ العقبة الأخيرة لتوحيد المجتمع

المصرى وتحقيق تكامله، عندما قرر السماح للأقباط بالخدمة العسكرية فى الجيش المصرى، وألغى ـ فى الوقت نفسه ـ فى سنة ١٨٥٥ ضريبة «الجزية» على غير المسلمين.

وكان المواطنون الأقباط ـ من ناحيتهم ـ يعيدون تشكل منظماتهم وهيئاتهم ويرفعون من أحوالهم بإنشاء المدارس الحديثة، كنتيجة لمشروع إصلاح الطائفة القبطية الذى يرتبط بالبطريرك سريال الرابع «١٨٥٤- ١٨٦١»، الملقب بأنه «أب الإصلاح» وقد كان لحركة الإصلاح التى قادها على أنها محاولة لرفع مستوى تعليم رجال الدين الأقباط عموما جذورها فى عصر سابق، ففى سنة ١٨٤٣، قام عدد قليل من مبعوثى جمعية الكنيسة التبشيرية Church Missionary Sciaty التى كان لها نشاط فعال فى مصر، بتحويل معهد لاهوتى تعليمى، أنشئ سنة ١٨٣٣، إلى معهد قبطى.

ونظم البطريرك سريال الرابع البطريركية وقسمها إلى إدارتين: تهتم إحداهما بالأوقاف القبطية، والأخرى بالمسائل الدينية والروحية، وأدى سريال بإنشائه مدرسة مجاورة للكاتدرائية، أعظم خدمة وأكثرها بقاء ودواماً للأقباط، فقد كان لدى الأقباط ـ قبل ذلك الوقت ـ نظام تعليم بدائى، يقوم على المدارس الريفية الصغيرة المشابهة «للكتاتيب»، فكانت مدرسة سريال «مدرسة الأقباط الكبرى» أول مدرسة تؤدى دورها على أصول وأسس تربوية سليمة.

وجذبت المدرسة عدداً متزايداً باستمرار من التلاميذ، ووجد

سريال أنه من الضرورى إنشاء مدرسة مماثلة فى منطقة قبطية هى «حارة السقايين» وتخرج فى هاتين المدرستين الكثيرون: وهم الذين كان عليهم أن يلعبوا دوراً مهما فى المجتمع القبطى، والمجتمع المصرى ككل مثل بطرس غالى باشا رئيس الوزراء والسياسى المؤرخ، ميخائيل عبدالسيد، مؤسس الصحيفة القبطية «الوطن».

وقدم إسماعيل باشا - الذى كان يحفزه هدفه لجعل مصر الحديثة قطعة من أوروبا - تأييده ودعمه المالى للمدارس القبطية وعين عدداً من القضاة الأقباط فى المحاكم، وأعطى الأقباط سنة ١٨٦٦ الحق فى أن يصبحوا أعضاء فى مجلس شورى النواب، أول برلمان مصرى، ومنذ ذلك الوقت ظهر إلى الوجود ما يمكن أن يسمى بالأمة المصرية، بالمفهوم الحديث، لتفرق وتميز بين المصريين المسلمين والأقباط، من ناحية، والأجانب الآخرين مثل الأتراك والأرمن من ناحية أخرى، وأنعم إسماعيل باشا - على سبيل المثال - بلقب الباشاوية، على أول مسيحى يحملها وهو الأرمنى نوبار.

وبعد وفاة سريال بعدة سنوات، ساد الفساد مجال النشاطات التعليمية القبطية، وعند وفاة خليفته ديمتريوس، آلت أمور الطائفة القبطية إلى النائب الأسقفى العام، وقامت مجموعة من الأقباط بتكوين «جمعية إصلاح» لمتابعة الإصلاح الطائفى، ومن أجل تحقيق إشراف أفضل على المسائل التى تهم الأقباط وقدمت الجمعية مذكرة إلى الأسقف مارك أسقف الإسكندرية

تطالبه فيها بقيام الكنيسة بمساعدة الفقراء، وتقديم المعونة والدعم للتعليم القبطى.

وأبدى رجال الدين المسيحى «الأكليروس» ـ الذين كانوا لا يواجهون أى تحد فى ذلك الوقت ـ قلقاً شديداً من هذا الاعتراض، واحتجوا ضده لدى الحكومة، ويبدو أن الحكومة كانت تشعر بقلق ـ إلى حد ما ـ من إنشاء الجمعية إلا أن هذا لم يؤثر فى الأعضاء الذين طالبوا بإنشاء «مجلس ملى» للمساعدة فى تدبير وإدارة الشئون المدنية للأقباط.

ووقفت الكنيسة القبطية فى وجه النشاطات التبشيرية البروتستانتية التى مارسها الأمريكيون والبريطانيون بإقدامهم على إنشاء مزيد من المدارس المصرية القبطية، وقد واجهت مصر الحديثة موجتين من البعثات المسيحية الأجنبية فى القرن التاسع عشر أولهما كانت من بريطانيا بعد هزيمة نابليون ١٨٢١، والأخرى من الولايات المتحدة الأمريكية عام ١٨٥٤، وقد نجح الأمريكيون فى استمالة عدد قليل من الأقباط وانشأوا منهم كنيسة مسيحية صغيرة، وقد واجهت هاتين البعثتين معارضة عنيفة من الكنيسة القبطية التى دافعت بغيرة وحرص عن شخصيتها المتميزة، ويمكن تبرير موقف الكنيسة القبطية ضد المبشرين المسيحيين الأجانب فى ضوء الاقتناع والإيمان الراسخين لدى الأقباط بأنهم شعب فريد يمتلك تاريخاً خاصاً، ومع ذلك، فإن أكثر العوامل أهمية فى تعزيز وتقوية الانطباع الذاتى للأقباط، كان اكتشاف الماضى، فقد أدى تطور اكتشاف

مصر الفرعونية وعملية إلقاء الضوء على روعة الحضارة المصرية القديمة إلى تجميع شمل الأقباط كى يعثروا على هويتهم الحقيقية كمصريين ذوى تاريخ طويل.

وتتوافر لدينا عن الحياة القبطية ـ أثناء القرن التاسع عشر ـ تفاصيل كثيرة تتركز جميعها حول حقيقة أن عملية إضفاء العصرية على الحياة فى مصر، وتحديث الدولة والتى بدأت أثناء الحملة الفرنسية، ونمت وتطورت فى عهد محمد على وخلفائه، أثرت بصورة عظيمة على حياة الأقباط ودورهم فى مصر، ومن ذلك أن محمد على عين بعضهم مثل المعلم جرجرس الجوهرى والمعلم غالى، فى مناصب حكومية رفيعة، ومنحهم سعيد باشا حق الالتحاق بالخدمة العسكرية، وأصدر «اللائحة السعيدية» الشهيرة التى أعطت للفلاحين حق امتلاك الأراضى.

وقد ورد فى تقرير قدمه «المجلس الملى العام للأقباط الأرثوذكس» عام ١٩٠٦، أن كنائسهم وأديرتهم كانت تمتلك حوالى ١٥ ألف فدان من الأراضى، وأن المساحة الكلية للأوقاف القبطية التى كانت تخص الأديرة والبطريركية، بلغت ٣٢ ألفاً و١٢٤ فداناً، وأنه لمن الصعب بمكان التوصل إلى تقييم دقيق فيما يتعلق بتطور الأوقاف القبطية، فقد كان هناك صراع مرير تدور رحاه طوال ثمانين عاماً بين رجال الدين الأقباط، والرهبان، والمجلس الملى، حول موضوع إدارة الأوقاف القبطية، وكان أحد الأهداف الواضحة التى من أجلها أنشئ المجلس

الملى عـام ١٨٧٤ هو أخـذ مـسـئـوليـة إدارة الأوقـاف من رجـال الدين،الذين كانوا لا يزالون يديرون شئونه حتى ذلك الوقت.

وقد كان لملكية الأراضى القبطية تأثيرها على دورهم وأهميتهم الاجتماعية فى مصر الحديثة وبعد ذلك بفترة من الوقت، عين الخديو إسماعيل أقباطاً فى السلك القضائى، وفتح أمامهم الطريق ليصبحوا أعضاء فى البرلمان، وقد ساعدت تلك التطورات الأقباط ـ ربما لأول مرة ـ منذ الفتح الإسلامى العربى، لدخول الحياة العامة، وأن يصبح لهم دور فعال على مسرح الحياة السياسية، ويمكن القول إن محمد على وخلفاءه قد خلصوا الأقباط من بعض مظاهر الماضى، وهيأوا لهم فرصتهم الأولى لإبراز دورهم فى الحياة العامة.

ويتعين هنا تأكيد عامل مهم يتعلق بتقييم الأقباط فى القرن التاسع عشر، ألا وهو نمو التعليم القبطى، فقد كان للكنيسة القبطية حركة موازية لحركة الإصلاح التعليمى فى الدولة منذ عصر محمد على، والتى كان من أبرز روادها رفاعة رافع الطهطاوى وعلى باشا مبارك، وكانا قد تأثرا بالحضارة الغربية، وكانا يعتقدان أن تقدم مصر يكمن فى طريق واحد، هو تطوير نظام التعليم، وفهم نظام الحياة الأوروبية، وقد ولد رفاعة الطهطاوى سنة ١٨٠١ ودرس فى الأزهر ـ وهو الأساس التعليمى المألوف للمفكرين المصريين من أجل تحصيل الثقافة والمعرفة حتى نهاية القرن التاسع عشر ـ ثم اختير الطهطاوى «إماما» لأول بعثة تعليمية إلى فرنسا سنة ١٨٢٦، وعاد إلى مصر وهو متأثر بطريقة الحياة المتقدمة فى أوروبا،

وبالطابع العصرى فى جميع المجالات، ووصف انطباعاته فى كتابه الشهير «تخليص الإبريز فى تلخيص باريز» وأنشأ مدرسة للغات الأجنبية «مدرسة الألسن» وأولى اهتماماً خاصاً لحركة ترجمة الكتب الأوروبية إلى العربية.

ويعرف على مبارك بأنه أبوالتعليم، وقد ولد فى سنة ١٨٢٤ وسافر إلى فرنسا فى بعثة تعليمية سنة ١٨٤٤ وبعد عودته إلى مصر، أنشأ «مدرسة المهندسخانة» كما تولى تنفيذ برنامج التعليم فى أيام عباس باشا، وفتح مدارس كثيرة بمستويات عدة، وفى مجال تخصصات مختلفة، ونشر كتابه الشهير «الخطط التوفيقية» كدائرة معارف محلية، وأصبح ناظراً للمعارف سنة ١٨٨٨، منتهزا تلك الفرصة لمواصلة مجهوداته من أجل الإصلاح التعليمى.

والطهطاوى ومبارك هما رائدا إضفاء الطابع العصرى على مصر فى القرن التاسع عشر، ويمثلان جيلاً أكبر بالنسبة لمحمد عبده وجماعته، وكانت مساهمتها - دون أدنى شك - ذات قيمة عظيمة لكل من المسلمين والأقباط فى إبراز الشخصية الثقافية لمصر الحديثة، وتعتبر المشاركة السياسية والاجتماعية للأقباط فى الحياة العامة بمثابة إعلان لمولد الدولة العلمانية فى مصر، وقد درس فى المدارس القبطية جيل من الأقباط والمسلمين، كان من بينهم مجموعة من السياسيين وزعماء الرأى العام المصرى ومنهم اثنان من رؤساء الوزارات تخرجا فى المدارس القبطية هما عبدالخالق ثروت، وحسين رشدى.

وقد ترقب الأقباط، وصول قوات الاحتلال البريطانى بحذر، وفى صيف سنة ١٨٨٢، أنزل البريطانيون قواتهم فى الإسكندرية وما لبثوا بعد ذلك أن ألحقوا الهزيمة بالقوات المصرية بقيادة عرابى، فى معركة التل الكبير، ورحب بعض الأقباط - الذين توقعوا قدوم عهد جديد من الحرية - بقدوم البريطانيين الذين ينتمون لأمة مسيحية وأدى الاضطراب الاقتصادى وعدم الاستقرار والفوضى - تحت حكم إسماعيل وتوفيق - وإعلان بعض الدعاة المسلمين أن الإسلام فى مصر يتهدده الخطر بسبب تزايد المشاركة القبطية فى المناصب الحكومية، إلى جعل الأقباط يتخذون موقفاً ودياً تجاه وصول البريطانيين.

واظهر الإحصاء الرسمى للسكان لسنة ١٨٩٧ أنه كان يوجد فى مصر ٦٠٨ آلاف قبطى فى ذلك الوقت، قليلون منهم كانوا كاثوليك، وعدد أقل من البروتستانت لكن العدد الأكبر كان ينتمى إلى الكنيسة القبطية الارثوذكسية.

ولم يشعر الأقباط بارتياح لفترة طويلة بعد الاحتلال البريطانى وكان السبب الرئيسى هو الموقف المخيب للآمال الذى اتخذه البريطانيون وخصوصًا كرومر تجاه الأقباط قبل ثورة ١٩١٩ بصفة خاصة، وكانت الفترة ١٨٨٢ حتى ١٩١٩ فترة حاسمة فى العلاقات بين المسلمين والأقباط وكان هذا راجعاً إلى عاملين رئيسيين: الطابع الإسلامى للحركة الوطنية المصرية، بقيادة الحزب الوطنى بعد إخفاق عرابى، عند نهاية القرن بصفة خاصة، فقد اعتقد الزعماء الوطنيون المصريون أن

سياسة إعادة السيادة التركية إلى مصر إلى ما كانت عليه فى السابق تعد سلاحا فى متناول أيديهم ضد البريطانيين ويرى بعض المؤرخين أن الحزب الوطنى لم يكن يعمل - فى الواقع - من أجل إنشاء دولة إسلامية شاملة، ولا كان يرغب كذلك فى إعادة السيادة التركية إلى ما كانت عليه فى مصر - على الرغم من التأييد التركى لمصطفى كامل - بل حاول الحزب فقط استغلال العلاقة مع تركيا فى الكفاح ضد البريطانيين.

أما العامل الثانى - فكان التنافس الذى نشب بين المسلمين والأقباط حول التعيينات لمناصب الدولة، وخصوصًا عند بدء الاحتلال البريطانى ويثير قرياقوص ميخائيل - الممثل البارز للأقباط فى لندن حتى وفاته سنة ١٩٥٦ - هذه النقطة قائلا: إن الظلم الذى لحق بالأقباط يعتبر مسألة جديدة على مصر الحديثة، حيث يذكر فى كتابه أنه يقال فى كثير من الأوساط إن الأقباط توقعوا المحاباة من البريطانيين - بحكم انتماء كليهما للمسيحية - والحقيقة أن الأقباط - كما يستطرد قرياقوص ميخائيل - لم ينتظروا أى معاملة خصوصًا من بريطانيا بسبب الدين، وأن كل ما توقعوه هو العدل والمساواة مع غيرهم من المصريين والواقع الذى حدث أنهم - أى الأقباط - قد فقدوا كثيرا من المواقع التى كانوا يمثلونها فى الإدارة الحكومية مع قدوم الإنجليز فى ١٨٨٢.

ولعل تقييم لورد كرومر للأقباط مهم وذو مغزى أن يقول فى كتابه: «إن القبطى قد أصبح من قمة رأسه إلى أخمص قدمه

فى عاداته ولغته وروحه كالمسلم تماما وقد نشر لورد كرومر آراءه بالتفصيل بعد ذلك عن موقف الأقباط تجاه البريطانيين حيث شعروا ـ الأقباط ـ بخطورة المنافسة مع المسيحيين الشوام الذين يلقون تأييداً من الإدارة البريطانية فى القاهرة».

ولا يمكن إنكار مساهمة السوريين فى دعم وتقوية النزعة والاتجاه الثقافى فى مصر الحديثة، فقد ساعدوا فى صياغة الليبرالية العلمانية فى مصر، ومن الممكن أن نورد بعض الأمثلة على دورهم النشط الفعال فى المجالات والميادين المختلفة، مثل الإنتاج الأدبى العربى، والصحافة، والحركة المسرحية، وكتب جورجى زيدان، مؤسس دار الهلال، روايات تاريخية كثيرة مشهورة تتعلق بالعصر الإسلامى، وأصدر فرح أنطون مجلة «الجمعية» كنافذة على الحياة الغربية، وكان يعقوب صروف رئيس تحرير «المقطم» يهتم بالدراسات العلمية التى كان يبسطها للقارئ العربى، وأولى أمين معلوف مزيدا من الاهتمام لعلم اللغة وهناك العديد من السوريين الذين كانوا رواداً فى مصر الحديثة خصوصاً فى مجالات الكتابة والصحافة والمسرح وكان معظمهم مسيحيين من لبنان، حيث لم يكن ميلاد الليبرالية العلمانية فى مصر نتاج تكوين الأحزاب السياسية المصرية فى مطلع هذا القرن فقط، ولكن أيضاً كان لدور السوريين ـ وأغلبهم من المسيحيين ـ تأثيره فى دعم ذلك التيار.



محمد البرادعى

في السنوات الأخيرة من حكم مبارك ظهر البرادعى.. في مصر بعد أن كان خبراً في نشرات الأخبار وحول ما يجرى في العراق وقت أن كان رئيساً لهيئة الطاقة الذرية.. المصريون رغم معرفتهم بعملية الدجل الأمريكى حول العراق.. كان أغلبهم ينظر إلى الرجل بعين الاعتبار وبعد حصوله على جائزة نوبل وتكريمه في مصر.

ومع ارتفاع الأصوات المطالبة بوقف عملية التوريث.. تجدد ظهور البرادعى وكان قد انتهى من خدمته الدولية.. وأصبح متفرغاً.. ورأى فيه البعض نموذجاً لرجل دولة يمكن أن يحل محل مبارك إذا ما وقع التغيير المنشود ولو بعد حين ومع قيام يناير ٢٠١١ بدخول ميدان التحرير محاطاً بالمحاسيب والمريدين.. وبعد ثورة ٣٠ يونيو تم إسناد مسئولية نائب رئيس الجمهورية إليه وتوقعت الغالبية أن يسهم الرجل الليبرالى بضخ دماء ديمقراطية جديدة في شرايين الوطن.. لكنه خذل الجميع وأعلن الفرار في فترة من أحرج فترات البلاد.. بحجة أنه ضد فض اعتصامى رابعة والنهضة بالقوة.. متجاهلاً حروب

الإخوان ومن معهم ضد مؤسسات الدولة وخروجهم بالسلاح يطالبون بشرعية أوهموا أنفسهم أنها من عند الله.

هرب البرادعى بطريقة أقل ما توصف بها أنها مخزية وفاضحة ولا تليق برجل صنع محاسيبه حوله هالات وأساطير.. اتضح أنها مجرد أكاذيب وأوهام.. وهنا لم أجد أفضل من شهادة الإعلامى الكبير حمدى قنديل فى مذكراته التى نشرها بعنوان «عشت مرتين» فى فصل كامل خصصه للبرادعى الذى خذل الثورة وقال فيه: عدت من لندن إلى القاهرة فى أغسطس ٢٠٠٩ بعد خمس سنوات من الإقامة فى الخارج، معظمها فى دبى.. كنت دائماً على صلة بكل ما يجرى فى مصر من أحداث، كما أننى لم أنقطع عن زيارتها بانتظام.. لكننى تبينت بعد ذلك أن الإقامة شىء مختلف.. أصبحت داخل الفرن، وسط الناس.

بعد أيام اتصلت بى إنجى حمدى، الوجه البارز فى حركة ٦ إبريل، تطلب زيارتى مع مجموعة من أعضاء الحركة للحديث حول المؤتمر الذى نظموه على الإنترنت تحت الشعار الساخر «القلة المندسة»، فكشفت لى زيارتهم عن الغليان الذى كان يفور فى صدور الشباب.. وسجلت لهم يومها كلمة لتبث فى المؤتمر، قلت فيها إن المأزق فى مصر لا يمكن الخروج منه سوى بصياغة دستور جديد، وقيام جمهورية برلمانية، وانتخابات نزيهة تفرز نواباً صالحين ورئيساً تختاره الأمة بشكل نزيه وحر.. كانت مصر كلها، كما رأيت فى تلك الأيام، تتحدث عن المأزق، الأزمة، المخرج والمصير.

تأكد لى أيضاً هذا بعد أن لبيت دعوة الدكتور عبد الحليم قنديل لحضور حفل توقيع كتابه «كارت أحمر للرئيس» فى نقابة الصحفيين.. عبدالحليم قنديل واحد من أشرف رجال مصر الذين وقفوا ضد السلطان الجائر، لذلك ذهبت إلى حفله بشغف، وهناك وجدت جمهوراً كبيراً يزدحم على الأبواب بعد أن قررت النقابة منع إقامة الحفل فى القاعة الكبرى بالطابق الرابع، على الرغم من أن الدعوة موجهة من لجنة الحريات بالنقابة.. تجمع الكل فى ساحة الاستقبال بالطابق الأرضى، وكان المكان حاشداً بشباب الصحفيين وأقطاب العمل الوطنى، وكذلك أعضاء حركة «كفاية»، إلا أن ما أقلقنى ليلتها هو ما سمعته عن الانشقاقات التى حدثت فى الحركة بسبب انتخابات المنسق العام.

بادرت بالاتصال بالدكتور عبدالجليل مصطفى والدكتور عبدالحليم قنديل والدكتور صلاح صادق، واجتمعنا فى بيتى مرتين على مدى ساعات نحاول رأب الصدع، ولكن ذلك كان عسيراً.. كانت علاقتى بالدكتور عبدالجليل قد بدأت تتوثق عندئذ، وكان زميل طب قديماً وجاراً لى فى مصر الجديدة، وكنت أقدره تقديراً خاصاً لما عرف عنه من حزم ورؤية واستقامة فى إدارته لمستشفى السلام الدولى عندما تعثر فى التسعينيات.. كلمنى بعدها بأيام وقال إن هناك أستاذاً فى الطب اسمه أشرف بلبع بادر بجمع عدد من المثقفين لإعلان حركة باسم «نهضة مصر»، بالرغم من أن أهداف الحركة فضفاضة فإن الرجل مخلص، وقد استطاع أن يجمع حول

مبادرته أسماءً ثقيلة الوزن مثل د. جلال أمين ود. يحيى الجمل والسفير إبراهيم يسرى ود. حسن نافعة ومحفوظ عبدالرحمن وعبدالغفار شكر وشاهندة مقلد ود. محمد السعيد إدريس.. شجعتنى الأسماء على الذهاب إلى الاجتماع الذى عقد بالمعادى فى مكتب د. سمير عليش مؤسس حملة «صوتى مطلبى»، وكان الاجتماع قد خصص لانتخاب الهيئة التأسيسية للحركة، وهناك وجدت أصدقاء آخرين مثل أبو العلا ماضى والسيد الغضبان وجورج إسحق وغيرهم.

منذ ذلك اليوم لم أنقطع عن اجتماعات الحركة، وأخذت الأهداف تتبلور والأعضاء يتزايدون.. وعندما تمثلت فى المجموعة معظم الشخصيات الوطنية البارزة بعد بضعة أشهر، وجدنا أن اسم «جماعة العمل الوطنى» يليق بها بجدارة، وأظن أننى كنت واحداً من هؤلاء الذين ساهموا فى صياغة أهداف للجماعة أكثر وضوحاً وأكثر حدة فى مناداتها بتغيير جذرى للنظام فى مصر، وهكذا انتخبت فى فبراير ٢٠١٠ منسقاً للجماعة.

اتسعت دائرة اتصالاتى مع مرور الوقت، وكان طبيعياً أن توجه لى دعوات من جمعيات وهيئات مختفة لأحدثها فى الشأن العام بعد غيابى الطويل عن مصر، ويبدو أن هذا أقلق السلطة فألغى نادى الجزيرة ندوته التى كان قد دعانى إليها بحجة «الاستعدادات لاحتفالات عيد الأضحى» على الرغم من أنه كان لا يزال هناك أسبوعان حتى يحل العيد، وتجاهلت وزارة الإعلام دعوتى للمهرجان السنوى للإعلام العربى.. يحكى أنه

فى إحدى جلسات اللجنة العليا للمهرجان، وكانت مخصصة لترشيح الشخصيات الإعلامية التى تستحق التكريم، رشحنى الكاتب الكبير محفوظ عبدالرحمن، فساد الوجوم القاعة وإذا بأنس الفقى وزير الإعلام يقطع الصمت قائلاً: «ترشيح ممتاز.. فعلاً الأخ حمدى الكنيسى يستحق التكريم».. وهكذا كان.

حرصت أيضاً على المشاركة فى عدد من الندوات فى نقابة الصحفيين التى كانت المكان الوحيد الآمن للأنشطة السياسية فى قاعاتها ووقفات الاحتجاج على سلالمها.. إحدى هذه الندوات كان عنوانها «مستقبل الديمقراطية فى مصر»، وكان الهدف منها تعزيز التحالف بين القوى السياسية لمواجهة التوريث وإنجاز التغيير.. شارك فى الندوة الدكتور حسن نافعة منسق «الحملة المصرية ضد التوريث»، وكنت ألتقى به بين الحين والآخر فى مناسبات مختلفة، وكان الوحيد بين من أعرفهم الذى يتصل به الدكتور محمد البرادعى بانتظام.

كنت كغيرى مهتمًا فى ذلك الحين بتصريحات البرادعى فى الخارج، خصوصاً عندما أعلن فى CNN أنه يعتزم خوض انتخابات الرئاسة المقررة فى ٢٠١١ إذا ما رفعت القيود الدستورية على الترشيح.. وكانت المعارضة وقتها تبحث عن شخصية مرموقة يمكن أن يلتف حولها الشعب إذا دخلت الانتخابات الرئاسية بحيث نضع نهاية لحكم الفرد الذى استمر ثلاثين سنة، وكنت أرى أن البرادعى هو الشخص المناسب، خصوصاً أن حركة التغيير كانت فى حاجة إلى رمز لا يختلف

حـوله الناس كـثيـراً، وكنت أعـرف تمامـاً أن هذا الرمـز لابد أن يأتى من خـارج القوى السـياسـية القائمـة التى يسـتحيل عليـها الاتفاق على شخصية تنتمى إلى إحداها. ثم إن البرادعى كانت لديه الشـجاعـة ليطرح نفسـه ندًا لمبارك أو لابنه جـمـال فى انتخابات الرئاسة.

حاولت الصحف القومية تلويث سمعة البرادعى بأكبر قدر من البـذاءات والشـائعـات، من بينـهـا - مـثـلا - أنه حـاصل على الجنسية النمساوية، ولكننى تحققت من كذب هذه الشائعة.. أما الشائعة الأخرى أنه عميل للولايات المتحدة وأنه هو الذى أعانها على غـزو العـراق عندمـا قـام مع وزير الخـارجـيـة السـويدى السـابق هـانز بليكس بالتـفـتـيش على الأسلحـة الكيمـاوية والبيولوجية العراقية، فلم تكن تقوم على أساس، إذ كان تقديرى أن البرادعى لم يعمل عمداً لحساب الولايات المتحدة، ولكنه مع بليكس اتخـذا مـوقـفـاً مـائعـاً ومـاطلاً طويلاً فى الكشف عـمـا توصلا إليه من حقائق تؤكد أن العراق تعا ون مع المفتشين الدوليين، وتؤكـد أيضـاً أنه لا دليل على مـعاودة العـراق العمل بأنشطة تسليح محظورة، كما أنهما لم يتقدما بتقريرهما إلى مـجلس الأمن إلا بعـد ثلاثة أيام من بدء العـدوان.. نعم، تقـصـيـرهـمـا كـان واضـحـاً، لكنه لم يكن يرقى فى نظرى إلى التواطؤ مع الغزاة.

شـجـعنى على الانجـذاب نحـو الدكـتور البـرادعى أيضـاً ألوف الشباب الذين انتظموا فى حملة سموها «البرادعى رئيساً لمصر

فى ٢٠١١» نشطت على نحو غير معتاد على شبكات التواصل الإلكترونى، وكان الدكتور عبدالجليل مصطفى كثيراً ما يحدثنى عن نقـائهم وحـمـاسـهم.. وهكذا قـررت الذهاب إلى المطار لاستقبال الدكتور البرادعى يوم الجمعة ١٩ فبراير ٢٠١٠.. فاق الاستقبال فى المطار كل التوقعات الرزينة.. لم يكن أكثرنا تفاؤلا يعتقد أن عدد المستقبلين سيصل إلى بضع مئات، خصوصاً أن الأمن كان قد اعتقل قبلها بيومين بعضاً من شباب حركة ٦ أبريل، ووجه لهم تهمة أثارت الاستهجان والسخرية هى محاولة قلب نظام الحكم، لمجرد أنهم حاولوا لصق إعلانات تدعو لانتخاب البرادعى رئيساً.. وفى صباح الجمعة خرجت معظم الصحف تحمل أخباراً كالإنذار تحذر المستقبلين من أن السلطات ستتعامل بقسوة مع أى تجمهر، وأن رجال الأمن سينتشرون حول المطار وفى الطرق المؤدية إليه، بعضهم بالملابس الرسمية وآخرون من بلطجية الكاراتيه فى ملابس مدنية.

مع ذلك فقد تجمع نحو ثلاثة آلاف شخص من كل الفئات فى المطار، معظمهم كانوا من الشباب، ولكننى رأيت هناك أيضاً الدكتور محمد أبو الغار والدكتور عبدالجليل مصطفى والدكتور علاء الأسوانى وجورج إسحق وعبدالخالق فاروق وسكينة فؤاد والفنان خالد أبو النجا والمخرج خالد يوسف والمستشار الخضيرى وعديداً من الوجوه السياسية والثقافية البارزة.. تأخرت الطائرة نحو ثلاث ساعات، وعندما استطاع الرجل أن يجد طريقه بين الجموع التى تدافعت تجاهه، فوجئت به يستقل

سيارته وينطلق بها وسط الشباب الذين كانوا قد قضوا ساعات في ساحة المطار ينادون باسمه، فلا تتوقف السيارة لحظة لتحيتهم، وإنما تنطلق بسرعة حمقاء لا تمكنه من أن يطل عليهم من كرسيها الخلفي وراء الزجاج المغلق.

كتبت عن هذا المشهد في مقال نشر بعد وصول البرادعي بيومين، وقلت إنه بينما كان الهتاف لا يزال يرن في أذني: «عشان الجموع مفيش رجوع يا برادعي» كان البرادعي يعد للعودة من حيث أتى بعد قرابة أسبوع ليلقي محاضرات ويشهد مؤتمرات التزم بحضورها من زمن، وأضفت أن البرادعي عليه أن يعلن موقفه بوضوح.. «التردد يصيب السياسي في مقتل.. الناس لا تسير وراء زعيم إلا إذا رأوا فيه ملامح الاقتحام والتصميم واضحة، واستمعوا إلى إجابة حاسمة عن سؤالهم عن الخطوة القادمة.. البطاريات التي شحنت يوم المطار يجب ألا تترك حتى تفرغ».

في ٢٣ فبراير استضاف الدكتور البرادعي ممثلي كل القوى الوطنية وعدداً من الشخصيات المستقلة في منزله في اجتماع كان قد أعد له د. حسن نافعة، وغاب عن الاجتماع حزب التجمع وكذلك حزب الوفد وإن كان قد حضر المستشار مصطفى الطويل الرئيس الشرفي للحزب، أما الإخوان المسلمون فمثلهم الدكتور سعد الكتاتني رئيس كتلتهم البرلمانية، وفي حين تغيب الحزب الناصري عن الاجتماع، فقد حضره ممثلا حزب الكرامة حمدين صباحي وأمين إسكندر.. كنا نحو ثلاثين شخصاً، وكانت هذه أول مرة ألتقي فيها البرادعي.

لم أنبهر بالرجل على النحو الذى كنت أظنه.. ربما ما شدنى إليه قبل ذلك أفكاره الشجاعة، ولا شك أن منصبه الدولى أضاف رونقاً خاصاً زاد بريقه مع جائزة نوبل. أما يوم الاجتماع فقد بدا البرادعى كما لو كان مرهقا أو أنه كان متعجلاً للانتهاء من طقوس اللقاء بنخبة بدا أنه لا يحمل لها تقديراً خاصاً، وربما كان يرى أنها أسهمت فى انهيار أوضاع البلد إلى ما آلت إليه.. مع ذلك فقد ضبطته عدة مرات وهو يصغى للمتحدثين الذين اضطر إلى سماعهم جمعياً، وأظن أنهم فى مجملهم أبلوا بلاءً حسناً فى عرض أفكارهم بإيجاز لم يعتادوا عليه، لكن السؤال الذى بدا محلقاً فى القاعة طوال الوقت هو: ماذا بعد؟ أذكر يومها أن علاء الأسوانى وعبدالخالق فاروق بالذات دفعا بوضوح إلى ضرورة قيام كيان يضم كل هذه القوى التى نادراً ما اجتمعت على هذا النحو، أما أنا فقد أثرت التركيز على أن يكشف البرادعى عن نواياه ومدى عزمه على مواصلة السير فى طريق التغيير، وقلت: «أخشى أن نراك تترك الساحة ونحن فى منتصف الطريق».

انتهت المناقشات بعد نحو أربع ساعات لم يفصح فيها البرادعى عن شىء جديد خلاف ما كان يقوله فى وسائل الإعلام الغربية، لكن الجو الذى كان مشحوناً بالحماس ضغط لكى يسفر الاجتماع عن نتيجة ملموسة، وهكذا توصل المجتمعون إلى ضرورة تأسيس جمعية وطنية للتغيير يعلن البرادعى قيامها، وقام عصام سلطان بكتابة بيان مختصر، ولكن البرادعى تردد كثيرا قبل أن يمتثل للضغوط ويوافق على

أن يعلن قيام الجمعية بنفسه، وأكد أن ذلك لا يعنى أنه رئيسها.

فى الأيام التالية بدأ البرادعى يباشر بنفسه وضع تصور لخطة عمل الجمعية وآليات تنفيذها، وعقد اجتماعاً مطولاً لهذا الغرض مع حسن نافعة ود. أبو الغار ود. الأسوانى، ثم سافر.. كان سفره صدمة كبيرة لكل من تجمعوا حوله على الرغم من أنهم كانوا يعلمون برحيله منذ مجيئه، ولكن الدكتور حسن نافعة حاول قدر طاقته أن يمسك بالزمام ويحافظ على الكيان الوليد.. أما أنا فكان وقتى كله مكرساً للاستعداد لإعلان ميلاد جماعة العمل الوطنى.

لكننا كنا قد واجهنا أزمة فى الليلة السابقة على إعلان البيان، إذ كنت أرى أننا سنربك الرأى العام بإعلان مولد جماعة سياسية جديدة، فى حين أن عدداً ليس بالقليل من أعضائها كانوا قد شاركوا قبل ذلك بأسابيع معدودة فى مولد الجمعية الوطنية للتغيير، وكنت على يقين أن السؤال سيثار: لماذا كيان جديد؟ بحثت الأمر بالفعل مع بعض الزملاء فارتأينا أننا بذلنا جهداً فى قيام جماعتنا استمر عدة أشهر تآلفنا خلالها وأجمعنا على أهداف محددة، وكنا نرى أيضاً أن الجماعة تضم أفراداً مستقلين فى حين أن الجمعية تشكلت من ممثلى أحزاب وجماعات تنتمى إلى تيارات مستقلة متباينة ومتعارضة أحياناً، ثم إن البعض آثار أن الجمعية الوطنية يبدو أنها قامت على أساس الالتفاف حول شخص، فى حين أن ذلك لم يكن حالنا..

كنت مقتنعاً تماماً بالموقف الذى انتهينا إليه، ومع ذلك فعندما

جاءت الليلة السابقة على إصدار البيان كان كل ما يساورنى أن هذا الطرح لن يصل إلى أذهان الجمهور بسهولة، أن الصورة الصحفية ـ التى يعتمد عليها الجمهور العام فى استقاء المعلومة وتكوين الرأى ـ ستربك الكثيرين الذين رأوا منذ أسابيع بعضنا ونحن ملتفون حول البرادعى، وها هى اليوم صورة أخرى لهؤلاء أنفسهم وهم يعلنون عن قيام فريق خاص بهم.. وهكذا توصلت إلى أنه من الضرورى عند إعلان جماعة العمل الوطنى أن نعلن أيضاً انضمامنا إلى الجمعية الوطنية للتغيير، واختلف معى عديدون ليلتها، وكان فى مقدمتهم أبو العلا ماضى ومنار الشوربجى، ولكنهم أمام إصرارى قبلوا على مضض، وشاركوا جميعا فى حفل الإعلان عن الجماعة.

ويواصل حمدى قنديل فى مذكراته فيقول:

كنت أظن أننا سوف نحافظ على كياننا فى إطار الجمعية الوطنية، مثلنا مثل الأحزاب والجمعيات الأخرى، لكننا لم نستطع ذلك لأسباب مختلفة، بينها أننا كنا لا نزال كياناً وليداً هشاً وسط أحزاب وهيئات عريقة، وبينها أيضاً أنه لم تكن لدى العزيمة الكافية للانغماس فى العمل السياسى، كذلك كنت قد استغرقت فى بعض أنشطة الجمعية الوطنية التى كنا قد قررنا القيام بها فى البدايات، فى مقدمتها جمع التوقيعات على وثيقة التغيير بمطالبها السبعة، التى قام بالجهد الأكبر فيها الحملة المستقلة لدعم ترشيح البرادعى للرئاسة ومنسقها الشاعر عبدالرحمن القرضاوى كذلك زرنا طبيب الفيوم طه عبدالتواب

فى مستشفى سنورس الذى كان يتلقى فيه العلاج بعد تعرضه للتعذيب فى مقر مباحث أمن الدولة، بسبب مشاركته فى مؤتمر شعبى تأييداً للدكتور البرادعى.. وكانت هذه المرة الأولى التى ألتقى فيها الباحث الأديب الدكتور عمار على حسن.

وفى أواخر مارس ذهبت إلى الدوحة مدعوا فى منتدى لمكافحة الاتجار بالبشر.

وصلت إلى الدوحة فى الوقت الذى وصل فيه الدكتور البرادعى من رحلته التى استغرقت شهراً.. ذهبت بين من ذهبوا إلى منزله.. يومها اتفقنا معه على توزيع العمل بيننا فى لجان يعين لكل منها مسئول، فأصبح الدكتور عبدالجليل مصطفى مسئولاً عن الاتصال والتوقيعات على بيان الجمعية، والدكتور أبو الغار مسئولاً عن المصريين فى الخارج والدكتور محمد غنيم وجورج إسحق مسئولين عن لجان المحافظات، والمستشار الخضيرى مسئولاً عن اللجنة القانونية، وعصام سلطان مسئولاً عن مساندة الأعضاء، أما أنا فكلفت بأن أكون المتحدث الإعلامى للجمعية.. وعندما أعلن الدكتور البرادعى هذا الهيكل التنظيمى للصحفيين كان أول سؤال وجه له لماذا اختار هؤلاء المسئولين بالتعيين وليس بالانتخاب، وكان رده أن هذه تكليفات وليست مناصب، وأنها مؤقتة، وأن من حق أعضاء الجمعية جميعاً محاسبة من تولوا المسئولية، وأعلنت أنا أن مهمتى لن تستمر أكثر من ثلاثة أشهر يتم بعدها تولى مسئولين جدد لجنة الإعلام، وأن كل المسئولين فى الجمعية متحدثون باسمها، وأن هذا ليس وقت الحديث عن مناصب.

بعد أن التقينا بالصحفيين انتحيت بالدكتور البرادعى جانباً.. قلت: «يا دكتور محمد أنت تعلم بالطبع أننى ناصرى، ولكن ما سأحدثك فيه الآن لا ينطلق من هذه الخلفية، فقد عاهدنا أنفسنا جميعاً أن نطرح جانباً معتقداتنا السياسية ونعمل أولاً على إحداث التغيير.. لقد قرأت اليوم حديثك فى جريدة المصرى اليوم، ويؤسفنى أنك ذكرت فيه معلومة مغلوطة هى أن عبدالناصر دفن الإخوان المسلمين أحياء فى سنة ١٩٦٧.. هذا أولاً غير صحيح، لكن الأهم من ذلك أن نشره سوف يستعدى الناصريين، ونحن لا نريد استعداء أى فريق سياسى بينما نعمل على تجميع الكل حول أهداف الجمعية».. طمأننى الدكتور البرادعى أنه سيراعى ذلك فى المستقبل.

فى اليوم التالى نزل البرادعى إلى الشارع لأول مرة ليصلى الجمعة، وبعد أن طاف بشارع المعز توجه للصلاة فى مسجد الحسين، وعند خروجه تدافع الناس لمصافحته، وهتف المئات من الشباب الذين تجمعوا حوله: «التغيير التغيير». كنا نظن يومها أن احتكاكه بالناس سيدفعه للنزول إلى الشارع واللقاء بالجماهير، إلا أن استقباله فى الحسين لم يثمر سوى عن افتتاحه لحسابه الشهير على «تويتر»، وكنا قد لاحظنا قبل ذلك أنه وجه شكره للشباب الذين استقبلوه فى المطار من خلال رسالة فى «فيس بوك»، أما عندما أعلن عن حضوره مؤتمر «الحملة الشعبية لدعم البرادعى» فى ١٧ ديسمبر ٢٠١٠، فقد غاب عن المؤتمر، وفسر غيابه بمرض والدته، وألقى كلمة فى المؤتمر عن طريق الموبايل.. منذ اليوم الأول كان البرادعى

يتحدث إلى الناس عن بعد، وكان غرامه بشبكة الإنترنت واضحاً، وكانت هى وسيلته الأولى للاتصال بمؤيديه بل وبأقرب معاونيه أيضاً، وعندما أبلغناه اندهاشنا لسفره بعد أيام من استقباله الحماسى فى المطار كان رده جاهزاً: «الإنترنت ألغت المسافات»، وكان يكرر هذا الرد كلما سافر.

أما أثناء وجوده فى القاهرة فكان برنامجه مزدحماً بلقاءات وفود من مختلف الطوائف، ومن الشباب خاصة، لكنه لم يعقد مؤتمراً جماهيرياً واحداً.. لم أستطع وقتها أن أجزم بالسبب فى ذلك، هل لأنه ينفر من الجماهير، أم لأنه يخشاها، أم لأنه يحتقرها؟ لم أكن قريباً منه بالقدر الذى يمكننى من التعرف على ما فى داخله، ولم أحضر غالبية الاجتماعات التى كان يعقدها، من ناحية لأننى لم أكن أرى أن هذا ضرورى، ومن ناحية أخرى لأن منزله فى أقصى القاهرة من الغرب بينما أنا أسكن فى أقصى شرقها فى مصر الجديدة.. حضرت اجتماعات محدودة، من بينها مثلاً اجتماعه مع الفنانين، فذهبت مع نجلاء، وهناك لاحظت أن معظم الحاضرين كانوا من المخرجين مثل توفيق صالح ومجدى أحمد على وعلى بدرخان وداود عبدالسيد وخالد يوسف وكاملة أبو ذكرى وهالة خليل، أما الفنانون فلم يكن هناك منهم سوى بسمة وخالد أبو النجا، لكن النجوم الكبار الذين اعتادوا أن يدللهم مبارك غابوا كما كان متوقعاً.

ازدحم الصحفيون يومها حول منزل البرادعى لالتقاط الصور، ولكن على البرادعى ـ شقيق الدكتور البرادعى الذى كان يرافقه

على الدوام ـ لم يسمح بدخولهم سوى فى الدقائق الأخيرة، فانتهزت الفرصة يومها لأقول للدكتور البرادعى إن الصحفيين يأتونه كل يوم، وإنهم ينتظرون بالساعات ليقتنصوا لقطة مصورة أو خبراً جديداً، وأنه لا يوجد فى «الكومباوند» الذى يسكنه مقهى أو حتى كشك سجائر حتى يتناولوا منه شيئاً، بل إنه ليس هناك رصيف يجلسون عليه.. وقلت إنه يجب أن نعاملهم معاملة أفضل، وأن نعد لهم بعض الكراسى حتى ولو فى جراج الفيلا، ونقدم لهم مرطبات بين وقت وآخر، وذكرته بالمؤتمرات الصحفية للرؤساء الأمريكيين وكيف أن الرئيس يعرف صحفيى الرئاسة فرداً فرداً، ونصحت بأن يخالط الصحفيين قليلاً، خصوصاً أنهم شبان يؤمن معظمهم بالتغيير.

كنا كثيراً ما نتندر فيما بيننا وقتئذ بقصة سائق المستشار الخضيرى الذى كان يتأفف اذا ما علم أنه سيقل المستشار من الإسكندرية إلى القاهرة ليقابل الدكتور البرادعى، شاكياً أنه عندما يذهب إلى هناك فهو عادة ما يحتاج إلى واسطة للحصول على كوب من الشاى.. ولكننا ونحن نتندر على ما فى الأمر من طرافة كنا نعرف دلالته، وهى أن الدكتور البرادعى ومن حوله لم ينجحوا فى التواصل الإنسانى مع من يترددون عليهم، بل إننا نحن المسئولين فى الجمعية، الذين سمتنا الصحف «أمناء سر البرادعى» أو «حكومة الظل»، لم يعرض علينا مرة إذا ما تأخر اجتماعنا لديه فى المساء أن نتناول سندويتش فول أو نذهب إلى مطعم قريب نتناول فيه عشاءنا معاً.. لم نجد فى طباعه أى لمسة شرقية.

الأهم من سندويتش الفول أن لا أحد منا كان يستطيع أن يتصل بالبرادعى مباشرة، فقد احتفظ برقم هاتفه سراً على الجميع، وكان الطريق الوحيد للاتصال محصوراً فى شقيقه على البرادعى الذى يلازمه كظله، نقول له ما نقول وننتظر الرد أيضاً من خلاله، أما إذا كان هناك أمر عاجل فلا سبيل لابلاغه سوى من خلال البريد الإلكترونى، وكنا نكظم غيظنا، آملين مع مرور الأيام أنه سوف يدرك أن هذا الأسلوب لا يليق مع القامات التى التفت حوله.

تناسينا مثل هذه الملاحظات تقديراً لدور الرجل فى «تحريك المياه الراكدة» كما كان يقال عندئذ، كما أننا كنا أيضاً فى أوج الانشغال بمهمتنا التى كرسنا لها أنفسنا.. وقتها كنا نستعد لزيارة الدكتور البرداعى الأولى للأقاليم فى أوائل أبريل، وكانت للمنصورة.. كان القصد المعلن هو زيارة الدكتور غنيم فى مستشفى الكلى، وهكذا ذهبنا إلى هناك ومعنا نحو مئة من الشباب يرتدون قمصاناً تحمل صورة البرادعى، ولكن رئيس الجامعة منع الدخول سوى لخمسة أشخاص فقط.. تجمع عدد كبير من أهالى المنصورة حول المستشفى ليتجهوا بعد ذلك لأداء صلاة الجمعة مع البرادعى فى مسجد الشيخ حسانين أكبر مساجد المدينة، لكننا علمنا أن تعليمات صدرت من الحزب الوطنى لأعضائه بالصلاة فى المسجد لمنعنا من دخوله، فنصح الدكتور غنيم بالتوجه إلى مسجد «النور» القريب من مستشفاه.. وعندما علمت القيادات الأمنية بذلك قررت استبدال الخطيب بخطيب آخر أخذ يتحدث عن طاعة ولى الأمر، فاحتج عصام سلطان بصوت عال وخرج ثم عاد للصلاة، وحدث هرج

ومرج، وأخذ كثير من المصلين يهتفون: «اللهم انصرنا» حتى أقيمت الصلاة.

أذكر أننا عندما خرجنا من المسجد قررنا أن نسير فى مظاهرة، فحملنى عبدالخالق فاروق على كتفيه وأخذت أردد مع الشباب هتافاتهم، وكانت أول مرة فى حياتى أشارك فيها فى مظاهرة على هذا النحو.. تجمع حولنا عدة ألوف تقدمها البرادعى، والتهب الحماس.. كنا ننوى أن نطوف بعدد من الشوارع، إلا أن الرجل سرعان ما أصيب بالإرهاق فأخذه البعض للراحة فى مدخل إحدى العمارات، واكتفينا بزيارة مكتبة «بوك آند بنز» لنحيى الدكتور أشرف وجدى الذى كانت شرطة المصنفات الفنية قد اقتحمت عليه مكتبته قبل عدة أيام عندما قام بجمع التوقيعات على بيان الجمعية.. لم تقتصر مظاهر التأييد على مدينة المنصورة، ولكنها بدت واضحة أيضاً عندما توجهنا إلى قرية مجاورة لحضور مؤتمر شعبى نظمه رأفت سيف نائب رئيس حزب التجمع أمام منزله.. هناك واجهتنا مفاجأتان، أولاهما أن الخطبة التى ألقاها البرادعى كانت باهتة للغاية، أما المفاجأة الثانية فكانت صدور بيان من حزب التجمع يعلن أن الزيارة شخصية وأنه لا علاقة لها بالحزب.

لم يستطع الدكتور البرادعى أن يقيم علاقة ناجحة مع رؤساء الأحزاب، والحق أن معظمهم كان من طينة أخرى، وكان لعدد منهم حساباتهم مع السلطة، كما أنهم كانوا يغيرون من شعبية الرجل وزعامته لتيار التغيير الصاعد والتفاف الشباب حوله،

ولكن البرادعى هو الآخر يتحمل قدراً من المسئولية، إذ كان يعاملهم أحياناً ببعض التعالى والاستخفاف.. أذكر أن المشكلة المزمنة التى كانت تواجهنا كل مرة إذا تقرر الاتصال بأحد الأحزاب أو حتى الشخصيات العامة كان السؤال الأول والذى يطرح: من الذى يذهب للآخر؟ وبينما كنا نحن نرى أن المسألة هامشية جدا، وأن الأمر يستوى إذا ذهبنا نحن أو أتوا هم، كان البرداعى يتشدد فى تلك الطقوس كثيرا كما لو كنا فى ديوان للمراسم.. وعندما أبدى الأستاذ هيكل استعداده للقائه ظل الأمر متعذراً حتى دعا السفير نبيل العربى «صهر هيكل وزميل البرادعى» إلى مائدة غداء جمعت الطرفين.

تكرر هذا الموقف عدة مرات، ولكنه لم يتصاعد بحيث يشكل أزمة حتى ذلك الحين.. الأزمة الحقيقة التى واجهت الجمعية كانت قد وقعت يوم ٨ أبريل عندما أبعدت الكويت ٢٦ مصرياً كانوا فى طريقهم كعادتهم كل أسبوع إلى مقهى للتشاور فيما يمكنهم عمله للحصول على حقهم فى التصويت فى انتخابات بلادهم، وهو الحق الذى دعت إليه «الجمعية الوطنية للتغيير» ضمن مطالبها السعبة.

كنت على صلة بواحد من هؤلاء المرحلين فاتصلت بى عائلته تبلغنى الخبر، فنقلناه للدكتور البرادعى» ولكننا كنا نعرف أن تعليقه سيأتينا متأخراً خصوصاً أنه كان فى إجازة فى منتجع بالبحر الأحمر طالت بضعة أيام بمناسبة شم النسيم.. اتصلت بالدكتور حسن نافعة واتفقنا على إصدار بيان عاجل نستنكر

فيه الحادث، وعلى الاتصال بالسفير الكويتى بالقاهرة، وعلى إخطار المحامى عصام سلطان المسئول عن لجنة مساندة الأعضاء، وأخذنا فى إبلاغ منظمات حقوق الإنسان المصرية والكويتية والعربية بالخبر فى سعى ليعامل المرحلون معاملة حسنة إذا لم نستطع إيقاف ترحيلهم من الكويت.

صغت البيان واتفقت على نصه مع حسن نافعة وأرسلته للصحف، وأرسلت النص إلى على البرادعى، فإذا به يرد برسالة يطلب منى فيها إيقاف توزيع البيان أو سحبه إذا ما كنت قد أصدرته، وأضاف أنه قد «تم الاتفاق على أن الدكتور البرادعى هو وحده المخول بإصدار بيانات باسم الجمعية»، ثم نقل لى نص رسالة الدكتور البرادعى، بالإنجليزية كالعادة.. ترجمة رسالته تقول: «هذا البيان يمكن أن يصدر بصفة شخصية، على لسان شخص أو مجموعة أشخاص، ولكن ليس باسم الجمعية.. إننا لا نعرف القانون الكويتى، ولا نريد أن ندخل فى نزاع مع الحكومة الكويتية أو حكومات عربية أخرى.. نحن لا نعرف كل الحقائق، كما أن الجمعية التى تمثل جميع المصريين يجب أن يقتصر حديثها على مطالبها السبعة المتفق عليها، أما باقى الأمور فيجب التعبير عنها فى تصريحات خاصة كما أفعل أنا فى تويتر.. وهذا الموضوع بالذات يخص الحكومة المصرية حتى الآن».

صدمتنى الرسالة لأسباب عدة، أولها أن الدكتور البرادعى لم يكلف نفسه الاتصال بى أو بأى من الزملاء لاستيضاح الأمر

ومناقشة التصدى له.. السبب الآخر هو أن الرسالة فيها كذب لا وصف آخر له غير الكذب، إذ إننا لم نتفق من قبل على أن إصدار بيانات الجمعية مقصور على البرادعى وحده، ثم إن ما فاجأنى أيضاً كان معالجة الموضوع بأسلوب المنظمات الدولية البيروقراطى، وخذلان أنصارنا.. أرسلت الرد، وكان نصه: «الأخ الأستاذ على البرادعى.. أبلغتنى فى رسالتك أن الدكتور البرادعى هو المخول وحده بإصدار البيانات باسم الجمعية كما هو متفق عليه.. وعلى الرغم من أننى لم أبلغ باتفاق كهذا فإن الرسالة على هذا النحو تلغى مسئولية اللجنة الإعلامية أو المتحدث الإعلامى.. وهكذا فإننى أطلب منك إبلاغ الدكتور البرادعى والزملاء المسئولين عن بقية اللجان أننى أعفيت نفسى من أى عمل إعلامى يتعلق بالجمعية التى سأظل وفياً لأهدافها السبعة من أجل التغيير.. تمنياتى».

كنت قد قررت ألا أعلن قرار انسحابى حتى لا تشمت السلطة ويفسر البعض هذا بأكثر مما يحتمل، فامتنعت عن الظهور العام أو الاتصال بالصحفيين لكن زملائى جميعاً انزعجوا وقرروا الذهاب إلى البرادعى لرأب الصدع.

واصلت الثبات على موقفى ولكننى لم أنقطع بالطبع عن اللقاء مع رفاقى.. كانت الجمعية تعقد اجتماعاتها عادة فى مقر حزب الجبهة بالمهندسين، وكنت أحضر بعض هذه الاجتماعات العامة فى حين واصلت حضور الاجتماعات الخاصة التى كانت تعقد فى عيادة الدكتور عبدالجليل مصطفى أو غيرها.. لم يمر واحد

من هذه الاجتماعات إلا واستنكرنا سفر البرداعى للخارج، وكان دائماً ما يقول إن لديه ارتباطات مسبقة لحضور اجتماعات ومؤتمرات، وكان ردنا أن العالم أجمع أصبح يعرف بما يدور فى مصر ودوره فى ذلك، وأن الكل سيعذرونه إذا تخلف عن المشاركة فى مناسباتهم.. العذر الثانى الذى كان يسوقه هو الانتهاء من كتابه الذى تعاقد على تسليمه للناشر فى موعد محدد، فإذا ما قلنا إنه يمكن أن يكتب فى القاهرة ويرسل ما يكتب إلى الناشر فهو يتعلل بأن مكتبته لا تزال فى فيينا، وأن اجتماعات القاهرة وصخبها لا يتيح له التركيز اللازم.. وكنا نتفهم ذلك أو نحاول، خصوصاً ونحن ندرك أنه لابد سيتقاضى عن تأليف الكتاب مبلغاً مجزياً.

كنت وقتها على صلة بالدكتور كمال الجنزورى رئيس الوزراء الأسبق.. كان قد اتصل بى عندما أذيع حديثى مع عمرو الليثى ليهنئنى على الحديث، وكان هذا أول اتصال بيننا.. قال إنه يود أن يرانى، فذهبت إليه فى مكتبه الخاص الذى لم يكن يبعد عن بيتى كثيراً فى مصر الجديدة، وبعدها أخذت أتردد عليه بانتظام.. كان شديد الانتقاد للحلقة المحيطة بمبارك، وقارئاً جيداً للمقالات السياسية، وفى أكثر من مرة طلب منى أرقام تليفونات الكتاب المعارضين ليبلغهم إعجابه بما كتبوه أو ليناقشهم فيه، وحملنى رسائل إلى البعض منهم.. وعندما أسسنا الجمعية الوطنية للتغيير حاولت أن أحثه على إصدار بيان يعلن فيه معارضته للحكم، ولكنه آثر التريث حتى لا يرتبط ذلك بعودة البرادعى، الذى لم يكن متحمسا له حماسه

للجمعية.. كان شديد الانتقاد لغياب البرادعى المتكرر عن مصر، وكان دائما ما يطلب منى أن نضغط عليه حتى يعود.

بعد سقوط مبارك بأقل من شهرين، كشف موقع «اليوم السابع» عن وجود مخطط لأمن الدولة يهدف إلى التشهير بقيادات الجمعية الوطنية للتغيير ويشير إلى الجنزورى، عثر عليه المتظاهرون الذين اقتحموا المبنى الرئيسى لجهاز أمن الدولة.. يقول تقرير «اليوم السابع» إن أمن الدولة «رصد اتصالاً هاتفياً آخر بين الدكتور عبدالجليل مصطفى، المنسق العام للجمعية الوطنية للتغيير، والإعلامى حمدى قنديل الذى تصفه أمن الدولة بـ«المناهض»»، ويتضمن الاتصال حديثا لقنديل حول اعتزامه السفر للعاصمة اللبنانية بيروت للمشاركة فى أحد المؤتمرات.

ويواصل التقرير: «تبقى أخطر المكالمات التى رصدتها الوثيقة هى التى تحدث فيها حمدى قنديل عن لقائه بالدكتور كمال الجنزورى رئيس الوزراء الأسبق، والذى طالب قنديل، بحسب زعم الوثيقة بضرورة التنسيق مع الدكتور البرداعى، ومطالبته بالعودة للبلاد فى أقرب وقت ممكن، وتحذيراته من الآثار السلبية جراء سفر البرادعى لفترات طويلة، وتنقل الوثيقة عن قنديل قوله: النهاردة كنت عند الجنزورى فقال لى: الراجل ده كلموه يرجع «يقصد البرادعى»، فقلت له: إحنا بعتنا رسائل على هذا النحو ومستنيين الرد.. قال الجنزورى: لا، لا، ما ينفعش، حد منكم يطلع يروح يقول له ويفهمه الوقت من ذهب والغياب ده مدمر.. وعلى هامش الوثيقة كتب أحد القيادات

الأمنية عبارة بخط يده قال فيها: تجمع المعلومات لدينا عن علاقة السيد الجنزورى بهذا التحرك».

يئست مجموعتنا من الحديث عن حضور البرادعى وغيابه، إلا أننا عندما اجتمعنا فى ٩ مايو ناقشنا أمراً آخر كنا قد بحثناه من قبل، هو البحث عن مقر للجمعية يجرى فيه البرادعى لقاءاته ونعقد فيه اجتماعاتنا.. وكنا قد حدثنا البرادعى من قبل فى ذلك متسائلين عما إذا كان مكتب والده للمحاماة فى وسط البلد يمكن أن يصلح للغرض، لكنه قال إن المكتب شأن العائلة لا شأنه، فطلبنا من جورج إسحق أن يوظف اتصالاته للبحث عن مكتب نستأجره.. بلغنا جورج فى اجتماعنا هذا أن هناك عدة مكاتب متاحة، وأن إيجارها يتراوح بين ثلاثة آلاف وخمسة آلاف جنيه شهريا، فقررنا أن نسهم جميعا فى سداد الإيجار، لكننى سألت: وهل سيسهم معنا الدكتور البرادعى هو الآخر؟ جاءت الإجابة من أحدنا: «الدكتور البرادعى قال إنه لن يسهم فى استئجار مكتب».. قلت: «وأنا لن أسهم إلا إذا دفع هو نصيبا مماثلا لأنصبتنا جميعاً».. دار حديث بعد ذلك عن السبب فى قرار البرادعى، فأخذنا نخمن، وقال البعض أنه يبدو أنه لا يريد أن يتداول اسمه فى أى وثيقة رسمية حتى لو كانت عقد إيجار، فأسقطنا الأمر من حسابنا، وأخذنا فى مناقشة ما هو أكثر جدوى، وانتهى الاجتماع بإرسال رسالة إلكترونية للبرادعى.

عاد الرجل إلى القاهرة فى أواخر مايو على أن يبقى فيها لنحو

أسبوعين يغادر بعدهما إلى لندن، ويستمر فى الخارج حتى سبتمبر.. هكذا كان جدوله الذى أبلغه للمحيطين به، فقرروا طلب عقد اجتماع عاجل معه عقد فى ٣٠ مايو فى عيادة الدكتور أبو الغار.. كان البرادعى قد زار فى الصباح مسجد عمرو بن العاص والمعبد اليهودى والكنيسة المعلقة، وكان عدد من القيادات قد اعترض على هذه الزيارة حتى لا تستغل للتذكير بالاتهامات القديمة بأن البرادعى غريب عن مصر يزورها كالسياح «وهذا ما حدث»، وهكذا تمت الزيارة وسط غياب معظم قيادات الجمعية.. وبعدها بأيام ذهب إلى الفيوم، ولكنه بدلاً من أن تتم الزيارة وفقاً للبرنامج الذى وضعته اللجنة التأسيسية للجمعية هناك، كان هناك اتفاق خفى بينه وبين الإخوان المسلمين لحضور مؤتمر شعبى آخر، فتغيبت قيادات الجمعية أيضاً واستقالت لجنتها فى الفيوم، وأعلن المستشار الخضيرى أنه سيتفرغ لجماعته «مصريون من أجل انتخابات حرة ونزيهة».

بعدما تم اجتماع المصارحة بين البرادعى وأركانه فى عيادة الدكتور أبو الغار، استقال الدكتور حسن نافعة، وأبلغنى الحاضرون الذين لا أزال أعتبرهم من أنقى الشخصيات فى النخبة المصرية، أن الخلاف مع البرادعى خلاف جذرى، وأنه تمسك بمواعيد حضوره وغيابه، أما نواياه فقد ازدادت غموضاً على نحو مقلق.. كان التواصل بين الرجل قيادات الجمعية قد أصبح محدوداً للغاية، والأرجح أنه كان يستعين بمجموعة بديلة، وكنا نرى أن هذا من حقه وإن كان من الضرورى أن

تخرج مجموعته السرية هذه إلى العلن.. وبدا واضحاً أيضاً أنه لا يثق كثيراً فى الجمعية الوطنية للتغيير، وربما كان هذا هو السبب فى ذهابه لزيارة الإخوان المسلمين فى مقر كتلتهم البرلمانية فى المنيل، وما دفع الإخوان ليعلنوا حشد كل قواهم لجمع التوقيعات على بيان الأهداف السبعة.

هكذا كان لابد من مصارحة الرأى العام فقلت رأيى دون مداراة فى أكثر من مناسبة وكتبت مقالين فى «الشروق» أحدهما بعنوان «البرادعى والمياه الراكدة»، والآخر بعنوان «أسرار الخلاف والاتفاق مع البرادعى».. قلت ما خلاصته إننا «رمينا طوبة البرادعى» وأنه «إذا كان وقته متاحاً للبقاء فى مصر هو كما هو، فليكن، هذا أفضل من عدمه، وإذا كان أسلوبه فى العمل لا يزال على حاله، فلا بأس، كل أسلوب له مزاياه.. أما نحن فسنواصل العمل من خلال الجمعية الوطنية نجاهد من أجل مصر الجديدة، وستظل للدكتور البرادعى مكانته كرمز للتغيير».

كان أهم إنجاز للجمعية هو حشد الشباب الذى انضوى فى عضويتها، وانصهار حملة البرادعى فيها، والتنسيق بينهم وبين حركة ٦ أبريل وأعضاء صفحة «كلنا خالد سعيد» فى الإنترنت.. دفع تواصل هذا الشباب مع الناس مسيرتنا خطوات إلى الأمام، أما أنا فأعترف أننى لم أكن قادراً مثلهم على النزول إلى الشارع، وهكذا نشطت فى التحرك بين القوى السياسية المعارضة واجتماعاتها فى القاهرة، وأحيانا فى

مناطق أخرى، خصوصًا قبيل انتخابات مجلس الشعب التى أدى تزويرها إلى تفاقم الغضب.. وعلى الرغم من أن حملة جمع التوقيعات على بيان التغيير كانت فى أوجها، فإننى لم أكن واثقاً إلى أى مدى ستصل بنا هذه التوقيعات.. كنت أعول وقتها كثيراً على الإعلام المعارض، وعلى وجه الخصوص شباب الصحفيين الذين يعملون فى الصحف الخاصة، ويدفعون إليها كل يوم بالأخبار والتحقيقات عن تدهور أحوال البلاد وناسها «كانت قنوات التلفزيون الخاصة فى معظمها مساندة للنظام».. لذلك فعندما اشترى رجل الأعمال رضا إدوارد جريدة «الدستور» وفقد كثير من هؤلاء وظائفهم واعتصموا فى نقابة الصحفيين، قمت بزيارتهم أكثر من مرة.. نشر وقتها أننى وزميلنا محمود سعد والمهندس يحيى حسين عبدالهادى «بطل معركة خصخصة عمر أفندى» نمول العصيان نكاية فى حزب الوفد الذى ينتمى إليه مالك الجريدة الجديد، وسعياً إلى تعميق الأزمة بين الصحافة والسلطة.. وكنت بالفعل أعاون يحيى حسين وقتها فى جمع تبرعات، لا من أجل صحفيى الدستور، ولكن من أجل سداد الغرامات التى تحكم بها المحاكم ضد المعارضين الذين كانوا من الشباب فى معظمهم.

كنت مشغولاً فى ذلك الوقت بالقضية التى رفعها ضدى وزير الخارجية أحمد أبو الغيظ ولكننى كنت مهموما - مثل السفير إبراهيم يسرى تماماً - بقضيته لوقف ضخ الغاز إلى إسرائيل، فصاحبته مراراً إلى مجلس الدولة.. وعندما أتى يناير ذهبت

لأول مرة، بعد سنوات الغربة، إلى ضريح عبدالناصر لنحتفل بذكرى مولده يوم ١٥ يناير، ونلتقى الناصريين القادمين من الأقاليم.. كان همنا يومها أن نحشد القوى الوطنية خلف الدعوة التى كانت الجمعية الوطنية للتغيير قد أطلقتها فى اليوم السابق لتشكيل حكومة إنقاذ وطنى لفترة انتقالية، ولكن اليوم السابق كان قد شهد حدثاً كبيراً اهتزت له أرجاء الوطن العربى كله: هروب الرئيس التونسى زين العابدين على أمام زحف المعارضة فى شوارع تونس.

ألهبت الثورة التونسية المشاعر، وأشعلت غيرتنا.. الكل يومها كان يقول: «ولماذا لا نفعلها نحن أيضاً؟»، وازدادت ثقتنا أننا نستطيع، ليس فقط بسبب انتظام جحافل الشباب ضمن قوى المعارضة، ولكن أيضاً بسبب ضعف النظام وغبائه، وما تتالى من أحداث إثر تفجير كنيسة القديسين بالإسكندرية الذى أدى إلى نقمة عارمة على الحكم وعلى ممارسات الشرطة، خصوصاً عندما عذبت الشهيد سيد بلال حتى الموت بعد اتهامه فى حادث الكنيسة.. كانت شبكة الإنترنت عندئذ حافلة بالمواقع التى تدعو للتظاهر فى ٢٥ يناير، وكان اختيار هذه المناسبة يرجع إلى عام ٢٠٠٩ حين دعت حركة ٦ أبريل إلى احتجاجات واسعة فى عيد الشرطة الذى سمته «عيد البلطجية».. وشيئاً فشيئاً ترك التنسيق بين المواقع المختلفة فى صفحة «كلنا خالد سعيد» التى أنشأها المدون الشاب عبدالرحمن منصور عند اغتيال الشهيد خالد فى يونيو ٢٠١٠.. وعندما التحق وائل غنيم بمنصور إثر ثورة تونس كان أول من سمى هذا اليوم «ثورة»..

كان الشعار الذى وضعه «ثورة على التعذيب والبطالة والفساد والظلم».

مبارك كان حينئذ فى دنيا غير دنيانا.. كان فى شرم الشيخ يلتقى بنتنياهو فى حين كانت القوى السياسية قد بدأت النزول إلى الشارع.. تتالت مظاهر الاحتجاج فى أنحاء القاهرة وغيرها من المدن على غلاء المعيشة أو حملة الاعتقالات أو حقوق العمال وغيرها، وكان عددمن المواطنين قد أقدم على الانتحار بسبب الفقر وقلة الحيلة، ولكن السلطة وصفتهم جميعاً بأنهم مرضى نفسيون.. ذهبنا حينها إلى مقر الوفد لنعلن قيام «البرلمان» الشعبى الموازى لبرلمان مبارك، والذى اشتهر بالتعليق الذى أطلقه على أعضائه «خليهم يتسلوا».. وفى حين أن هذه الخطوة كانت رمزية إلى حد كبير، كان الشباب هم المحرك الفاعل فى الثورة ووقودها.. صفحة خالد سعيد التى أطلقت شعار «فعلتها تونس»، و«٦ أبريل» التى صاغت فى النهاية شعار الثورة «عيش، حرية، كرامة إنسانية» فى بيانها الذى صدر بعنوان «عايز أعيش» ، وحركة «كفاية» التى دعت للتخلى عن سلالم نقابة الصحفيين، وحشد ١٠ آلاف متظاهر للاعتصام فى الشوارع لمدة أسبوع حتى يسقط النظام.

يوم ٢٢ يناير جاء شباب الجمعية الوطنية للتغيير يعرضون على قياداتها خطة التحرك فى ٢٥ يناير التى حددتها قوى الشباب بحركاتها المختلفة، وكانت تقوم على أساس الانطلاق من مناطق القاهرة الأكثر فقراً مثل بولاق وإمبابة وناهيا وشبرا متجهة إلى

ميدان التحرير، فإذا لم يكن التحرك كبيراً بالقدر المأمول يتحول إلى اعتصام فى ميدان مصطفى محمود.. فى عواصم المحافظات كانت الخطة تقضى بتوجه المظاهرات للتجمع فى ميادينها الكبرى.. وفى اليوم التالى اجتمعنا فى الجمعية الوطنية للتغيير حيث دعونا إلى أن تكون وقفتنا يوم ٢٥ يناير أمام مكتب النائب العام مع البرلمان الشعبى.. فى هذا الاجتماع قال عصام العريان إن الجماعة ستقصر مشاركتها فى الوقفة على بعض رموزها فقط، لكنها لن تمنع من يريد النزول من شبابها..

كان الدكتور علاء الأسوانى يحتفل ليلتها بتوقيع كتابه «مصر على دكة الاحتياطى»، فذهبت إليه فى مكتبة دار الشروق بالمهندسين، ومن هناك توجهنا إلى بيت الدكتور أبو الغار فى الدقى، حيث لحق بنا عبدالجليل مصطفى وممدوح حمزة ثم حسين عبدالغنى.. سهرنا حتى الفجر نتدبر فى السيناريوهات المختلفة ليوم ٢٥ يناير ورد فعل السلطة وخطة المواجهة، ونجرى اتصالاتنا بالأطراف المشاركة فى الحدث، إلا أننا لم نستطع الاتصال بالدكتور البرادعى لنحثه على الحضور فوراً إلى مصر بعد أن علمنا أنه قرر البقاء فى الخارج.. اتصل بى ليلتها شقيقى عاصم، وهو ضابط شرطة سابق، يحذرنى من أن الشرطة تتحين ظهورى فى أى مظاهرة بالشارع لاعتقالى بعد الخطاب الحاد الذى كنت قد ألقيته قبل أسابيع فى نقابة الصحفيين احتفالاً بحصول علاء الأسوانى على جائزة «الإنجاز العلمى» من جامعة ألينوى الأمريكية لكن القوى

الوطنيـة كـانت قـد قـررت النزول على الرغم من الإنذار الذى وجـهتـه لنا وزارة الداخلية بضـرورة الحصـول على تصـاريح للتظاهر، وكان اللواء إسماعيل الشاعر مساعد وزير الداخلية قد صرح يوم ٢٤ أيضاً بأن «الوزير أصدر توجيهات باعتقال من يخرجون على الشرعية».. وأنا فى طريقى إلى دار القضاء العـالى كنت أعـتـقـد على الرغم من ثقـتى بإحكام التـخطيط للمظاهرات، أنها سوف تجبر النظام على إقالة وزير الداخلية، وربما تقديمـه للمحاكمة بتـهمة التعذيب، وسـوف تتجاوب مع بعض المطالب الشعبية مثل تحديد الحد الأدنى للأجور مثلاً، وعندها نلتقط أنفاسنا، ونعاود التجهيز لخطوة أخرى، لكننى لم أستبعد قط أن يضطر مبارك إلى إقالة الوزارة، وتشكيل حكومة إنقاذ لتسد بعض أبواب الغضب.

قصـة الأيام الثمانى عشرة المجيدة بعدئذ أصـبحت معـروفة للكل.. لا أدعى أنه كـان لى فـيـهـا دور يذكـر إلى جـانب دور الملايين الذين حـقـقوا الحلم.. كـانت الطليعـة يومـهـا للشـبـاب والضـحـايا كـانوا فى صـفـوفـهم.. لكننى عندمـا استلقـيت فى سـريرى تذكـرت، على الرغم من صـوت الراديو إلـى جـانبى، أولئك الرجـال والنسـاء من حـركـة «كـفـاية» الذين خـرجـوا فى ديسـمـبـر ٢٠٠٤ فى مظاهرة أمـام دار القضـاء العالى، أيضـاً، ينادون بسقوط النظام المستبد.. لم يكن لى يومها شرف الوجود بينهم، إذ كنت قد سافرت للإقامة فى دبى فى إبريل، لكننى يوم سمعت بالمظاهرة كنت فـخوراً أننى كنت واحداً من الذين وقـعوا بيان تأسيس الحركة.

عندما قرأت صحف الصباح فى اليوم التالى، ٢٦ يناير، لم أفاجأ بنشرها تصريحاً لجورج إسحق قال فيه: «الله يحرق البرادعى.. لا نريد معرفة أى شىء عنه».. كان يشير إلى غياب الدكتور البرادعى عن يوم اندلاع الثورة.. غاب البرادعى بعد ذلك عن جمعة «الثورة أولاً» فى ٨ يوليو ٢٠١١ وتخلف أيضاً عن الاحتفال بالذكرى الأولى لثورة يناير فى ٢٠١٢، وكان قد أعلن قبل ذلك بأيام انسحابه من انتخابات الرئاسة.

قبل أن يعلن البرادعى انسحابه، كنا جالسين معاً، الدكتور أبو الغار والدكتور عبدالجليل مصطفى والدكتور الأسوانى والدكتور حسن نافعة وأنا، فى نادى السيارات.. كنا قد تقاربنا كثيراً منذ ٢٠٠٩، وكان ما يجمعنا هو أننا مستقلون عن التيارات السياسية القائمة.. أجمعنا ليلتها على أن فرص البرادعى فى الرئاسة باتت ضئيلة، وأن أفضل قرار يمكن اتخاذه هو أن ينسحب، واقترحنا أن يذهب إليه عبدالجليل مصطفى وعلاء الأسوانى ليعرضا عليه الأمر، إلا أنه عندما ذهب عبدالجليل مصطفى إلى منزله كان، كالعادة، قد أعلن انسحابه دون أن يتشاور مع أحد، وقال إن هذا «ليس انصرافا من الساحة، بل استمر لخدمة الوطن بفاعلية أكبر من خارج مواقع السلطة، وتحرر من كل القيود»، إلا أن أحلام الزعامة ظلت تراوده دائماً على الرغم من أنه يعلم جيداً أنه لا يستطيع الوفاء بالتزاماتها.. كتب د. حسن نافعة وقتها يقول إن البرادعى «شخصية تريد لعب دور البطولة دون أن تكون مستعدة لدفع أى من أثمانها الباهظة»، وأنه يرى نفسه فوق

الجميع ومختلفاً عن الجميع، ويريد من الجماهير أن تصعد إليه لتحمله على أكتافها دون أن ينزل هو إليها.

عندما فوجئ البرادعى بالإحباط الذى حدث للشباب، وبانقلاب بعضهم عليه، حاول أن يحتوى الموقف بالدعوة إلى تأسيس كيان هلامى سماه حزب «الدستور» ليس له اتجاه أيديولوجى واضح سوى أن شعاره هو مبادئ ثورة يناير «عيش، حرية، عدالة اجتماعية، كرامة إنسانية».. كان ذلك فى أبريل ٢٠١٢ عندما هبت مظاهرة إعلامية أغرقت وسائل الإعلام بالأخبار والبيانات اعتماداً على أسماء وثقل المؤسسين للحزب وكتلة الشباب النشطة المنضمة إليه، لكن تأسيس الحزب تعثر بسبب خلافات البرادعى مع المؤسسين والخلافات بين بعضهم البعض وانشقاقهم عن الحزب واحداً تلو الآخر.. عندها حاول الشباب الأنقياء الذين ظلوا على ولائهم للبرادعى مرة أخرى الانتصار على الإحباط بدفع زعيمهم ثانية إلى واجهة المشهد السياسى، فأطلقوا فكرة قيام مجلس رئاسى يضم عدداً من مرشحى الرئاسة، برئاسة البرادعى وعضوية حمدين صباحى وعبدالمنعم أبو الفتوح.. وبعد أن راجعت هذه الفكرة فى سوق السياسة أياماً، انطفأت لما تبين الجميع أن مصيرها الفشل، وانطفأ معها اسم البرادعى ـ الذى وصفته بأنه كشمس الشتاء لا يظهر شعاعها إلا لماماً ـ حتى خرج مرة أخرى ليتقدم بأوراق تأسيس حزب «الدستور» إلى لجنة شئون الأحزاب فى أغسطس ٢٠١٢، وكان ذلك بعد ظهور نتائج انتخابات الرئاسة.. وتساءلت لماذا كل هذا الجهد لقيام حزب جديد، وهناك حزب يرفع

الشعارات نفسها مثل الحزب المصرى الديمقراطى الاجتماعى؟ لماذا لم يندمج «الدستور» فى أى حزب آخر يتفق معه فى الأهداف بدلا من عناء قيام حزب جديد؟ لكن الأحزاب «المدنية» لم تتحالف فى تكتل سمى «جبهة الإنقاذ» إلا كرد فعل على قيام الدكتور مرسى ـ الرئيس عندئذ ـ بإصدار إعلانه الدستورى فى ٢١ نوفمبر ٢٠١٢ وعندما علمت أن البرادعى سوف يتصدر قيادتها لم أستبشر كثيراً بالخبر، وكان هذا هو موقفى أيضاً عندما ذهب البرادعى وحمدين صباحى إلى ميدان التحرير «إيد واحدة»، فعلى الرغم من أن المتظاهرين فى الميدان حملوهما على الأعناق فإننى كنت أرى فى ذلك نذير خطر.

ثم مرت الأيام، وبعد ٣٠ يونيو عادت الجبهة فعلقت عليه آمالها، وأعلنت مع تنسيقية ٣٠ يونيو أنهما يفوضان الرجل متحدثاً باسمهما مع القوات المسلحة، وانتهى التفاوض إلى تعيين البرادعى نائباً للرئيس فى ٩ يونيو ٢٠١٣، ولكنه خان الأمانة التى علقها عليه أنصاره، واستقال فى ١٤ أغسطس احتجاجاً على فض اعتصامات مؤيدى مرسى بالقوة.. لم أجد فى ذلك جديداً، إذ كيف ينجح البرادعى فى إدارة شئون الدولة وهو الذى لم ينجح فى إدارة شئون حزبه؟ وعندما كتبت يومها أقول إن البرادعى، كما عرفته، متردد، كاذب، أنانى، لا يتحمل مسئولية، لا يقبل رأياً آخر، البرادعى ليس منا، لم أكن أقول يومها شيئاً جديداً.



حركة تمرد

لا تذكر ثورة ٣٠ يونيو ألا ومعها حركة «تمرد»، التى كانت بمثابة الشرارة الأولى لها، والجذوة التى أشعلت نيران الثورة، بعدما دعت جموع الشعب المصرى إلى التوقيع على شهادة وفاة حكم الإخوان، ورفعت الكارت الأحمر للرئيس المعزول «محمد مرسى» معلنة التمرد عليه، إلا أنه بعد ثلاث سنوات من الثورة، تدهورت الحركة ومرت بمحطات عصيبة عصفت بكيانها وصلت إلى حد الانشقاقات واختفاء فاعليتها على أرض الواقع.

النشأة:

«تمردوا فإن الأرض تحنى رأسها للمتمردين، فما خلق الله الشعوب لتستكين».. تحت هذا الشعار انطلقت حركة «تمرد»، من مقهى صغير بوسط القاهرة، اجتمع عليه مجموعة من الشباب لإنقاذ

البلاد. وأجمعوا أن التمرد هو سبيلهم، لسحب الثقة من مرسى، من خلال هذه الوثيقة التى خرجت فى ٢٦ أبريل ٢٠١٣، من الشباب المعترضين على حكم المعزول وتصرفات الجماعة الإرهابية بعد توالى أخطائها. ودعت هذه الورقة الصغيرة إلى سحب الثقة من مرسى، وإجراء انتخابات رئاسية مبكرة، حيث عزم الشباب جمع أكبر قدر من توقيعات الشعب المصرى عليها وقد تأسست الحملة فى البداية على يد كل من محمود بدر، وحسن شاهين ومحمد عبدالعزيز فى ٢٦ أبريل لعام ٢٠١٣، من ميدان التحرير وجاء اسم تمرد مأخوذاً من اسم مجلة سورية، صدرت ضد نظام البعث السورى، حيث اقترحه أحد مؤسسيها، ليلقى قبولاً منهم وجعلوه شعاراً لهم، ووضعوا بنود الاستمارة، وبدأوا فى توزيعها.

فى البداية.. اتهم الجميع الحركة بالموالاة لجهات أجنبية وخارجية، وأنها تهدف إلى الخراب وتتبع الحزب الوطنى المنحل، إلا أنه مع زيادة خطايا الإخوان بدأت القوى السياسية والثورية تأييدها، وانتقل هذا التأييد إلى قطاعات الشعب واستطاعت الحملة تحقيق أول مكاسبها، عقب أسبوع من تدشين وتوزيع الأوراق، حيث أعلنت أنها جمعت نحو ٢٠٠ ألف توقيع، ثم تلاها إعلان آخر خلال أول مؤتمر صحفى لها أعلنت أنها جمعت ٢ مليون ونصف المليون توقيع.

وسرعان ما اتسعت شعبية الحركة، بعدما انضم لها دماء شبابية جديدة، لتجوب الشوارع والميادين، وتستطيع جمع توقيع المارة، ورافضى حكم المعزول.. وكان تاريخ ٣٠ يونيو، هو ما حددته

الحركة للنزول، ضد حكم الإخوان، بهدف إسقاط نظام المعزول، بعدما أعلنت أنها جمعت نحو ٢٢ مليون توقيع من المصريين المؤيدين لعزل مرسى.. وبالفعل جابت المظاهرات شوارع المحروسة رافعة استمارة «تمرد»، بدعم من بيانات الحركة المتتالية التى حثت المتظاهرين على الاستمرار فى اعتصامهم.

وفى يوم ١ يوليو أطلقت بياناً آخر حددت فيه خريطة المسيرات التى ستنطلق فى الشوارع، وتحاصر قصر القبة، والاحتشاد أمام مقر الحرس الجمهورى للمطالبة بعزل مرسى، حتى نجحت الحركة فى ٣ يوليو بعزل مرسى.

وشهد يوم ١٨ يوليو أول انقسام دب فى الحركة، بعدما انشقت أول مجموعة عن الحملة، عقب قرار محمود بدر ومحمد عبد العزيز ومى وهبة وأعضاء آخرين بتحويل الحملة إلى حركة.

وفى فبراير ٢٠١٤، عقب إعلان حمدين صباحى، رئيس حزب الكرامة، الترشح للرئاسة، وأيضا المشير – آنذاك – عبدالفتاح السيسى، حدثت حالة من الارتباك فى صفوف «تمرد».

فاتجه البعض لتأييد صباحى، أمثال حسن شاهين، ومحمد عبدالعزيز، وخالد القاضى، بينما توجه البعض الأخر لدعم السيسى، وعلى رأسهم محمود بدر، ما تسبب فى نشوب الخلافات.

ولجأت المكاتب الإدارية والتنفيذية لحركة تمرد بعدها للدعوة لاجتماع عاجل للجمعية العمومية للحركة، للنظر فيما اعتبروه تجاوزات قام بها عدد من أعضاء الحركة.. كما شهدت الحركة

نقطة فراق أخرى وانشقاق، عقب نجاحها وحصولها على شعبية كبيرة، وإعلان اعتزامها تأسيس حزب سياسى جديد، أطلقت عليه اسم «الحركة الشعبية العربية».

الأمر أثار غضب البعض؛ لأنهم يرون أن تحولها لحزب سيفقد التفاف القوى السياسية والثورية مع الحركة، فيما لجأ بعضهم للانشقاق وكونوا حركة جديدة تحمل اسم «تمرد ٢٥».

وخلال الفترة الماضية، أعلن ما يقرب من ٤٢ عضوًا من أعضاء حزب تمرد استقالتهم، وكان أبرزهم العضو المؤسس مصطفى السويسى؛ وذلك أيضًا للخلاف على بعض الأمور داخل سياسات الحزب.

كما وقع خلاف آخر داخل الحركة، بعدما أعلن عدد من ممثلى الحركة عن حملة جديدة تحت شعار «عشان رجالة»، لتقديم التقدير والعرفان لأفراد الجيش.

وكانت المتحدثة الإعلامية لحركة تمرد إيمان المهدى، هى نفسها المتحدثة الإعلامية للحملة، إلا أن محمود بدر، خرج ونفى علاقة الحركة بالحملة، مؤكدًا أن مشاركة بعض قيادات تمرد فى المؤتمر جاءت بصفة شخصية، وأن اللجنة المركزية لم تكن تعلم بهذه الحملة سوى بعد إصدارها.



حزب النور

وجود حزب النور فى مشهد ٣ يوليو.. كان مثاراً لدهشة الملايين وسألوا: هل استبدلت ثورة ٣٠ يونيو إخوان الأبالسة.. بفصيل ينتمى إليهم وإن اختلف عنهم أو ادعى ذلك؟.. وكانت الإجابة غير المعلنة وقتها.. أن الثورة لم تقم إلا ضد من أرادوا سرقة الوطن.. وأهلاً بجميع أطياف التيار الإسلامى أن اعترضت سلمياً ولم تلجأ إلى العنف.

وكان ضرورياً وقد قال الإخوان إنهم وكلاء شرع الله وإن آياته تجلت فى رابعة التى بدت ببعضهم تناطح مكة والمدينة ولا حول ولا قوة إلا بالله.. وإن الملائكة كانت ترفرف بأجنحتها حولهم فى اعتصامهم.. بل إن مرسى وهو فى محبسه.. قاد صلاة الفجر فى ليلة من الليالى باركها النبى محمد صلى الله عليه وسلم.. وكم من خرافات أخرى.. منها أن رائحة المسك والعنبر كانت تفوح من الأسفلت حيث سقط بعض قتلاهم برصاص

الشرطة وهى تطاردهم.. ولو أن مسألة اعتصام رابعة قد طالت قليلاً لأصبحت كعبتهم ومزارهم المقدس.

وحزب النور هو حزب سياسى مصرى تأسس عقب ثورة ٢٥ يناير.. الحزب ذو مرجعية إسلامية سلفية.. ويعد أول حزب سلفى يتقدم بأوراقه فى مصر.. وتصفه الدعوة السلفية بأنه الذراع السياسية الوحيدة لها.. يهدف الحزب للدفاع عن تطبيق الشريعة الإسلامية.

برز الحزب كثانى أكبر القوى الحزبية فى مصر بعد الفوز بنحو ٢٢٪ من مقاعد مجلس الشعب ٢٠١١-٢٠١٢، وهى أول انتخابات تشريعية يخوضها.. ثم مر الحزب بأزمة حادة انتهت بانشقاق رئيس الحزب عماد عبدالغفور وعدد من القيادات فى ديسمبر ٢٠١٢ وأسسوا حزباً جديداً باسم حزب الوطن.

وقد خاض حزب النور أول انتخابات تشريعية بعد تأسيسه، انتخابات مجلس الشعب المصرى ٢٠١١-٢٠١٢، ضمن تحالف الكتلة الإسلامية الذى تزعمه وضم حزبى البناء والتنمية والأصالة ذوا التوجه السلفى. حلّ التحالف ثانيًا بعد فوزه بنسبة ٢٤٪ من المقاعد «أى ١٢٣ مقعداً»، منهما ١٠٨ مقاعد لحزب النور.

تعرض الحزب لأزمة حادة بين فريقين من قياداته منذ منتصف عام ٢٠١٢ وقبيل إجراء الانتخابات الداخلية للحزب.. وقد بدأت إحدى مراحل تلك الانتخابات فى ١٥ سبتمبر رغم من قرار عماد

عبدالغفور رئيس الحزب تأجيلها.. وكانت مجموعة من أعضاء الحزب قد شكلوا ما عُرف بـ«جبهة إصلاح حزب النور» التى تطالب بفصل الحزب عن الدعوة السلفية إداريًا.. ثم وصلت أزمة الحزب الداخلية إلى مرحلة حرجة فى ٢٦ سبتمبر ٢٠١٢ حيث ظهرت للحزب «هيئتان عليتان» تزعم إحداها أشرف ثابت، وكيل مجلس الشعب السابق، والتى قررت إعفاء عماد عبدالغفور من رئاسة الحزب وتعيين السيد مصطفى حسين خليفة رئيسًا مؤقتاً.. فيما اجتمعت هيئة عليا أخرى للحزب برئاسة عماد عبدالغفور وقررت فصل عدد من القيادات وهم أشرف ثابت ويونس مخيون وجلال مرة واستبعاد نادر بكار من منصب المتحدث الرسمى بالإضافة لإلغاء الانتخابات الداخلية للحزب.

واستطاع مجلس أمناء الدعوة السلفية إنهاء الأزمة فى ٦ أكتوبر ٢٠١٢ بعد عقد مصالحة بين الفريقين المتنازعين. قضت المصالحة بتجديد الثقة فى عبدالغفور رئيساً للحزب والاستمرار فى الإجراءات الانتخابية وعقد الجمعية العمومية الأولى للحزب يوم ١١ أكتوبر التالى.. ولكن سرعان ما تجددت الخلافات واستقال على إثرها رئيس الحزب عماد عبدالغفور من الحزب فى ٢٥ ديسمبر ٢٠١٢.. وانشق معه عدد من قيادات الحزب من بينهم يسرى حماد فضلاً عما عُرف بـ«جبهة الإصلاح بالحزب».. ثم أعلن عبدالغفور والمستقيلون إنشاء حزب جديد باسم حزب الوطن فى ١ يناير ٢٠١٣.. فيما اختارت الجمعية العمومية لحزب النور يونس مخيون رئيسًا للحزب بالتزكية فى ٩ يناير ٢٠١٣ خلفًا لعبدالغفور.

رفض حزب النور المشاركة فى المظاهرات التى دعت لها المعارضة ضد الرئيس محمد مرسى فى ٣٠ يونيو ٢٠١٣، كما رفض أيضاً المشاركة فى المظاهرات التى دعا لها أنصار الرئيس.. وكان الحزب قد أعلن قبيل تظاهرات المعارضة أن شرعية مرسى «خط أحمر» ودعا لاستكمال مدته الرئاسية، لكنه تراجع عن موقفه ووجه دعوة للرئيس يوم ٢ يوليو لإجراء انتخابات رئاسية مبكرة.. وأخيراً فقد أيد الحزب خارطة الطريق التى أعلنها وزير الدفاع عبد الفتاح السيسى وعزل مرسى من منصبه.. وشارك الحزب بنائب رئيس الحزب بسام الزرقا ممثلاً له فى لجنة الخمسين المكلفة بتعديل دستور ٢٠١٢ الذى تم تعطيله بناءً على خارطة الطريق. إلا أن الحزب استبدل الزرقا ودفع بمحمد إبراهيم منصور عوضًا عنه مبررًا ذلك لأسباب صحية.

ويهدف حزب النور للتغلب على المصاعب والتحديات وتخطى العوائق والعقبات التى تسببت فى تخلف الأمة عقوداً من الزمن، وأهمها الفساد السياسى، والفساد الاقتصادى والفساد الأمنى.. مع التأكيد على أن الهوية المصرية هى الهوية الإسلامية العربية بحكم عقيدة ودين الغالبية العظمى من أهلها، واعتماداً على أن اللغة العربية هى لغة أهلها، واعتماد الإسلام ديناً للدولة، واللغة العربية هى اللغة الرسمية والشريعة الإسلامية هى المصدر الرئيسى للتشريع.

وعند ظهور حزب النور فى مشهد ٣٠ يونيو ثار الكثير من

الجدل بين المؤيد والمعارض والمتشكك فى ذلك لكن الراجح أن وجود حزب النور كان نوعاً من المواءمة الدستورية ولم الشمل وإفساح المجال لتيار إسلامى بالتواجد بديلاً عن الإخوان وإن أثبتت الأيام والأفعال أنها شبكة واحدة وإن تعددت الأسماء والمسميات.. وحول تعريف السلفية وهى أساس فلسفة حزب النور نرجع إلى قول الشيخ محمد الصالح بن عثيمين - رحمه الله -: السلفيَّة هى اتباع منهج النبى «صلى الله عليه وسلم» وأصحابه، لأنهم سلفنا تقدموا علينا، فاتِّباعهم هو السلفيَّة، وأما اتِّخاذ السلفيَّة كمنهج خاص ينفرد به الإنسان ويضلل من خالفه من المسلمين ولو كانوا على حقٍّ : فلا شكَّ أن هذا خلاف السلفيَّة، فالسلف كلهم يدْعون إلى الإسلام والالتئام حول سنَّة الرسول صلى الله عليه وسلم، ولا يضلِّلون مَن خالفهم عن تأويل، اللهم إلا فى العقائد، فإنهم يرون من خالفهم فيها فهو ضال.. لكن بعض من انتهج السلفيَّة فى عصرنا هذا صار يضلِّل كل من خالفه ولو كان الحق معه، واتَّخذها بعضهم منهجاً حزبيّاً كمنهج الأحزاب الأخرى التى تنتسب إلى الإسلام، وهذا هو الذى يُنكَر ولا يُمكن إقراره، ويقال: انظروا إلى مذهب السلف الصالح ماذا كانوا يفعلون فى طريقتهم وفى سعة صدورهم فى الخلاف الذى يسوغ فيه الاجتهاد، حتى إنهم كانوا يختلفون فى مسائل كبيرة، فى مسائل عقديَّة، وفى مسائل علميَّة، فتجد بعضَهم مثلاً يُنكر أن الرسول صلى الله عليه وسلم رأى ربَّه، وبعضهم يقول بذلك، وبعضهم يقول: إن الذى يُوزن يوم القيامة هى الأعمال، وبعضهم يرى أن صحائف

الأعمال هى التى تُوزن، وتراهم أيضاً فى مسائل الفقه يختلفون، فى النكاح، فى الفرائض، فى العدَد، فى البيوع، فى غيرها، ومع ذلك لا يُضلِّل بعضهم بعضاً.. فالسلفيَّة بمعنى أن تكون حزباً خاصّاً له مميزاته ويُضلِّل أفراده سواهم: فهؤلاء ليسوا من السلفيَّة فى شىء.

وأما السلفيَّة التى هى اتباع منهج السلف عقيدةً، وقولاً، وعملاً، واختلافاً، واتفاقاً، وتراحماً، وتواداً، كما قال النَّبى صلى الله عليه وسلم «مثل المؤمنين فى توادهم وتراحمهم وتعاطفهم كمثَل الجسد الواحد، إذا اشتكى منه عضوٌ تداعى له سائر الجسد بالحمَّى والسهر»، فهذه هى السلفيَّة الحقَّة.

ويشرح لنا الدكتور عمار على حسن أستاذ علم الاجتماع أبعاد التواجد السياسى والاجتماعى للتيار الدينى ممثلاً فى الإخوان والسلفيين خلال كتاب «المجتمع العميق» فيقول فى الفصل السادس

بعد وصولهم إلى السلطة فى مصر أخذ تنظيم «الإخوان المسلمين» وجماعات «التيار السلفى» يفقدون تدريجياً لـ«العمق الاجتماعى» الذى صنعوه على مهل عبر عقود من الزمن ومن خلال وسائل عدة، وكان يشكل بالنسبة لهم «الذخيرة البشرية» التى يستمدون منها العزم والنصرة سواء عبر حشود جماهيرية متتابعة هى أقرب إلى «استعراض القوة» أو عبر التصويت فى الانتخابات بدءا من الاتحادات والروابط إلى الانتخابات التشريعية مروراً بالنقابات المهنية.

وهذا الفقدان جاء فى ركاب الهزة العنيفة التى تعرض لها تنظيم الإخوان والمتحالفون معه من السلفية الجهادية والدعوية، وحتى أولئك الذين افترقوا عنهم فى المسار السياسى نالهم ما نال الإخوان من الاستهجان الاجتماعى نظراً لأن عموم الناس لا ينشغلون بالتمييز الدقيق بين هذا وذاك، ويضعون فى سلة واحدة كل من يستغلون الإسلام فى التنافس على السلطة أو حيازة التمكين الاجتماعى والثروة.

أولاً: مظاهر فقدان العمق الاجتماعى للإخوان والسلفيين

يتمثل فقدان العمق الاجتماعى للإخوان والسلفيين فى عدة مظاهر يمكن ذكرها على النحو التالى:

١- أفول سحر الخطاب المتأسلم:

فقد كان الخطاب الدينى الموشى بالآيات القرآنية، والأحاديث النبوية، والمأثورات، وأقوال الصحابة والفقهاء والمفسرين، يلقى هوى عند عموم الناس، بل إن قطاعاً من النخبة الفكرية والعلمية والاجتماعية تفاعل معه بطريقة إيجابية وكان لهذا الخطاب دور كبير فى تجنيد أعضاء يدخلون فى صفوف الإخوان والجماعات السلفية، أو يقفون على تخومها متعاطفين معها، أو واثقين فيها، ينتظرون أى مناسبة سياسية أو اجتماعية ليعبروا عن هذا التعاطف وتلك الثقة.

لكن بعد ثورة ٢٥ يناير ٢٠١١ اكتشفت قطاعات عريضة من المصريين تلك الهوة الواسعة بين هذا الخطاب تدابير وتصرفات

منتجيه، وأن كثيراً من شعاراته مثل «الإسلام هو الحل» و«مشاركة لا مغالبة» و«لسنا طلاب سلطة» و«لا نريد أن نحكم بالإسلام» بل نريد أن نحكم بالإسلام هى أقوال دعائية أطلقها الإخوان فى سنوات الضعف التى يسمونها «مرحلة الصبر» كجزء من التحايل السياسى والاجتماعى أو من خطة خداع الجميع وكسب تعاطفهم أو طمأنتهم فيقبلون على التعاون مع الجماعة.

كما أن الخطاب السلفى، الذى جذب كثيرين مستغلاً نزوع المصريين الدائم إلى التدين، فقد بريقه بعد أن تعرى منتجوه من المشايخ والوعاظ والدعاة أمام الناس، إثر دخولهم طرفاً مباشراً فى الصراع على السلطة وتداول معلومات كانت خافية على الجمهور عن حياتهم الخاصة وسيرهم الذاتية المفعمة بالعيوب والثقوب.

٢- السيطرة على منافذ الوعظ ومراقبتها:

فقد ثبت للسلطة الحاكمة فى مصر أن «الإخوان المسلمين» ومختلف التنظيمات «الجهادية» التى انخرطت فى عنف مفتوح ضد الدولة والمجتمع استغلت عشرات الآلاف من الزوايا، التى انتشرت فى مصر منذ منتصف السبعينيات مستفيدة من قوانين تعفى منشئيها من الضرائب لنشر أفكارها عبر خطب الجمعة وكلمات الوعظ التى تعقب الصلوات الخمس وأيام الاعتكاف فى شهر رمضان المبارك والمناسبات الدينية مثل العيدين ورأس السنة الهجرية.. إلخ.

وقد بدأت وزارة الأوقاف المصرية تنفيذ خطة للسيطرة على المساجد والزوايا عبر منع المتطرفين من اعتلاء منابرها وتخصيص دعاة معتدلين للوعظ والدعوة فيها، وتشديد أعمال التفتيش والرقابة عليها لضمان عدم تسلل أتباع التنظيمات المتطرفة إليها.

٣- استهداف مؤسسات الرعاية الاجتماعية:

فالإخوان أنشأوا شبكة اجتماعية كبرى، كثير منها خارج سلطة الدولة والقانون، وقيضوا لها من الأتباع والأموال الكثير مستغلين عجز الدولة عن توفير الخدمات كافة لسائر المواطنين واتساع رقعة التهميش الاجتماعى وعلى التوازى استغلوا شبكات أخرى أقامتها جمعيات وهيئات دينية خيرية على مدار عقود فى الدعاية السياسية لهم وقد تنبه المتنافسون السياسيون للإخوان كذلك السلطة السياسية إلى هذا عقب ثورة يناير وتحديداً منذ الاستفتاء على التعديلات الدستورية فى ١٩ مارس ٢٠١١ والذى كان بداية خروج الثورة المدنية عن مسارها وسرقة الإخوان كجماعة دينية بحتة، لها، ولهذا بدأت هذه الشبكة توضع تحت المتابعة والمراقبة، بعد صدور تشريعات جديدة وإعلان الحكومة للإخوان «جماعة إرهابية» ويقظة الأحزاب السياسية المدنية إلى طول استغلال هذه الشبكة كمورد سياسى للإخوان وحلفائهم وتنبه الموسرون ممن كانوا يتبرعون لها إلى أن أعمالها ليست خيرية صرف إنما هى أحد مصادر القوة السياسية والاقتصادية للإخوان.

٤- المواجهة الشعبية:

فالإرهاب الذى تُتهم جماعة الإخوان بارتكابه أو بصناعة جزء منه أو مباركته والتواطؤ معه أو توفير غطاء سياسى له، لم يستهدف السلطة فقط، بل امتد إلى الشعب، فالقنابل تزرع فى مدارس الأطفال ومحطات المترو وعربات القطارات والميادين والشوارع، فى ظل خطاب تكفيرى يتعامل مع عموم الناس على أنهم «كفار» أو أعضاء فى «مجتمع جاهلى».

وهذا جعل القاعدة العريضة من الشعب تدرك أنها مستهدفة من الإخوان والجهاديين وأنها واقعة تحت تأثير العنف الرمزى واللفظى والمادى لهم، ولهذا عليها أن تستنهض قواها لمواجهتهم وقد تجسد هذا فى تلبية عشرات الملايين من المصريين لنداء الرئيس عبدالفتاح السيسى وقت أن كان وزيرا للدفاع للنزول إلى الشارع وتفويضه أو إعطائه أمراً - حسبما قال - للتصدى للإرهاب وهو الطلب الذى تكرر فيما بعد بأشكال متعددة وأقل وضوحا وكررته بعض وسائل الإعلام أو أنتجت هى خطابها الخاص الذى يطلب من الشعب أن يكون فاعلاً بشدة فى الحرب على الإرهاب والدفاع عن الدولة المصرية.

وقد ترجم الناس حضورهم فى المشهد من خلال تنظيم مظاهرات مضادة لتلك التى تطلقها جماعة الإخوان وأتباعها، وعقد مؤتمرات ولقاءات جماهيرية للغرض نفسه، والتصدى لكتائب الإخوان الإلكترونية على مواقع التواصل الاجتماعى

«فيس بوك» و«تويتر» ومقاطعة وسائل إعلام الإخوان مرئية ومسموعة ومقروءة والضغط على الدولة أحياناً كى تكون حازمة وحاسمة فى مواجهة الإخوان وإطلاق النكات على الجماعة وأتباعها وهى وسيلة من وسائل المقاومة بالحيلة التى اشتهر بها الشعب المصرى عبر تاريخه المديد.

وترتب على فقدان «جماعة الإخوان المسلمين» و«التيار السلفى» للكثير من عمقهم الاجتماعى الذى صنعوه فى دأب ومثابرة عدة آثار، هى فى وجهها الآخر تعد بعض مظاهر تسطح هذا العمق أو إصابته تدريجياً بالضحالة يمكن ذكرها على النحو التالى:

١- إعادة صياغة الصورة الإخوانية والسلفية:

فقبل ثورة يناير كانت جموع الناس أو أغلبيتهم الكاسحة تتعامل مع الإخوان على أنهم إما «ضحايا» وإما «شهداء» وإما «مناضلون» جراء السياسات غير الحصيفة التى كان يتبعها نظام حسنى مبارك ضدهم وجنى الإخوان من هذه الصورة الإيجابية أرباحاً اجتماعية وسياسية كبيرة.

لكن تصرفات الإخوان عقب الثورة جرحت هذه الصورة وأتت على شكلها فى مخيلة الناس وذائقتهم العامة وعقلهم الجمعى وتراجع هذا العمق الرمزى ألقى بظلال ثقيلة على العمق الاجتماعى للإخوان إلى حد كبير.

كما أن صورة شيوخ السلفيين على أنهم «طهرة بررة» وعلماء أجلاء و«زهاد عباد» قد خدشت وتهاوت إلى حد بعيد بعد أن

اجتهد منافسوهم فى نزع الطلاءات الزائفة عنهم وتقديمهم إلى الناس على حقيقتهم وسهلوا هم لمناوئيهم المهمة بتناقضهم وسلاطة ألسنتهم وانتهازيتهم واستعلائهم على سائر الناس.

٢- تقليص قدرة الإخوان والسلفيين على التعبئة والتجنيد:

وظهر هذا فى تضاؤل إمكانية جماعة الإخوان والتنظيمات والجماعات المتحالفة معهم، وبعضها متطرف فكرياً ويرتكب أعمال عنف منظم وإرهاب على حشد أنصار لهم فى المظاهرات المستمرة التى ينظموها ضد السلطة التى نشأت بعد إسقاط حكم الإخوان إثر خروج عشرات الملايين ضدهم وانحياز الجيش لهم مثلما فعل فى ثورةيناير.

وعلى التوازى بات السلفيون سواء المنضمون إلى أحزاب سياسية على رأسها «حزب النور» أو غير المنتظمين فى كيانات سياسية تساورهم شكوك عميقة فى إمكانية حصد الشعبية التى كسبوها فى انتخابات برلمان ٢٠١٢ نظراً لفقدان الثقة فيهم وتراكم سلبيات عديدة على صورتهم التقليدية السابقة.

٣- تزعزع المنتمين للإخوان والسلفيين:

فالتأثير لم يقف عند حد المتعاطفين مع الإخوان والأحزاب السلفية بل طال الكتل الاجتماعية الداخلة فى بنيتها أو المنضوية تحت لوائها فبعض الإخوان باتوا أقل ثقة فى قياداتهم ويحملونها مسئولية هذا الوضع المزرى الذى أصاب الجماعة فى مقتل وهناك من رفضوا الانخراط فى العنف الذى تصر

القيادة على انتهاجه وتوجد مجموعات من الشباب أعلنت انشقاقها بالفعل وخرج كثيرون من «حزب الحرية والعدالة» المنحل وهو الذراع السياسية للجماعة.

وحدث الأمر نفسه بالنسبة للسلفيين، إذا حدث نزاع فى صفوفهم فبعض أحزابهم مثل «الوطن» و«الأصالة» و«الفضيلة» تحالفت مع الإخوان وناصرتهم قبل سقوط حكمهم وبعده بينما ذهب حزب «النور» فى الاتجاه المضاد على الأقل بالنسبة لقياداته أو موقفه الرسمى وبقيت قطاعات من «السلفية السائلة» حائرة متقلبة بين تأييد الإخوان ومعارضتهم والالتزام بالحياد الصامت لكن فى عمومهم لم يعودوا واثقين فى قياداتهم مثلما كان قائماً بعد فوزهم بالمركز الثانى فى برلمان ٢٠١٢.

ثانياً: عيوب متأصلة تؤثر على فرص احتفاظ «الإسلام السياسى» بعمقه

هناك عدة عيوب تصم الجماعات الدينية السياسية بوجه عام تؤثر دون شك على قدرتها سواء فى تعميق وجودها أو غيره يمكن ذكرها على النحو التالى:

١- فساد منشأ هذه الجماعات فأصل الفكرة خاطئ أو فاسد ألا وهو تحويل الإسلام كدين إلى أيديولوجيا بائسة وفى هذا دون شك انحراف بالدين الخاتم عن رسالته الأساسية التى ترمى إلى تحقيق الامتلاء الروحى والسمو الأخلاقى والخيرية بما تنطوى عليه من تراحم وتكافل وبذل وعطاء عينه القرآن

الكريم بوصفه النص المؤسس للإسلام وجسده الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم فيما صح عنه من أقوال وما كان يأتيه من أفعال، جعلت من حوله يقولون عنه كان قرآناً يمشى على الأرض.

وتنطبق على مشروع الجماعات الدينية السياسية مقولة: الدودة فى أصل الشجرة ولهذا فهى مهما قدمت من معالجات ومقاربات تحاول من خلالها أن تطرح نفسها بديلاً متكاملاً أو تقدم حلولاً للمشكلات التى تعترض طريق الناس، فإنها تخفق بشكل واضح وفاضح لخطأ الإطار الذى تستند إليه كمرجعية والمتمثل فى أدلجة الإسلام.



سكينة فؤاد

كان وجودها ضرورياً فى المشهد الثورى ليلة ٣ يوليو.. لأنها تمثل المرأة المصرية التى أدركت أن بلادها تضيع.. وهى حارسة البيت ولا يمكن أن تظل تابعة خلف الجدران ترى كل ما يحدث ولا تقول كلمتها.. وتعلن رأيها.. ونزلت إلى الميدان فى التحرير.. وصرخت بأعلى صوتها: ارجعى يا مصرنا.. لنا.. ارجعى بوسطيتك واعتدالك وتسامحك ومحبتك الودودة بين أهلك على اختلاف أشكالهم وعقائدهم.. وعادت مصر.. ونجحت الأم أن تجمع شتات الأسرة حولها.. وأن تحاسب الشارد والوارد.

ظهرت سكينة فؤاد فى المشهد التاريخى ٣ يوليو.. تقديراً للمرأة وما أجمل الاختيار أن تلخصه هذه السيدة الفاضلة الكاتبة الأصيلة صاحبة المواقف الواضحة والجدية التى لا تقبل النقض أو الإبرام.

ظهرت فى مشهد تم ترتيبه بعناية بالغة.. فيه وزير الدفاع السيسى.. ورئيس أركانه صدقى صبحى.. ورئيس العمليات محمود حجازى والبرادعى ورئيس المجلس الأعلى للقضاء المستشار حامد عبدالله.. والشاب محمود بدر ممثل حركة تمرد وزميله محمد عبدالعزيز الذى سرعان ما تمرد على تمرد وذهب إلى فصيل حمدين صباحى فى انتخابات الرئاسة التى اكتسحها السيسى فيما يشبه الإجماع.. وكان المشهد يضم أيضاً ممثلاً لحزب النور وقادة الجيوش البحرية والجوية والدفاع الجوى ومساعد وزير الدفاع.

ظهور الأستاذة سكينة جاء فى محله ويكشف كيف أن هذه الثورة ما جاءت تصفى الحسابات ولكن تعيد ترتيب البيت المصرى على أساس من المساواة والعدالة والاحترام.. والأستاذة هى:

كاتبة صحفية وروائية مصرية، والنائب الأول لرئيس حزب الجبهة الديمقراطية المعارض فى مصر ونائبة فى مجلس الشورى المصرى.

ولدت سكينة فؤاد فى ١ سبتمبر ١٩٤٥ بمدينة بورسعيد «شمال شرق القاهرة»، حصلت على ليسانس الآداب من كلية الآداب جامعة القاهرة عام ١٩٦٤.

بدأت سكينة فؤاد حياتها العملية فى الصحافة ومن ثم الأدب، تزوجت من الصحفى أحمد الجندى مدير تحرير جريدة الأخبار المصرية، الذى توفى فى أبريل ٢٠٠٤.

وشـــغلت عــدة مناصب منهـــا مــدير تحــرير مــجلة الإذاعــة والتلفزيون، ولديها مقال أسبوعى فى جريدة الأهرام المصرية، وأيضـا جـريدة الوفـد، عـرف عنهـا اهتـمـامـهـا بقـضـايا الأمن الغذائى فى مصر وانتقاداتها لوزير الزراعة المصرى السابق يوسف والى.

وكانت أحد المستشارين ضمن الفريق المعاون للرئيس محمد مرسى، إلا أنها تقدمت باستقالتها احتجاجًا على الإعلان الدستورى المكمل فى نوفمبر ٢٠١٢.

من أشـهر مـؤلفـاتهـا، ليلة القبض على فـاطمـة «رواية» ١٩٨٤ والأعمال الكاملة «كتاب» ١٩٩٧ يجمع عدداً من مقالاتها حول الأمن الغذائى فى مصر والنقد للفساد والتلوث الغذائى، وامرأة يونيو «كتاب» ١٩٩٨، وترويض الرجال «كتاب» ١٩٩٨، حروب جديدة «كتاب» ٢٠٠٣ وبنات زينب «رواية»، ودوائر الحب.



عدلى منصور

عندما أصدرت قيادة ثورة ٣٠ يونيو قرارها بأن تذهب رئاسة الجمهورية إلى رئيس المحكمة الدستورية.. بدأت الناس تتكلم عن المستشار عدلى منصور الذى تولى منصبه القضائى قبل ٣ أيام من الثورة.. وراحت الأسئلة تدور حول الرجل الذى ظهرت صورته بعد ذلك وقوراً مهيب الطلعة يتحدث بهدوء.. ويتصرف بإيقاع خاص.. وكأنه رجل المرحلة بين النار والماء ومصر تخرج من مرحلة إلى أخرى فى وقت خانق حاصروا فيه البلاد من الخارج وأشعلوا فيها الحرائق والدم من الداخل.

وظل الرجل محتفظا بذات الهدوء.. حتى يمكن أن تتحول خارطة الطريق إلى واقع.. وانتصرت عقلية الهدوء والرشاد والحكمة على التهور والانفلات والانقسامات.. ونجح القاضى الجليل أن يسلم راية القيادة إلى الرئيس الذى اصطفاه الشعب واختاره..

وطوال فترة قيادته للأمور ظلت ملامحه كما هى إلا فى لحظات عزيزة غالية أفلتت الدموع حزنا على شهداء الوطن وهو يحتضن الأب والأم وهما فى صلابة وبأس من حديد ويقدمان كل ما لديهما من مال وبنين فداءً للوطن لهذا رأيت أن عدلى منصور الذى تحدث المشهد عنه وهو غائب ثم كان حضوره بعد ذلك.. هو الاستمرار للمشهد التاريخى.. فهل يمكن أن نتجاهله ونحن نقرأ صورة ٣ يوليو.. وما فيها عدلى منصور يستحق فى فترة رئاسته التى قضاها على جمر النار وهو ينظر إلى الماء.. هذه الفترة فيها الكثير من الخبايا والأسرار والحكايات والمفاجآت التى تستحق أن نرويها عن رئيس جاء إلى السلطة رغم أنفه.. لا هو سعى إليها ولا طلبها.. ولكنه وجدها بين يديه ملتهبة ومشتعله.. وقبض عليها بقلب شجاع وعقل بارد.. ومضى بخطوات الواثق بالله وبقدره وقدراته وأدارها وفقاً لمقتضيات الحال كأنه السياسى المحنك. وبدأت خارطة الطريق تتحقق رغم أنف المكائد.. ما ظهر منها وما بطن.

ومن اللحظة التى وقعت المسئولية على أكتافه حتى سلمها كاملة غير منقوصة إلى صاحبها الذى اختاره الشعب.. كان البعض يراه لغزاً.. والبعض الآخر يراه حكيماً أكثر مما تتطلب المرحلة الشائكة.. وفى كل هذا كان يحكم قبضته على الدفة بطريقة أذهلت الجميع كأن صاحب الوشاح القضائى قد ولد فى قصر الرئاسة.

هو رئيس المحكمة الدستورية العليا المصرية عدلى محمود

منصور الذى أصبح رئيساً مؤقتاً لمصر، وذلك بعد أن أطاح الجيش بالرئيس المصرى محمد مرسى.

وأوقفت القوات المسلحة العمل بالدستور فى الثالث من يوليو، كما أعلن القائد العام للقوات المسلحة الفريق أول عبدالفتاح السيسى عن أن منصور سيتولى مهام الرئاسة حتى تجرى الدعوة لانتخابات رئاسية مبكرة.

وبعد أن كان نائباً لرئيسها منذ عام ١٩٩٢، انتخب منصور رئيسا للمحكمة الدستورية العليا فى مايو عام ٢٠١٣ من قبل جمعيتها العامة المؤلفة من ١٠ أعضاء بعد تعديل قانونها وفقاً لدستور ٢٠١٢.

وكان من المفترض أن يحلف اليمين رئيساً للمحكمة فى الأول من يوليو إلا أن الأحداث التى جرت فى الثلاثين من يونيو حالت دون ذلك.

وحصل منصور، الذى ولد فى القاهرة عام ١٩٤٥، على شهادة الليسانس من كلية الحقوق بجامعة القاهرة عام ١٩٦٧، والتحق بمجلس الدولة عام ١٩٧٠، ليتقلد عدداً من المناصب حتى عين نائباً لرئيس المحكمة الدستورية العليا عام ١٩٩٢.

ترأس منصور جلسات الاستماع الدستورية عام ٢٠١٢ والتى ألغت قانون «العزل السياسى» الذى كان يحظر على أعضاء النظام السابق التنافس فى الانتخابات.

وكان من شأن ذلك القانون أن يسمح لأحمد شفيق آخر رئيس

للوزراء فى نظام مبارك أن يخوض السباق كمرشح فى الانتخابات الرئاسية الأخيرة.

ويبدو أن اسم منصور قد ظهر لأول مرة حين اقترح أن يتولى رئاسة البلاد فى الثلاثين من يونيو.

ففى اليوم الأول من موجة الاحتجاجات التى خرجت فى الثلاثين من يونيو قامت مجموعة تطلق على نفسها اسم «الشعب يريد» بتوزيع عريضة على المتظاهرين يطالبون فيها بتشكيل مجلس رئاسى لإدارة البلاد، ووضع منصور على رأس قائمة أعضاء ذلك المجلس.

وقد رحب مستخدمو موقع المدونات المصغرة والتواصل الاجتماعى تويتر بتعيين منصور رئيساً مؤقتاً لمصر.

وقد وصف المستشار حامد الجمل منصور بأنه رجل «هادئ الطباع» يصدر قرارات متوازنة، وسيعمل على احترام إرادة الشعب المصرى.



المستقبل الآن

الثورات لها أهدافها التى تقام وتندلع لتحقيقها وغالباً ما يتم لهذه الأهداف أن تصبح واقعا.. إلا بعد سنوات.. ولكم فى الثورتين الفرنسية والروسية وغيرهما الكثير من الدروس لكن بفضل الله ولطفه.. سرعان ما تعود مصر إلى مسارها الطبيعى فى زمن قياسى مقارنة بغيرها.. لأن شعبها كتلة واحدة لا يشذ ولا يختلف عنها إلا أصحاب المصالح والأهواء والعملاء وقد عرفناهم جيداً.. وانكشفوا لنا.. وقد رفضوا الاستسلام والدعوة التى تكررت كثيرا عودوا إلى رشدكم.. عودوا إلى وطنكم.

لكنهم ظلوا فى غيهم يعمهون.. وحاربوا بالسلاح.. وبالشائعات وبكل السبل أن يضربوا بلادهم من جيشها وشرطتها وقانونها واقتصادها.. لكن المسيرة تمضى.. وثمار ٣٠ يونيو تنمو وتتكاثر وشجرتها تمتد بجذورها فى الأرض.. ويعترف رئيس الجمهورية على الملأ بعد خطوات الإصلاح الاقتصادى وخاصة عند تعويم الجنيه.. أن الغلابة هم الأكثر تضرراً.. وقال الأغبياء كيف لدولة تعانى أن تقتحم كل هذه المشروعات بحجم هائل من

المليارات ويأتى الجواب من خبراء الاقتصاد والسياسة.. لا يمكن لدولة أن تحارب فقرها.. إلا إذا امتلكت القوة التى تحميها براً وبحراً وجواً.. ولا يمكن لها أن تحقق الرخاء.. إلا إذا فتحت أبواب الاستثمار والصناعة ونهضت بالتعليم والصحة.. ووفرت البنية الأساسية فهل يمكن لمستثمر أن يأتى إلى بلد دون كهرباء أو ماء أو غاز؟.. أو طريق أو موانىء؟

وكان من السهل على قائد ثورة ٣٠ يونيو أن يعمل ما يبهر الناس اليوم ويكذب عليهم بانتعاش زائف.. ثم إذا جاء الغد اكتشفوا الحقيقة المرة.. حدث هذا مع السادات وانفتاحه السداح مداح حيث رأينا مبارك فى سنوات حكمة الأول يصرخ بأعلى صوته: أجيب منين وقد تراكمت فوائد الديون وبدلاً من أن يمد يده للإصلاح الحقيقى من الجذور لجأ إلى المسكنات وكانت النتيجة بعد أن سلم الوطن كشقة مفروشة إلى كبار رجال البزنس يأكلونها فى بطونهم ناراً على حساب الشعب المسكين حتى وصلنا إلى درجة الخراب الكامل فى جميع أوجه الحياة.. وأهمها انهيار منظومة الأخلاق حيث ساد قانون الفهلوة وفتح مخك وإبرز تنجز وأصبح كل شىء على أرضنا قابلاً للبيع والشراء كما حدث بعد ذلك أيام الإخوان.. حتى الأرض نفسها.

ارفع رأسك!

لأنهم يعرفون بلادنا أكثر مما نعرفها.. يحاربونها سراً وعلانية.. فى اقتصادها وفى سياستها وفى أخلاقياتها.. يحاربونها عن بعد وعن قرب.. بأيديهم وبأيدى بعضنا.. وفى هذا الوقت العصيب العاصف.. ولأن الذكرى تنفع المصريين.. من المهم أن نعيد قراءة ما كتبه الدكتور وسيم السيسى الجراح الفرعونى المعاصر العاشق لتراب البلد.. فى كتابه «مصر علمت العالم»:

فقد علمته الإيمان بالإله الواحد وقد كتب إخناتون فى بردية موجودة بالمتحف البريطانى: أيها الواحد الأحد الذى يطوى الأبد يا مخترق الأبدية ونورك يحيط بجميع مخلوقاتك يا موحد نفسك بنفسك أنت حى وأزلى يا مرشد الملايين إلى السبل يا خالق الجنين فى بطن أمه.

حضارة مصر النهرية.. تعلمت من النيل جمع الشمل.. الحب وإلا هلكنا فى الصحراء.. علمنا النيل الوحدة والتوحد حتى نزرع وحتى نصد وحتى نعد خطر الفيضان.. النيل علمنا فضيلة الصبر فى انتظار المحصول علمنا صناعة الورق من البردى والحبر الأزرق من نبات «النيلة» والأقلام من البوص والدواء من النباتات الطبية كما علمنا النظام فى هندسة الرى.. والأمن الداخلى والخارجى.. والإدارة المالية وظهرت فى هذا الوقت أول حكومة فى التاريخ وهو التطور الطبيعى لمفهوم الدولة بمؤسساتها.

ومن وسيم إلى عبقرى الجغرافيا جمال حمدان الذى وصف مصرنا بأنها فلتة الجغرافيا التاريخية فهى فى أفريقيا بالجغرافيا وفى آسيا بالتاريخ وهى فى الصحراء ولم تعد منها بجسمها النهرى قوة بر وبسواحلها قوة بحر تقع فى الشرق وتطل على الغرب وهى قطب القوة للعالم العربى وحجر الزاوية للعالم الأفريقى وأصل الحضارة للعالم كله.. ورغم تعدد الغزوات التى مرت على مصر كانت تغييراً فى الحكام ولم تكن تغييراً فى شخصية مصر طردت الهكسوس وجعلت الإسكندر يعتنق الأمونية وجعلت روما تعتنق المسيحية ووضعت أسس الرهبنة فى المسيحية والتصوف فى الإسلام.. ودافعت عن الإسلام فى ذات الصوارى وحطين وعين جالوت كما بنت القلاع والمساجد والحصون وعمرت خزائن بغداد بنفائس الإسكندرية.. مصر هى التى جمعت الحديث النبوى الشريف وسجلته على ورق البردى فأصبح أقدم المخطوطات العربية..

ابن منظور القبطى المصرى وضع كتاب «لسان العرب» وجاء «ورش» القبطى المصرى يرتل القرآن الكريم الذى انتشر فى العالم كله بقراءة ورش حتى الآن.. وهنا يأتى دور عاشقة النيل د. نعمات أحمد فؤاد لكى تقول: سقت مصر الأديان بطبعها الفنان فتبدأ وتختم بالبياتى والبياتى نغمة حناجرنا.

يا أخى ارفع رأسك وافخر بجيشك العظيم الذى قال عنه نابليون بونابرت:

لو كانت جيوشى من المصريين لملكت العالم كله وعندما تعرف من يحكم مصر.. سأقول لك من يحكم مصر!

ياه.. إلى هذا الحد يا نابليون.. وعندنا فى مصر من يهين الجيش ولا يعرف قدر حاكمها ويتطاول عليه ويفتح الباب أمام تماحيك الاتحاد الأوروبى وألعاب أمريكا السافلة.. ومكائد تركيا وفلوس قطر التى تمول كل من يعادى بلادنا.. وركبها الغرور بأموالها ووقفاتها وظنت أنها عظمى ونسيت أنها لا تتجاوز حى شبرا الذى يزيد عليها عدداً وعتادا أضعاف الأضعاف.. وهى مع كل ذلك ولكل ذلك ثابتة بمخزونها الحضارى وأعطاها خاصية التفوق وكانت دائما تتصرف كدولة مستقلة لأن خصائص شخصيتها الاستراتيجية تكمن فيها دائماً وأبداً.

فهل يدهشك بعد ذلك إن كانت ولاتزال ضد التطرف فى كل شىء.. فهى عنوان الوسطية الكرم عندها بين الإسراف

والبخل.. والشجاعة وسط بين الجبن والتهور.. لذلك كان إسلام مصرنا مختلفاً عن إسلام الدول الأخرى وكذلك مسيحية مصر أيضا لهذا انقرضت الشيعة تلقائياً وزالت وهنا يضيف د. وسيم أن المصريين تهكموا على العزيز بالله الشيعى حين ادعى علم الغيب فتركوا له بطاقة فى أحد المساجد تقول:

بالظلم والجور قد رضينا
وليس بالكفر والحماقة
إن كنت أعطيت علم الغيب
فقل لنا من هو كاتب البطاقة؟!

مصر هى أم القانون.. وهو عنوان العدل والعدالة عندما يغيب عنها القانون تتغير ملامحها.. وتكاد لا تعرفها ولا هى تعرف نفسها حتى باتت هى القانون وبه تبلغ الشموخ والعلو.. ودونه تتعرى وتتوارى.

هل أنت مصرى؟

من كان يدعى أنه مصرى بحق فعليه أن يسأل نفسه كما كان يفعل أهل مصر القديمة والأسئلة منها:

هل حفظت جسدك طاهراً؟.. هل قتلت نفساً بغير حق؟ هل عذبت حيواناً؟ هل تعلقت بالدنيا بسلاسل من ذهب؟ هل عميت عن أمور الآخرة؟ هل صنت نفسك ولسانك عن شهادة الزور؟ هل عرفت السحر الأسود ودنست نفسك؟ هل خنت جارك أو

صديقك الذى ائتمنك على عرض بيته؟ هل اعتنيت بالنباتات وأطفأت ظمأها؟ هل كرهت إنساناً؟ هل جلبت الرضا لقلب أمك والشرف لبيت أبيك؟ هل امتدت يدك لسرقة ما ليس لك؟ هل أعطيت خبزك للمحتاج؟ وبعض ثمار حقلك للمنهكين؟ هل كنت تلوث نهر النيل؟

مصريات

اهربوا من صغائر الأمور.. فإن بلادكم كبيرة.. وأنتم أكابر!

●● كثرة الكلام تقتل الرغبة فى الفعل.. وتفتح أبواب الشيطان.. وأعوانه وإخوانه من حولنا فى مواقع عديدة.. داخل مصر وخارجها!

●● من أراد تقسيم مصر.. قصمه الله

●● تجار الدجل والشعوذة والتنجيم والإغلال لا يعادلهم فى الشيطنة إلا تجار الدين!

وجاء من يحاول جاهداً مخلصاً أن يعمل لأجلها بلا شلة أو محاسيب وبدأ المشهد بأن أخرج ما فى جيبه ومحفظته من ماله الخاص يضعه فى حساب مال الشعب فى إشارة إلى أن لحظة استعدال المايلة قد بدأت من أكبر رأس إلى أصغر مواطن.. ثم توالت الإشارات مرة فى صورة إنسانية بالتعاطف مع الغلابة فعلاً وليس قولاً.. ومرات أخرى فى مشاريع لبناء محطات كهرباء حديثة بعد أن بلغنا درجة العودة إلى لمبة الجاز نتيجة انهيار المحطات القديمة التى أكل عليها الدهر وشرب لغياب

الصيانة والإهمال ثم بدت الطرق فى أغلبها مجرد مدقات فيها من الحفر والمطبات أكثر مما فيها.. مما يؤهلها لتصل بين البلاد وبعضها وتسهل أمور الناس واكتشفنا أن أغلب المحافظات البعيدة مقطوعة الصلة بالوطن الأم وكانت سيناء فى المقدمة معزولة تماماً فى حالة طلاق عن سائر البلد كأنها ليست منا ولا نحن منها رغم كل ما دفعنا فيها من المهر الغالى بالدم والمال والرجال وها هى بالكبارى والأنفاق العملاقة تعود إلينا ونعود إليها نزرعها بالناس وهم أقوى حوائط الصد ضد عدو يتربص بنا وينغص علينا حياتنا مهما حاول أن يتمسكن وأن يدعى بأنه يبغى السلام.

كان المواطن أرخص سلعة وقد نهشت فيه الأمراض وحاصره الفقر والجهل والعشوائية ولم يجد من يحنو عليه حتى جاء من يقف معه فى خندق محاربة فيروس سى وأوجاع الكبد والقلب والحروق بالمجان فى العاصمة ومحافظات بحرى وقبلى.

اشتغلت الرقابة فظهر كبار الحرامية حتى لو كان وزيراً فى الحكومة أو فى سلك القضاء فلا تستر على فاسد وتحرك الرئيس بين الناس هم يتكلمون وهو يسمع يقف الشباب ينتقد المحافظ ويقف الحاج حمام يشرح ويطالب بحقه.. على رءوس الأشهاد لا يمنعه حارس ولا يبعده مسئول ثم يقول الرئيس لرجاله علناً أمام الجميع كلنا فى خدمة المواطن فلا تهملوا حقوق الوطن وأرضه وماله لأن مصر ليست «طبونة» أو نهيبة ولن نتركها مرة أخرى على المحارة ها هى تنفض عن نفسها غبار سنوات

التراجع تبنى موانيها وتؤسس لتعليم صحيح وتحارب العشوائية فى كل شىء مع رئيس يراهن على شعبيته بقرارات قد تكون مؤلمة لكنها ضرورة لإصلاح تراكمات قديمة ومتوارثة ولأنه عفيف وليس من النوع الذى يتهرب من مسئولياته ويلقيها على غيره لتجميل وجهه أمام الناس.. فمن تعود على المصارحة والتصدى والمقاومة لا يحتاج إلى المناورة واللف والدوران البلد على المحارة.. مدوا أيديكم وقلوبكم وضمائركم وبسم الله دقت ساعة العمل أيها العاطل والمتكاسل والمتآمر والمتخاذل فلا تترك رئيسك وحده فى الميدان مع قلة من شرفاء التعمير والتدبير والنظر إلى الأمام لسنوات من أجل الأولاد والأحفاد وتحملوا جميعاً فاتورة الإصلاح الحقيقى الذى يبدأ على نظافة فلا يوجد إنسان ضعيف ولكن يوجد من يجهل مواطن قوته ومصرنا ميزها الله سبحانه وتعالى بكل ما هو جميل دينياً ودنيوياً وهو حارسها وحاميها وراعيها بفضله وكرمه.. ولا تفقد صبرك فالأشياء لا تأتى إلا بعد صبر جميل ولا تنتظر من غيرك أن يلون حياتك فقد تكتشف أنه لا يحمل فى يده سوى القلم الأسود.

لكن هل يمكن أن ينتصر القلب الطيب النقى.. على حامل الآلى والقنبلة؟! والإجابة يمكن أن تبدأ بسؤال: وكيف انتشر الإسلام فى أرجاء العالم إلا بالكلمة الطيبة والمعاملة الحسنة والمودة والأمانة؟ ولكن هل يمكن أن يتحقق هذا القول فى عالمنا العنيف الصاخب الشرس وهل يمكن لسياسى مهما كانت براعته أن يعتمد على لسانه العفيف.. وأمانته فى السر والعلن.. وضميره الحى الذى لا يخشى إلا الله؟

فى علم السياسة يقول الفلاسفة: إن الأخلاق تتعارض كثيراً مع لعبة السياسة التى تعتمد على المناورة والمصالح وقالوا لو طبقنا منهج الأخلاق فى دنيا السياسة لكان أولى بأهل المسيحية ترشيح البابا رئيساً.. ونفس الحال بالنسبة للمسلمين حيث لن يجدوا أفضل من شيخ الأزهر الشريف وأمامهم الأكبر لكن الحال يختلف تماماً فى حلبة السياسة وعند أهل اليابان مثال بديع فقد قالوا: «إذا كان لديك طائر لا يريد أن يغرد ماذا تفعل معه؟ سيقول المحارب اقتله فوراً.. حيث فى العسكرية لا مجال للمناطق الرمادية بين الأبيض والأسود ومع نفس الطائر الذى لا يغرد ولا يريد سيقول السياسى اليابانى: سأتركه وانتظر ربما يغرد يوماً.. وسيقول العامل سأعلمه كيف يغرد وأحاول وأكرر المحاولة».

وفى عالمنا العربى بتقاليده وأعرافه قال الخبراء إن السياسى الناجح لابد أن يمتلك المعرفة والتجربة والأمانة والموهبة.

وها هو «عبدالفتاح» يقلب هذه الموازين والنظريات ويبث للدنيا كلها أن سلاح الإنسانية قد يكون أشد أثراً وتأثيراً من النووى لأنك به تمتلك العقول والقلوب وهى التى تحرك السلاح وتستخدمه.

سلاح عبدالفتاح الإخلاص فيما يفعل فهو العاشق المحب لبلاده والمبدأ المهم فى العلوم السياسية فكر عالمياً ونفذ محلياً وقال ديفيد لويد جورج: «إذا كنت تريد النجاح فى السياسة يجب أن تراقب ضميرك دائماً».. واعلم أن الفقر ليس جريمة سلاح عبدالفتاح قد لا يكون فتاكاً ولا قاتلاً ولا مدمراً لكنه

حتماً السلاح المنتصر ولو بعد حين كما وعد ربنا سبحانه وتعالى وقد تعهد أن يدافع عن الذين آمنوا وزمان سألوا نهرو الزعيم الهندى كم مشكلة عندك؟ فقال ٥٠٠ مليون مشكلة أى بعدد سكان بلاده فانظر كيف يواجه عبدالفتاح ١٠٠ مليون مشكلة وهو يراهن على أن حلها وإن كان صعباً ليس مستحيلاً بشرط أن يتكاتف الجميع ضد أهل الشر من داخلنا وخارجنا وأن نبحث عن الأمل بالعمل وليس بالتمنى فقط سلاح عبد الفتاح وقانونه أن يعمل طمعاً فى رضا ربه ونصره.. فهل نتركه يحمل سلاحه وحده.. ونكتفى بالفرجة والتصفيق وقد قال الحكيم: «راقب أفكارك لأنها ستصبح كلمات وراقب كلماتك لأنها ستصبح أفعالاً.. وراقب أفعالك لأنها ستتحول إلى عادات.. وراقب عاداتك لأنها تكون شخصيتك وتحدد مصيرك».

صناعة المستقبل

بعد ٣ سنوات من ٣٠ يونيو.. ماذا جرى؟ ماذا تغير؟ ما هى الخطوات التى قطعناها نحو الآمال العريضة لكى تعود مصرنا إلى مكانتها بين العالمين وأن تكون «أم الدنيا وقد الدنيا» أليست هذه جملته الشهيرة قبل أن يتولى رئاستها فماذا فعل لكى يحققها أم أنها كانت مجرد كلمات تقال ويصفق لها الناس ونجدها فى الأغنيات ثم تأكلها وحوش النسيان.

الإجابة فى تقرير صدر عن رئاسة الجمهورية يتحدث عن الطموحات وعما جرى بالفعل خلال عامين.. وجارٍ استكماله فى العام الثالث وما هو تحت التنفيذ.

(الحمل الثقيل)

فور تنصيبه رئيساً للجمهورية وضع الرئيس عبد الفتاح السيسى المحاور الأساسية لمنهج عمل إدارته وقبل أن يتعهد للشعب المصرى بالإنجاز صارحه بحقيقة الإرث الثقيل من التحديات والمشكلات من التجريف السياسى والتردى الاقتصادى والظلم الاجتماعى وغياب العدالة التى عانى منها المواطن المصرى لسنوات ممتدة وأنه ليس من الأمانة والواقعية أن يعد المواطن المصرى البسيط التخلص من هذة التركة المثقلة بمجرد تقلده مهام منصبه الرئاسى.

ولكنه أشهد الله تعالى أنه لن يدخر جهدًا لتخفيف معاناة الشعب المصرى ما استطاع.. واعدا المصريين بأنهم سيجنون ثمار هذة الفترة الرئاسية وبأن الدولة ومؤسساتها ستحرص على تحقيق معدلات إنجاز غير مسبوقة ما دامت إدارة المصريين بارزة وفاعلة فى مسيرة العمل الوطنى.

بدأ السيد الرئيس عبد الفتاح السيسى بالعمل على ٨ محاور رئيسية تعمل الدولة على تنفيذها منذ توليه مقاليد حكم البلاد فى يونيو ٢٠١٤ وتبلغ قيمتها تريليوناً و٤٠ مليار جنيه.

المحور الأول

٥٠ مليار جنيه تكلفة مشروع تنمية محور قناة السويس

إنشاء مناطق صناعية ولوجستية

يقوم المشروع على استغلال الإمكانيات الحالية لقناة السويس فى موانئها، والمناطق الصناعية فى تنميتها، واستغلال الظهير الجغرافى لها فى إنشاء مناطق صناعية، ولوجستية تعتمد على استغلال البضاعة المارة فى قناة السويس فى إنشاء هذه الكيانات، وربط سيناء بمصر عن طريق التنمية من خلال المشروع، بالإضافة إلى ٧ أنفاق يتم إنشاؤها.

الحيز الجغرافى للمشروع هو ميناء شرق بورسعيد، والظهير الجغرافى له، وميناء غرب بورسعيد، وميناء العريش، ووادى التكنولوجيا بشرق الإسماعيلية، والمنطقة الصناعية بشمال غرب خليج السويس، وميناء السخنة، وميناء الأدبية.

جذب السكان

يعمل المشروع على خلق كيانات، ومجتمعات عمرانية جديدة فى المنطقة لجذب كثافة سكانية لإعادة التمركز بمدن القناة، وسيناء، والاستعداد من جميع الوجوه للاستفادة من نمو حجم

التجارة العالمية خصوصاً فى وجود كيانات اقتصادية عملاقة مثل الصين، ودول جنوب شرق آسيا، والهند، والتى من الممكن أن تغزو السوق الأوروبية والولايات المتحدة فى الفترة القادمة، والتى ستمر حتما من خلال قناة السويس.

النتائج المتوقعة من المشروع

١- تحول مصر لمركز اقتصادى، ولوجستى عالمى صناعى وتجارى مؤثر فى التجارة العالمية من خلال خلق كيانات صناعية ولوجستية جديدة بمنطقة المشروع.

٢- تعتمد أنشطة المشروع على القيمة المضافة، والصناعات التكميلية، وإعادة التصدير للداخل والخارج، وذلك من خلال مناطق توزيع لو يستية يتم تجهيزها لهذا الغرض، واستغلال الكيانات الحالية ومشروعات تطويرها المستقبلية.

٣- تشجيع رءوس الأموال الوطنية والعربية والأجنبية وجلب أكبر قدر من الاستثمارات للمشاركة فى تنفيذ المخطط العام للمشروع وبما يحقق أهدافه دون المساس بالأمن القومى المصرى.

٤- خلق رواج اقتصادى بالمنطقة، وإتاحة أكبر عدد من فرص العمل لأبناء مدن القناة وسيناء والمحافظات المجاورة، مما يسهم فى الارتقاء بمستوى المعيشة والمستوى الاجتماعى للشباب المصرى.

٥- التركيز على إنشاء مراكز تدريب فنية وتخصصية وبناء

مـجـتـمـعـات عـمـرانـيـة مـتكاملـة داخل حـيـز المشـروع ومـرتـبطة بأنشطته وتحـويل ديمـجرافـى للسكان من القـاهرة والمناطق ذات الكثافة العالية إلى محافظات منطقة تنفيذ المشروع.

٦- تحسين موارد وزيادة الدخل القومى المصرى وعلى الأخص من العملة الصعبة نتيجة الزيادة المتوقعة لدخل قناة السويس من زيادة مــعــدلات مــرور الســفن بالمجــرى الملاحى ارتبــاطاً بالمشروع القومى وكذا الزيادة المتوقعة لحركة النقل البحرى من وإلى جمهورية مصر العربية وموانئ المشروع.

٧- اســتـغــلال مـوقـع المشـروع كـمـوقـع مـحـورى للاتصــالات الإلكترونية للعـالم أجمع وبالأخص فى منطقـة البحـر المتوسط والأحمر (قناة سويس إلكترونية).

٨- إتاحة الفرصة للشركات والمؤسسات الوطنية للاشتراك فى تنفيذ المخطط العام للمشروع والبنية التحتية له طبقا للمقاييس العـالمـيـة وبما يحـقق انتـعـاشـة لهـذه الشـركات ويمثل إضـافـة لإمكانياتها المادية وخبراتها المكتسبة وتحسين أوضاعها المادية وأوضاع العاملين بها.

المحور الثانى

١٥٠ مليار جنيه هو تكلفة المشروع القومى لتنمية سيناء

مدن سكنية

تعمل القوات المسلحة بشراكة مع العديد من الشركات الوطنية

على إنشاء ٧٧ ألفاً و٢٣٧ وحدة سكنية فى شبه جزيرة سيناء قبل نهاية ٢٠١٨ .

تم الانتهاء من أعمال الرفع المساحى، والتصميمات الخاصة بتنفيذ مدينة رفح الجديدة بإجمالى ١٠ آلاف وحدة سكنية، و٤٠٠ منزل بدوى، ومنطقة خدمات.

يجرى حالياً إزالة المنشآت فى المنطقة التى سيتم إنشاء المدينة بها، وتجهيز الأرض، ودفع التعويضات اللازمة للأراضى بواسطة محافظة شمال سيناء.ستنتهى المرحلة الاولى من مدينة الإسماعيلية الجديدة فى أكتوبر ٢٠١٧ بإجمالى ١٢ ألفاً و٢٤٤ وحدة سكنية بنسبة تنفيذ ٧٢٪.

جرى العمل على إنشاء ٤٥ ألفاً و٧٥٦ وحدة ضمن المرحلة الثانية للمدينة، وإجمالى عدد الوحدات السكنية المنفذة بالمشروع ٥٨ ألف وحدة سكنية.

يجرى التخطيط حالياً لإنشاء مدينة السويس الجديدة شرق القناة شمالى مدينة عيون موسى.

تم تنفيذ محطة وشبكة صرف صحى بمدينة الطور بطاقة ١٠ آلاف متر مكعب لكل يوم بنسبة تنفيذ ٦٥٪.

التنمية الزراعية

تم الانتهاء من استصلاح والقيام بأعمال البنية الأساسية، وزراعة (٧٠٠) فدان زيتون بمشاركة مجتمعية.

تم إنشاء ٨٥٠ صوبة زراعية، وتوزيعها على البدو.

تم الإنتهاء من إنشاء سحارة سرابيوم بطاقة ١٦ مترًا مكعبًا لكل ثانية. سحارة سرابيوم تعد أضخم سحارات العالم لعبور المياة العذبه اسفل مياه قناه السويس.

تعمل الدولة على تنفيذ مشروعات سريعة الأجل مثل «المزارع السمكية» لإتاحة فرص عمل للشباب لحين الانتهاء من الكيان الخاص بالمشروع.

التنمية الصناعية

تم تكليف الهيئة الهندسية بتنفيذ عدد (٢) منطقة صناعية

١- المنطقة الأولى مدينة الأثاث بدمياط على مساحة (٣٣١) فداناً وتشمل مجمع ورش صغيرة ومتوسطة - مصانع تكميلية - منطقة مصانع كبيرة منطقة استثمارية.

٢- المنطقة الثانية إنشاء عدد (١١) مصنعاً للنسيج وتصنيع الملابس الجاهزة بمحافظة القليوبية ضمن مشروع (وظيفتك جنب بيتك).

التنمية السياحية

تطوير مطار المليز لإتاحته للاستخدام المدنى، والمخطط الانتهاء منه فى أكتوبر المقبل.

يتم إنشاء مدارس، ومعاهد أزهرية فى شمال وجنوب سيناء،

إضافة للعمل على إنشاء جامعة الملك سلمان بن عبد العزيز بمدينة الطور على مساحة ٢٠٥ أفدنة.

تم الانتهاء من تطوير ورفع كفاءة ٨ وحدات صحية، بينما يجرى العمل على تطوير، ورفع كفاءة مستشفيين عامين بمدن العريش، والشيخ زويد، إضافة لتطوير ورفع كفاءة ١٠ نقط إسعاف، وإنشاء ٤ نقط جديدة، ومخازن أدوية مركزية بالعريش.

انتهت القوات المسلحة من رفع كفاءة، وتطوير٣ مستشفيات مركزية بمدن سانت كاترين، وطابا، وأبورديس، واستكمال الأجهزة الطبية فيها، فضلاً عن الإنتهاء من رفع كفاءة وتطوير ٥ وحدات صحية بمدن الجبيل، ووادى الطور، وأبو صويرة، ورأس سدر، ورأس مسلة، إضافة للانتهاء من تطوير ورفع كفاءة ١١ نقطة إسعاف.

مجموعة أنفاق

تصل إجمالى التكلفة المبدئية لحفر الأنفاق ٣٦ مليار جنيه ويعمل بالمشروع ٤ معدات حفر عملاقة ويمثل مشروع حفر الأنفاق أكبر مشروع لإنشاء الأنفاق فى العالم.

استطاعت مصر الاستفادة بخبرات الدول المتقدمة فى حفر الأنفاق مثل ألمانيا وسويسرا وإسبانيا.

تسهم الأنفاق فى تقليل حجم التكلفة للمواد الخام والنقل، وتقلل من حجم المعاناه فى الانتظار والعبور من الجهة الشرقية

الى الغـربيـة والعكس، والتى كـان يعـانى منهـا اصحـاب الاستثمارت، وبالتالى ارتفاع سعر التكلفة على المواطن البسيط.

لأول مرة فى العالم يعمل ٤ ماكينات حفر فى آن واحد، حيث تعمل حفارات TBM وفق أحدث تقنيات تكنولوجية تم التوصل اليها فى العالم كله.

فـيمـا تصل تكلفـة المعـدة الواحـدة ٤٥ مليـون يورو، وتكلفـة المعدات الأربع تبلغ حوالى ١٨٠ مليوناً.

المحور الثالث

٦٠-٧٠ مليار جنيه تكلفة مشروع المليون ونصف المليون فدان

يعتبر مشروع الفرافرة أضخم مشروع زراعى صناعى عمرانى فى تاريخ مصـر، باستصـلاح ١,٥ مليون فـدان تمثل المرحلة الاولى من المشـروع العمـلاق باستصلاح ٤ ملايين فدان بتكلفة تصل لـ ٦٠ مليار جنيه.

فى الخامس من مايو ٢٠١٦ أطلق الرئيس عبد الفتاح السيسى، إشـارة بدء حصـاد محصـول القمـح والشـعير، ضـمن مشـروع الـ١,٥ مليون فدان بمنطقة سهل بركة بالفرافرة.. لتبدأ عملية جنى ثمار المشروع الكبير.

يقسم المشروع إلى ثلاث مراحل:

معلومة هامة: متوسـط استصلاح الأراضـى الزراعية خـلال الـ ٦٠ سنة الماضية ٥٠ ألف فدان فقط فى العام الواحد.

يتضمن مشروع المليون ونصف المليون فدان ٤ محاور رئيسية:

١- استصلاح واحة الفرافرة بالوادى الجديد

٢- إنشاء شركة الريف المصرى الجديد

٣- إقامة آبار لاستصلاح الأراضى

٤- تنمية أراض بصعيد مصر

أهداف المشروع:

١- إنشاء ريف مصرى جديد وعصرى، تكون نواته سلسلة من القرى النموذجية تعالج مشكلات الماضى وتستثمر مقومات الحاضر.

٢- استغلال الأراضى الصحراوية وزيادة الرقعة الزراعية من ٨ ملايين فدان إلى ٩,٥ مليون فدان بنسبة زيادة ٢٠٪.

٣- إعادة ترسيم الخريطة السكانية لجمهورية مصر العربية بعيداً عن الوادى والدلتا من خلال توسيع الحيز العمرانى وإنشاء مجتمعات عمرانية عصرية متكاملة مكتملة المرافق والخدمات، مما يسهم فى زيادة المساحة المأهولة بالسكان فى مصر من ٦ ٪ إلى ١٠ ٪

٤- تعظيم الاستفادة من موارد مصر من المياة الجوفية.

٥- زراعة المحاصيل الاقتصادية التى تدر عائداً مالياً كبيراً، وتسهم فى سد الفجوة الغذائية التى تعانى منها البلاد، سيتم

زراعة ٧٠ ٪ من أراضى المشروع بالمحاصيل الاستراتيجية الهامة، لسد الفجوة الغذائية منها، و٣٠ ٪ من المحاصيل البستانية والتصديرية عالية القيمة الاقتصادية.

٦- إقامة العديد من الصناعات المرتبطة بالنشاط الزراعى والثروة الحيوانية، والصناعات الغذائية بهدف التصدير.

٧- زيادة صادرات مصر من المحاصيل الزراعية إلى ١٠ ملايين طن سنوياً.

٨- المشروع يقدم أفكاراً غير نمطية لخلق فرص عمل للشباب

٩- تحقيق الاكتفاء الذاتى من القمح بنسبة ٨٠٪.

●● معلومة هامة: معدل استهلاك المصريين من القمح يعد الأعلى بين المعدلات العالمية - مصر أكبر مستورد للقمح عالمياً.

موقع المشروع

يغطى المشروع مساحات واسعة من الجمهورية، خاصة الصعيد وجنوب الوادى وسيناء والدلتا، حيث وقع الاختيار على١٣ منطقة فى ثمانى محافظات معظمها فى الصعيد هى: قنا، أسوان، المنيا، الوادى الجديد، مطروح، جنوب سيناء، الإسماعيلية، الجيزة. وتم اختيارها بعد دراسات متعمقة، بحيث تكون قريبة من المناطق الحضرية وخطوط الاتصال بين المحافظات وشبكة الطرق القومية والكهربائية.

●● يتم تطبيق المشروع على ثلاث مراحل بواقع حوالى ٥٠٠ ألف فدان للمرحلة فى المناطق التالية:

الفرافرة القديمة «الوادى الجديد»، الفرافرة الجديدة «عين دالة»، منطقة امتداد الدخلة، منطقة جنوب شرق المنخفض «الجيزة»، منطقة امتداد جنوب شرق المنخفض، منطقة الطور «جنوب سيناء» منطقة غرب كوم أمبو «اسوان»، توشكى، منطقة شرق سيوة «مطروح»، المغرة، قرية الأمل «الإسماعيلية»، غرب المنيا «المنيا»، منطقة غرب ٢ .

نقطة الانطلاق

●● نموذج الفرافرة سيعمم على باقى أراضى المشروع

أطلق الرئيس عبد الفتاح السيسى شرارة التنمية بتدشين المرحلة الأولى للمشروع من واحة الفرافرة وتحديدا من «سهل بركة» فى ديسمبر ٢٠١٥ ويشمل المشروع فى تلك المنطقة:

ـ استصلاح وتنمية ١٠ آلاف فدان تم إعدادها تماماً للزراعة وتركيب أنظمة الرى المحورى «٤٠ بيفوت»، كما تم الانتهاء من تسوية الأرض بالليزر وتسميدها وتجهيزها لغرس البذور.

ـ حفر ٤٠ بئراً جوفية فى منطقة سهل بركة فى وقت قياسى باستخدام أحدث الحفارات فى العالم التى دبرتها الهيئة الهندسية للقوات المسلحة بالتعاون مع حفارات الشركات المدنية وشركات قطاع البترول.

- بناء ٣ قرى «٢ زراعية + ١ خدمية»

● تم تنفيذ ٢٠٠٠ بيت ريفى مساحته ٢٠٠ متر مربع بالقرى الزراعية

● تم بناء ٤٠ عمارة لتوفير السكن للعاملين بالمنشآت الإدارية والخدمية مثل الأطباء والإداريين ورجال الشرطة والمعلمين بإجمالى ٤٠ عمارة تضم ٤٨٠ وحدة سكنية.

● تم إنشاء العديد من المنشآت الخدمية التى تخدم المزراع من حضانات ومدارس ووحدات صحية وقسم شرطة وحماية مدنية ووحدة بيطرية وبنك زراعى ومكتب بريد ومجلس قروى واجتماعى ومدارس فنية صناعية وزراعية وعدد من المساجد والكنائس التى تم توزيعها على القرى الثلاث.

- تم التخطيط لبناء مناطق صناعية لإقامة العديد من الصناعات المرتبطة بالنشاط الزراعى والثروة الحيوانية والصناعات الغذائية.

- محطة طاقة شمسية بقدرة ٤ ميجا وات على مساحة ١٦ ألف فدان لتشغيل الآبار والوحدات السكنية ومحطات المياه والقرى الثلاث بالمنطقة، وذلك بالتوازى مع محطات الكهرباء الأخرى.

- محطات تحلية مياة، مولدات كهرباء، خزانات مياه.

- شق شبكة طرق تنموية لربط المنطقة بالمحافظات والموانئ والمصانع ليساهم فى التبادل التجارى والرواج الاقتصادى والسياحى:

● طريق الفرافرة ديروط «أسيوط» بطول ٣١٠ كم «يربط الوادى الجديد بمحافظات الصعيد».

● طريق بنى مراز «المنيا» الفرافرة واحة الباويطى بطول ١٩٦ كم.

● ازدواج طريق الفرافرة الواحات البحرية باتجاه الجيزة بطول ١٨٠ كم.

● طريق الفرافرة عين دالة بطول ٩٧ كم «سيتم افتتاحه فى العام الحالى»

موارد المشروع والاستغلال الأمثل:

المورد المائى

١- يعد هو التحدى الأكبر فى المشروع.. فأغلب مناطق المشروع ستعتمد فى زراعتها على المياه الجوفية.

● أكدت الدراسات توافر المخزون الجوفى من المياه فى جميع مناطق المشروع بشكل كبير ومتجدد التى أعدتها وزارة الموارد المائية والرى، ووضعت برنامجاً آلياً للتحكم فى تشغيل الآبار وتركيب عدادات على الآبار لمراقبة رفع المياه من الآبار حتى لا يتم استنزاف المخزون.

● من المخطط حفر ١٣ ألفاً و٢٢٥ بئراً جوفية فى إطار المشروع القومى لاستصلاح ٤ ملايين فدان، وأن العدد الإجمالى للآبار اللازمة للوفاء بالاحتياجات المائية للمرحلة

الأولى للمشروع - «١,٥مليون فدان» - تبلغ حوالى ٥٠٠٠ بئر تم الانتهاء من حفر حوالى ٨٠٠ بئراً «حوالى ٥٥ ٪ من الآبار اللازمة لزراعة المرحلة الأولى من مراحل المشروع الثلاث».

● نسبة مساحة الأراضى التى ستعتمد على المياه الجوفية ٨٨,٥ ٪ بينما تعتمد ١١,٥ ٪ من المساحة على المياه السطحية.

● تم وضع حزمة من الإجراءات الصارمة للحفاظ على الخزان الجوفى للمياه واستخدام التكنولوجيا الحديثة فى مراقبة آبار مشروع المليون ونصف المليون فدان من خلال وسائل متطورة للتحكم عن بعد وأجهزة رصد ذكية باستخدام الطاقة الجديدة والمتجددة وخصوصاً الشمسية فى رفع المياه لضمان استدامة المصدر المائى للأجيال القادمة.

٢- الاعتماد على الطاقة الشمسية كأحد موارد الطاقة المتجددة النظيفة فى تشغيل المشروع.

٣- قامت وزارة الزراعة واستصلاح الأراضى بإعداد الدراسات الخاصة بالتركيب المحصولى، وتحديد المحاصيل التى يمكن زراعتها فى كل منطقة من مناطق المشروع، وفق ظروف المناخ والتربة والمياه.

إدارة وتشغيل المشروع

أعلنت الحكومة إنشاء شركة قابضة لإدارة هذا المشروع الضخم هى شركة «الريف المصرى الجديد» برأس مال حوالى ٨ مليارات جنيه، ومما يعكس تغير فكر الدولة تجاه المشاريع

القومية لتجنب مصير مشابه للمشروعات السابقة مثل توشكى، إذ إن نظام الإدارة بالشركات القابضة يضمن نجاح المشروع واستمراره وإبعاده عن الروتين الحكومى.

تقوم هذه الشركة بتنظيم العمل وتضع اللوائح والقوانين ويكون لها الحق فى الحصول على قروض لتخفيف العبء عن موازنة الدولة، وهى المسئولة عن وضع الضوابط الحاكمة لطرح وتوزيع الأراضى على الشباب وصغار المزارعين والمستثمرين، بالإضافة إلى مسئوليتها عن إدارة وصيانة وتطوير البنية الأساسية للمشروع بحيث تكون هذه الشركة كياناً مسئولاً عن المشروع بالكامل.

قواعد التملك لأراضى المشروع:

●● من شروط امتلاك أراضى المشروع: التمتع بالجنسية المصرية وحدها دون غيرها.

١- شباب الخريجين والفئات الاجتماعية: سيتم تخصيص ٢٥٪ من المشروع لتلك الفئة بواقع ٥ أفدنة لكل شخص، وسيتم سداد قيمة الأرض بعد الزراعة مباشرة.

٢- صغار المستثمرين: من ألف إلى ١٠ آلاف فدان بنظام حق الانتفاع أو التمليك.

٣- كبار المستثمرين المصريين: من ١٠ آلاف إلى ٥٠ ألف فدان كحق انتفاع بعد سداد ثمن الملكية.

المحور الرابع

١٠٠ مليار جنيه تكلفة مشروع الشبكة القومية للطرق

يعد إجمالى المستهدف من إقامة الشبكة القومية للطرق ٣٠ ألف كيلو متر، تبلغ تكلفة الكيلو متر طولى الواحد ١٥ مليون جنيه، جارى العمل الآن على تنفيذ محور روض الفرج، ومحور مصر إفريقيا الذى يعتبر من أهم الطرق فى مصر حيث يمثل الوريد الرئيسى لشبكة الطرق القائمة.

تم الانتهاء من إنشاء وتطوير عدد «١٥» طريقاً بإجمالى أطوال «١٠١٦» إلى جانب إنشاء وتطوير عدد ٤٩ طريقًا بإجمالى أطوال «٣٣٦٠»كم، وبلغت نسبة تنفيذها ٦٠٪.

مشروعات الطرق والكبارى

تم الانتهاء من إنشاء وتطوير واستكمال عدد «١٣٥» كوبرى سيارات/ مشاة / نفق.

٢- جار إنشاء وتطويرعدد «٤٦» كوبرى سيارات/ مشاة/ نفق بلغت نسبة تنفيذها ٨٠٪.

تم تنفيذ «٣١٨,٧» كم طولى طرق ضمن شبكة الطرق القومية.

المرحلة الثانية من محور الضبعة

يمتد من تقاطعه مع الطريق الدائرى الإقليمى حتى وصلة البرقان بطول ١٥٨,٧ كم وعرض ٢٤ متراً اتجاهين «٣ حارات

مرورية/اتجاه» بالإضافة إلى جزيرة وسطى بعرض٢٥ متراً بطول ١٥٨.٧ كم وعرض ٢٤ متراً اتجاهين «٣ حارات مرورية/اتجاه» بالإضافة إلى جزيرة وسطى بعرض ٢٥ متراً.

طريق بنى سويف/الزعفرانة

يربط بين طريق الجيش التنمية شرق النيل وطريق السويس/الزعفرانة - الطريق بطول «١٥٨» كم وعرض ٢٣م اتجاهين «٣ حارات/الاتجاه» بالإضافة إلى جزيرة وسطى بعرض ٧ أمتار.

كوبرى تقاطع طريق بنى سويف/الزعفرانة مع طريق الجلالة البحرية بطول «٤٠٠٠»م شاملة دوائر المرور وعرض «٤٢»م اتجاهين «٣ حارات مرورية/الإتجاه» وبارتفاع «٦»م.

كوبرى الشهيد ملازم شرف/أحمد عبدالفتاح عبدالرحمن محمد أعلى مزلقان دفرة بمحافظة الغربية.

١- تم إنشاؤه للقضاء على التقاطعات السطحية والحد من الحوادث المرورية ونقل الحركة من طريق القاهرة/الإسكندرية الزراعى إلى طريق دفرة/هيلانة والعكس والكوبرى بطول ١٢٠٠م وعرض ١٦م اتجاهين «٢ حارة مرورية/الاتجاه» وارتفاع ٧م.

الكوبرى بطول ١٢٠٠م وعرض ١٦م اتجاهين «٢ حارة مرورية/الاتجاه» وارتفاع٧م.

توسعة طريق القاهرة – الإسماعيلية

توسعة طريق القاهرة – السويس الصحراوى

إنشاء القوس الجنوبى الشرقى للطريق الدائرى الاقليمى.. وهناك مرحلة جديدة لتصل المساحة المنفذة إلى ٢٢٥كم من إجمالى ٤٠٠كم تمثل طول الطريق.

تم الانتهاء من تطوير الشبكة القومية للطرق التى تصل إلى ٢٤,٤١٢ كيلومتر و١٧٢٤ «كوبرى»، فى الوقت الذى يمثل حجم الطلب على نقل الركاب على شبكة الطرق السريعة والرئيسية بين المحافظات والمدن الرئيسية يبلغ حوالى ٢٠ مليون راكب/ يوم كما تبلغ نسبة نقل البضائع ٩٨,٦٪ من إجمالى المنقولات بحوالى ٤٥٠ مليون طن سنوياً، وقد تم تنفيذ مشروعات إنشاء وازدواج للطرق بإجمالى ٣٠٠ كم وبتكلفة ٢ مليار جنيه ويجرى تنفيذ مشروعات إنشاء وازدواج بإجمالى ٤٧٠ كم وتكلفة ٢,٢ مليار جنيه تنتهى فى ديسمبر ٢٠١٦ كما يجرى تنفيذ ٦ كبارى جديدة على النيل بتكلفة إجمالية ٣ مليارات جنيه ويجرى العمل فى إنشاء ١٠ كبارى علوية بتكلفة إجمالية مليار جنيه.

وهناك خطة شاملة لتطوير السكك الحديدية تشمل تطوير المحطات والمزلقانات وتحديث الأسطول وتحديث نظم الإشارات والصيانة وزيادة التوسعات الجديدة، كما تم تطوير ٥٠ محطة بإجمالى ٩٣٠ مليون جنيه وجارٍ إسناد الصيانة

السريعة لـ ١٠٠ محطة أخرى بتكلفة ٥٠٠ مليون جنيه تنتهى فى ٢٠١٧/٦/٣٠.. كما يجرى تطوير ١١٠٢ مزلقان بتكلفة ١١١٢ مليون جنيه.. كما تم توريد ١٢٤عربة بتكلفة ١,٢ مليار جنيه وتشغيل ١٠ قطارات إكسبريس مكيفة بالوجه البحرى والقبلى ويجرى توقيع عقد يشمل ١٠٨ عربات جديدة مكيفة بتكلفة ١,٢ مليار جنيه وقد تم تطوير وتحسين ٢٣٤٥ عربة بأنواعها المختلفة بورش الهيئة ومصنع سيماف بتكلفة إجمالية ٨٨٠ مليون جنيه وقد تم الانتهاء من تطوير١٠١٠ عربات حتى الآن، كما تم تجديد ٢٦٦ كيلومترا من خط القاهرة أسوان بتكلفة ٩٨٤ مليون جنيه، ومن المستهدف تجديد حوالى ٧٠٠ كيلو متر على خطوط الشبكة بإجمالى ٣ مليارات جنيه حتى ٢٠١٨/٦/٣٠.

كما يجرى الآن تطوير شبكة مترو الأنفاق والتى من المستهدف أن تستوعب ٩ ملايين راكب يومياً بعد التطوير.

تطوير طريق وادى النطرون - العلمين: ويشمل المشروع أعمال توسعة الطريق القائم بإنشاء حارة إضافية فى كل اتجاه ورفع كفاءة الطريق القديم بعرض ١٤,٣متر لكل اتجاه.

تطوير طريق طنطا - كفر الشيخ: ويبلغ طول الطريق ١٨ كيلو متراً مزدوجاً ويصل بين مدينة طنطا ومدينة دمياط بكفر الشيخ بواقع ٣ حارات لكل اتجاه وعرض ٢٢,٥ متر كما تم إنشاء ثلاثة كبارى.

مشروعات الموانئ البحرية والجوية

تم الانتهاء من إنشاء ميناء الغردقة البحرى.

٢- جار تطوير ميناء العين السخنة.

٣- تم تكليف الهيئة الهندسية بإنشاء وتطوير عدد «٦» مطارات للاستخدام المشترك «مدنى/عسكـــرى» بلغت نسبة تنفيذها ٥٠٪.

المحور الخامس

١٥٠ مليار جنيه تكلفة المشروع القومى للمدن الجديدة

العاصمة الإدارية الجديدة:

يتم العمل على تنفيذ المرحلة الأولى من مشروع العاصمة الإدارية الجديدة على مساحة ١٠٥٠٠ فدان.. يمثل مشروع إنشاء العاصمة الإدارية الجديدة أعلى المستويات العالمية سواء فى مجال التعليم أو الإسكان أو خدمات المواطنين لتكون نموذجاً يحتذى به وخطوة هامة نحو مصر الحديثة.

تشمل العاصمة الجديدة مناطق سكنية متعددة المستويات لكل شرائح المجتمع منها اسكان اجتماعى، «مدينة الحكم» إدارة شئون الدولة، والمقر البرلمانى الجديد والذى سيكون أكبر اتساعا، فضلا عن مدينة طبية عالمية، ومدينة رياضية، وقرية ذكية وقاعات مؤتمرات دولية ومدينة معارض، مناطق خدمية وتعليمية، مناطق للمال والأعمال، وطرق حضارية بعرض ١٢٠

متراً، ومحور أخضر بمساحة ٧٢٠٠ فدان بعرض ٣٠٠ كيلو متر مربع.

بدأت معدات الشركات تنفيذ مرافق منطقة الحى الحكومى، والحى السكنى، ويوجد فريق مكلف من هيئة المجتمعات العمرانية الجديدة بمتابعة العمل على مدار اليوم، لتذليل أى عقبة تواجه التنفيذ.

مدينة العلمين الجديدة: مدينة ساحلية جديدة مباشرة على البحر، بها كورنيش ١٤كم طول، وهو بمثابة مشروع سياحى وعمرانى متكامل به فنادق تعمل على مدار العام، بجانب مدينة رياضية لخدمة المعسكرات الرياضية العالمية للاستفادة منها.

مدينة شرق بورسعيد الجديدة: المنطقة الصناعية بمنطقة شرق بورسعيد بمساحة ٤٠ مليون م٢ منها «١٦ مليون م٢ كأسبقية أولى مصانع سيارات/ معدات هندسية / أجهزة منزلية / تعبئة وتغليف».

مدينة الجلالة البحرية: المدينة مقامة على مساحة ١٧ ألف فدان أعلى هضبة جبل الجلالة، وتضم العديد من المشروعات السياحية والخدمية، تشمل إقامة جامعة الملك عبدالله، وما تحتويه من تخصصات غير نمطية فى مجالات الهندسة والطب والزراعة.. كما تضم العديد من أوجه أنشطة الحياة الاجتماعية، والصحية وأول قرية أولمبية.

تتضمن المدينة عدداً من المدن السكنية الفاخرة، والمتميزة،

والاقتصادية حتى تتلاءم مع جميع المستويات الاجتماعية، كما تطل المدينة على منتجع «الجلالة السياحى»، الذى يقع على مساحة ألف فدان، ليضم أكبر مدينة ألعاب مائية، ومارينا لليخوت، وفندقاً ساحلياً وآخر يقع فى «حضن» الجبل على الجانب الأيسر من الطريق.

الاسماعيلية الجديدة:على بعد ٩٠٠ متر من المجرى الملاحى لقناة السويس تقع مدينة الإسماعيلية الجديدة شرق قناة السويس.

أول مدينة نموذجية فى مصر، تم فيها مراعاة ذوى الاحتياجات الخاصة من طرق ومساكن وأندية ومنشآت.

مدينة الإسماعيلية الجديدة شرق قناة السويس أولى خطوات التنمية فى سيناء وإحدى خطوات القضاء على الإرهاب بالمجتمع العمرانى بسيناء.

تم الانتهاء من اللمسات النهائية للحى الأول بالمدينة، ويشمل افتتاح المرحلة الأولى التى تضم ١٢٣٠٠ وحدة سكنية جديدة متنوعة المساحات وكاملة المرافق والخدمات.

المحور السادس

١٨٥ مليار جنيه تكلفة المشروع القومى للإسكان

يتم تنفيذ المشروع على مدار ٥ أعوام «مشروع الإسكان الاجتماعى» فى جميع أنحاء الجمهورية، سواء داخل نطاق

المحافظات أو فى نطاق مدن المجتمعات العمرانية الجديدة، يعد هذا المشروع الأضخم فى تاريخ مصر المعاصر.

نجحت وزارة الاسكان فى الانتهاء من ١٠٠ ألف وحدة سكنية وتم فتح باب الحجز فى ٢٤ محافظة.

قامت بفتح باب الحجز لـ٤٠٠ ألف وحدة سكنية سيتم الانتهاء من تنفيذها خلال عام بالمحافظات والمدن الجديدة.. تساهم ٣٩٤ شركة مقاولات مصرية من القطاع الخاص فى تنفيذ «مشروع الإسكان الاجتماعى»، بخلاف المكاتب الاستشارية الهندسية، كما أتاح المشروع ٢٥٠ ألف فرصة عمل، وتم الانتهاء من تنفيذ ٩٩ ألف وحدة سكنية، باستثمارات ١٣ مليار جنيه.

– تم تكليف الهيئة الهندسية بإنشاء عدد «٤٤٣١٩١» وحدة سكنية «٢٨٣٨٩٢» إسكان اجتماعى – ١٤٠٩٦٨ إسكان متوسط – ١٤٨٣١ إسكان متميز – ٣٥٠٠ بيت ريفى»، تم الإنتهاء من تنفيذ عدد ٥١١٨٢ وحدة إسكان اجتماعى منها، وعدد «٢٠٠٠» بيت ريفى بالفرافرة.

٢– جار إنشاء عدد ٣٩٠ ألف وحدة سكنية ٢٣٢٧١٠ إسكان اجتماعى – ١٤٠٩٦٨ إسكان متوسط – ١٤٨٣١ إسكان متميز – ١٥٠٠ بيت ريفى بنسبة تنفيذ ٣٠٪.

تم الانتهاء من تنفيذ عدد «٢٠٨٨٨» وحدة إسكان اجتماعى فى «١٠» محافظات.

إسكان مدينة بـدر بمحافظة القـاهــرة

يشمل المشروع على عدد «٢٠٩» عمارات بإجمالى ٥٠١٦ وحدة سكنية، بالإضافة إلى المنشآت التعليمية والرياضية والتجارية ودور العبادة.

إسكـــان محافظـة القليوبية

١- عدد «٥٩» عمارة بإجمالى «١٤١٦» وحدة سكنية بالإضافة للمنشآت الخدمية.

٢- إسكان مدينة شبرا الخيمة عدد «١١» عمارة بإجمالى ٢٦٤ وحدة سكنية.

المرحلة الأولـى من إسكان العـريش

عدد ٥٠ عمارة بإجمالى ١٢٠٠ وحدة سكنية من إجمالى ٢١٣٦ وحدة سكنية جار تنفيذها.

إسكـان محـافظة قنـا

بإجمالى عدد «١٠٥٦» وحدة سكنية.

١- عدد ١٤ عمارة بإجمالى عدد ٣٣٦ وحدة سكنية بنجع حمادى.

٢- عدد ٣٠ عمارة بإجمالى عدد ٧٢٠ وحدة سكنية بالوقف.

إسكـــان محـافـظـة الأقـصـر

بإجمالى عدد «١٢٧٢» وحدة سكنية

١- عدد «١١» عمارة بإجمالى عدد ٢٦٤ وحدة سكنية بإسنا.

٢- عدد «٢٦» عمارات بإجمالى عدد ٦٢٤ وحدة سكنية بالطود.

٣- عدد «٦» عمارات بإجمالى عدد ١٤٤ وحدة سكنية فى أبو إقليعى بأرمنت.

٤- عدد «١٠» عمارة بإجمالى عدد ٢٤٠ وحدة سكنية بحاجر الضبعية.

إسكان مدينة الغردقة بمحافظة البحر الأحمر

١- عدد «١٢٦» عمارة بإجمالى «٢٥٢٠» وحدة سكنية.

إسكان محافظة سوهاج

«حى الكوثر - ٢»

١- عدد «٢٤» عمارة بإجمالى «٥٧٦» وحدة سكنية.

إسكان مدينة برج العرب بمحافظة الإسكندرية

عدد «١٦٦» عمارة بإجمالى «٣٩٨٤» وحدة سكنية بالإضافة للمنشآت الخدمية وتشمل حضانة وسوقاً تجارياً ومسجداً.

إسكان عتاقة بمحافظة السويس

عدد «٨٤» عمارة بإجمالى «٢٠١٦» وحدة سكنية بالإضافة لمنشآت خدمية وتشمل محلات تجارية ومخبزاً وحضانة ومسجداً.

إسكان محافظة جنوب سيناء

بإجمالى عدد «١٥٦٨» وحدة سكنية

١- عدد «١١» عمارة بإجمالى عدد «١٣٢» وحدة سكنية بدهب.

٢- عدد «٩» عمارة بإجمالى عدد «١٠٨» وحدات سكنية بنويبع.

٣- عدد «٨٣» عمارة بإجمالى عدد «١٣٢٨» وحدة سكنية بالطور.

المحور السابع

٤٥٠-٥٠٠ مليار جنيه تكلفة المشروع القومى للكهرباء

عملت الدولة على تطوير الشبكة القومية للكهرباء لاستقبال القدرات الإضافية لها، وتطوير «محطات التحكم».

إجمالى القدرات التى تمت إضافتها لمصر عام ٢٠١٥ إلى ٦٨٨٢ ميجاوات بتكلفة ٣٨ مليار جنيه ونصف المليار، منها ٣٦٣٢ ميجاوات كانت ضمن «الخطة العاجلة» لمواجهة انقطاعات فصل الصيف، بما يعنى أن الإجمالى يوازى نحو ٢٥٪ إضافية عن قدرات مصر قبلها، ومن المخطط إضافة ٣٨٥٢ ميجاوات حتى ٢٠١٦.

حققت الشبكة القومية لكهرباء مصر حالة استقرار كبيرة، ووصل فائض انتاجها فى الفترة التى كانت تشهد انقطاعات صيفاً حتى ٤ آلاف و٣٠٠ ميجا وات.

تعتمد الاستراتيجية على توقع معدلات متوسط نمو للحمل الأقصى تبلغ ٨,٧٪ سنويًا خلال الفترة من ٢٠١٣/٢٠١٤وحتى ٢٠٢١/٢٠٢٢ وليصل الحمل الأقصى إلى ٥٠٣٠٨ م.. وعام ٢٠٢١/٢٠٢٢، وهو ما يتماشى مع معدلات التنمية والناتج الإجمالى القومى المتوقع لهذه الفترة.

الإجراءات التى تم اتخاذها للتغلب على مشاكل العجز بالقدرات المتاحة:

أولاً: تنفيذ مشروعات الخطة العاجلة بإجمالى قدرة ٢٦٠٠ ميجاوات.

ديسمبر ٢٠١٤

تم إبرام عقدين منفصلين مع كل من تحالف شركتى جنرال اليكتريك الأمريكية وأوراسكوم للإنشاءات المصرية، وتحالف شركات السويدى الكتريك المصرية /سيمنز الألمانية / أنسالدو الإيطالية لتنفيذ عدد من محطات إنتاج الكهرباءلإضافة قدرات للشبكة تبلغ ٣٦٣٢ ميجا وات.. وتم التشغيل خلال الفترة من نهاية مايو ٢٠١٥ وحتى نهاية أغسطس ٢٠١٥.

فى سابقة لم تحدث من قبل على مستوى العالم لتنفيذ مشروعات بهذه القدرات خلال هذه المدة المحدودة.

وتضمنت مشروعات الخطة العاجلة المحطات التالية:

محطة غرب أسيوط

مرحلة أولى تشتمل على عدد «٨» وحدات غازية صناعة شركة جنرال إلكتريك قدرة كل منها ١٢٥ م.و، بإجمالى قدرة ١٠٠٠ م.و، وتبلغ التكلفة الاستثمارية ٧٤٦ مليون دولار، ودخلت آخر وحدة الخدمة فى أغسطس ٢٠١٥.. صناعة شركة جنرال إلكتريك.

تم التعاقد فى ديسمبر ٢٠١٥ على تحويلها للعمل بنظام الدورة المركبة كمرحلة ثانية لإضافة ٥٠٠ م.و، دون الحاجة لوقود إضافى وسيتم تشغيلها فى أبريل ,٢٠١٨

محطة غرب دمياط

مرحلة أولى تشتمل على عدد «٤» وحدات غازية قدرة كل منها ١٢٥ م.و، بإجمالى قدرة ٥٠٠ م.و، وتبلغ التكلفة الاستثمارية ٣٧٣ مليون دولار.. ودخلت آخر وحدة فى يوليو ٢٠١٥.. صناعة شركة جنرال إلكتريك.

تم التعاقد فى ديسمبر ٢٠١٥ على تحويلها للعمل بنظام الدورة المركبة كمرحلة ثانية لإضافة ٢٥٠م، ودون الحاجة لوقود إضافى وسيتم تشغيلها فى مايو ,٢٠١٨

محطة عتاقة

وتشتمل على عدد «٤» وحدة غازية صناعة شركة سيمنز الألمانية قدرة كل منها ١٦٠ م.و، بإجمالى قدرة ٦٤٠ م.و، وتبلغ

التكلفة الاستثمارية ٨, ٤٧٠ مليون دولار.. ودخلت آخر وحدة فى يونية ٢٠١٥.

يتبعها التحويل للعمل بنظام الدورة المركبة كمرحلة ثانية لإضافة ٣٢٠ م. ودون الحاجة لوقود إضافى بحلول العام المالى ٢٠١٩/٢٠١٨.

محطة المحمودية

وتشتمل على عدد «٢» وحدة غازية صناعة شركة إنسالدو الإيطالية قدرة كل منها ١٦٠ ميجا وات بإجمالى قدرة ٣٢٠ ميجا وات.. ودخلت الوحدة الأخيرة فى أغسطس ٢٠١٥.

يتبعها التحويل للعمل بنظام الدورة المركبة كمرحلة ثانية لإضافة ١٦٠ م ودون الحاجة لوقود إضافى متوقع تحويلها بحلول العام المالى ٢٠١٩/ ,٢٠١٨

محطة شرم الشيخ

وتشتمل على عدد «٦» وحدات غازية صناعة شركة جنرال إلكتريك قدرة كل منها ٤٨ ميجا وات بإجمالى قدرة ٢٨٨ ميجا وات، تبلغ التكلفة استثمارية ٤ , ٢١٣ مليون دولار.. ودخلت آخر وحدة فى أكتوبر ٢٠١٥.

محطة الغردقة

وتشتمل على عدد «٦» وحدات غازية صناعة شركة جنرال إلكتريك قدرة كل منها ٤٨ ميجا وات بإجمالى قدرة ٢٨٨ ميجا

وات تبلغ التكلفة استثمارية ٤ , ٢١٣ مليون دولار.. ودخلت آخر وحدة فى سبتمبر , ٢٠١٥

محطة بورسعيد

وتشتمل على عدد «٢» وحدات غازية صناعة شركة جنرال إلكتريك قدرة كل منها ٤٨ ميجا وات بإجمالى قدرة ٩٦ ميجا وات.. وتبلغ التكلفة استثمارية ٦٩ مليون دولار .. ودخلت آخر وحدة فى سبتمبر , ٢٠١٥

الوحدات المتنقلة

يبلغ عدد هذه الوحدات «٢٠» وحدة صناعة شركة جنرال إلكتريك وتبلغ قدرة كل وحدة ٢٥ ميجاوات بإجمالى قدرة ٥٠٠ ميجاوات.. تم تركيبها فى عدد «٩» مواقع موزعة على مستوى الجمهورية وهى: جرجا «محافظة سوهاج»، بنى غالب «محافظة أسيوط»، سمالوط «محافظة المنيا»، ملوى «محافظة المنيا»، أسيوط الجديدة «محافظة أسيوط»، أسيوط الحمراء «محافظة أسيوط»، هليوبوليس «محافظة القاهرة»، شرق القاهرة «محافظة القاهرة»، البساتين «محافظة القاهرة».

وتم دخول الوحدات خلال الفترة من تباعًا ٢٠١٥/٥/٣١وحتى ٢٠١٥/٦/٢٠ .

ثانيًا : استكمال تنفيذ مشروعات محطات إنتاج الكهرباء «شمال الجيزة - بنها - ٦ أكتوبر -العين السخنة».

محطة بنها

المحطة تعمل بنظام الدورة المركبة وتتكون من عدد «٢» توربينة غازية قدرة كل منها ٢٥٠م.و، بالإضافة إلى «١» توربينة بخارية قدرتها ٢٥٠ ميجا وات بإجمالى قادرة للمحطة ٧٥٠ ميجا وات وبإجمالى استثمارات ٣,٣ مليار جنيه مصرى.. ودخلت آخر وحدة فى ديسمبر ٢٠١٤,

محطة العين السخنة

وتتكون المحطة من عدد «٢» وحدة بخارية بقدرة «١٢٠٠»م.و، وتعمل بتكنولوجيا الضغوط فوق الحرجة (Super Critical) وبإجمالى استثمارات ٩,١ مليار جنيه.. تم تنفيذ المشروع بنظام الحزم المتعدد.. المحطة تعمل بالغاز الطبيعى والمازوت، ومعدل استهلاك اليوم للمازوت ٦٤٠٠ طن/يوم.

وكان للمحطة دور كبير فى صيف ٢٠١٥ حيث إنها تعمل بالمازوت، مما كان لها بالغ الأثر فى استهلاك الغاز الطبيعى وتوفيره لمحطات أخرى.. ودخلت آخر وحدة فى إبريل ٢٠١٥.

توسيع محطة ٦ أكتوبر

تتكون المحطة من عدد «٤» وحدات غازية قدرة كل منها ١٥٠ م.و بإجمالى قدرات ٦٠٠ م.و، وتعمل الوحدات كمرحلة أولى بنظام الدورة البسيطة وتم توقيع عقد فى ١٦/١١/٢٠١٥ لتحويلها للعمل بنظام الدورة المركبة لإضافة قدرات «٣٤٠ ميجا وات» دون وقود إضافى وسيتم التشغيل فى مايو ٢٠١٨،

بإجمالى استثمارات ٢٤٢ مليون يورو.. بداية المشروع :يونيو.. ٢٠١٣ وتم تشغيل الوحدات تباعا أغسطس ٢٠١٤ وحتى أغسطس ٢٠١٥ .

محطة شمال الجيزة

المحطة تعمل بنظام الدورة المركبة وتتكون من عدد «٦» تربينات غازية قدرة كل منها ٢٥٠ م.و بالإضافة إلى «٣» توربينات بخارية قدرة كل منها ٢٥٠ ميجا وإجمالى قدرة للمحطة ٢٢٥٠ ميجا وات وبإجمالى استثمارات تبلغ قيمتها «١ , ٩ مليار جنيه مصرى».. ودخلت الوحدات البخارية «١،٢، ٣» فى نوفمبر وديسمبر ٢٠١٥ .

محطة إنتاج الكهرباء من الرياح بجبل الزيت

المحطة تتكون من عدد «١٠٠» وحدة قدرة كل وحدة «٢ م. و»، بإجمالى قدرات٢٠٠ م. و. تم تنفيذ المشروع بنظام الحزم المتعددة، إجمالى استثمارات:«٥ , ٢٧١ مليون يورو».. وتم تشغيل المحطة بالكامل فى نوفمبر , ٢٠١٥

ثالثًا: تنفيذ برامج الصيانة ورفع كفاءة المحطات

وكان برنامج الصيانة ورفع كفاءة المحطات خلال الاستعدادات لصيف ٢٠١٥ فى شركات إنتاج وتوزيع الكهرباء على مستوى الجمهورية العام والخاص فى البرنامج المخطط والتنفيذ الفعلى.. كالتالى:

عدد الوحدات: ١٢٠

القدرة الأسمية م. و: ٣, ٢٧٣

النسبة من الإجمالى المستهدف ١٠٠٪:

الاستعداد لصيف ٢٠١٦

- مشروعات الطاقة المتجددة

محطة رياح جبل الزيت بأجمالى قدرات ٢٠٠ م. و.. تم التشغيل فى نوفمبر ٢٠١٥

محطة السويس الحرارية قدرة ٦٥٠ م.و

إضافة ١٠ وحدات متنقلة بقدرة إجمالية ٥٠ م.و، تم الانتهاء من التركيب قبل يونيو ٢٠١٦

– تنفيذ برامج الصيانة ورفع كفاءة المحطات

نسبة إنجاز برامج الصيانة ١٠٠٪

– مشروعات جرى تنفيذها صيف ٢٠١٦

محطة السويس الحرارية قدرة «٦٥٠» م.و

تتكون المحطة من عدد «١» وحدة بخارية بقدرة «٦٥٠» م. وإجمالى ارست مارات: ٥,٧ مليار جنيه، نسبة التنفيذ ٩٦,٨٪، بداية المشروع: يوليو ٢٠١٠.

– إضافة «١٠» وحدات متنقلة قدرة كل منها «٥» م. و

تم التعاقد فى فبراير ٢٠١٦ مع شركة كاتربيللر لتنفيذ إنشاءعدد «١٠» وحدات متنقلة قدرة كل منها «٥» م. وبإجمالى قدرات «٥٠» م.و، وبنظام تسليم مفتاح، على أن يتم تركيبها فى عدد «٦» مواقع موزعة على مستوى الجمهورية، وهى:

- مدن الخارجة وموط وبلاط بالوادى الجديد
- مدينة الحفير بالدقهلية
- مدينة سيوة بمطروح
- مدينة شرق الأقصر بالأقصر

إجمالى الاستثمارات: ٢٢٤,٤ مليون جنيه.

الانتهاء من تركيبهم بالكامل قبل يونيو ٢٠١٦

ثالثا: تدعيم شبكات توزيع الكهرباء خلال العامين «٢٠١٤/٢٠١٥ _٢٠١٥/ ٢٠١٦»

المحور الثامن

حزمة مشروعات بناء الإنسان المصرى وتوفير الحماية والرعاية الاجتماعية

يتضمن المشروع ١١ محوراً أولها مشروع تكافل وكرامة:

تحت شعار «مصر بلا عوز» وبهدف محاصرة مشكلة الفقر فى مصر بدأت وزارة التضامن الاجتماعى وبالتعاون مع بعض الوزارات والجهات الأخرى فى تنفيذ برنامجين للدعم النقدى

بهدف دعم الفئات الأكثر فقراً فى قرى صعيد مصر وفى بعض المناطق القاهرة والجيزة. وهذان البرنامجان هما برنامج «تكافل» وبرنامج «كرامة»، وتنفيذ هذين البرنامجين هو جزء من شبكة الحماية الاجتماعية، ومنظومة إدارة الدعم.

القسم والبند

أ. استمارات التقديم للبرنامج ١,٣٠١,٧٢٠ إجمالى الأسر التى تقدمت للتسجيل ببرنامج «تكافل وكرامة»

٥,٤٩٥,٨٨٧ إجمالى عدد أفراد الأسر التى سجلت ببرنامج «تكافل وكرامة»

١,٢٨٢,٨٠٠ إجمالى الاستمارات التى تم فحصها لدراسة استحقاقها فى المرحلة الأولى

١٨,٩٢٠ جار فحصها ضمن المرحلة الثانية

٥٧٣,٩٠٤ «٤٥٪» إجمالى الأسر التى تم رفضها

٧٠٨,٨٩٨ «٥٥٪» إجمالى الأسر التى تم قبولها للاستفادة من برنامج «تكافل وكرامة»

ب. الأسر المستفيدة من الدعم النقدى «تكافل وكرامة»
٧٠٨,٨٩٦ إجمالى أسر مستفيدة من برنامج «تكافل وكرامة»
«اجمالى أفراد ٣,٢٣٠,٧٩٧»

٨٠,٠٧٣ «١١٪» ذكوراً

٨٢٣ , ٦٢٨ «٨٩٪» إناثاً

٢٥٦ , ٦٥٨ «٩٣٪» أسراً مستفيدة من برنامج «تكافل» «٩٣٪ اناثًا و٧٪ ذكورًا»

٦٤٠ , ٥٠ «٧٪» إجمالى عدد الأفراد المستفيدة من برنامج «كرامة» «٦٣٪ ذكورًا و٣٧٪ اناثًا»

٠٩٠ , ٤٠ «٢ , ٧٩٪» ذوى إعاقة أعلى من ٥٠٪

٤٠٤ , ١٠ «٥ , ٢٠٪» كبار سن فوق ٦٥ سنة

١٤٦ «٣ , ٠٪» ذوى إعاقة وكبار سن معا

ج. أفراد الأسر المستفيدة من برنامج الدعم النقدى «تكافل وكرامة» ٧٩٧ , ٢٣٠ , ٣ إجمالى أفراد الأسر المستفيدة من برنامج «تكافل وكرامة».

١٧٠ , ٦٤٧ , ١ «٥١٪» ذكوراً

٦٢٧ , ٥٨٣ «٤٩٪» إناثاً

منظومة الخبز:

تم تطبيق منظومة الخبز المدعم الجديدة على جميع المحافظات ويبلغ عددها ٢٧ محافظة وتتضمن المنظومة صرف الدقيق لأصحاب المخابز البلدية المدعمة بالسعر الحر وتخصيص ١٥٠ رغيفاً شهرياً لكل مواطن وأدى نجاح تطبيق المنظومة الى الحد من المهدر سنوياً من الدقيق ويتراوح ما بين ١١ ملياراً و١٢ مليار جنيه.

تطوير القرى الأكثر احتياجاً:

وتضم المرحلة الأولى تطوير ١٥١ قرية حيث تم بالفعل تطوير ٥٥ مركز شباب وتم التنفيذ بالكامل بنسبة ١٠٠٪ بتكلفة قدرت بـ٢٥ مليوناً وتضمنت أعمال تطوير المبنى الإدارى والأسوار الخارجية.

تضم المرحلة الثانية تطوير ١٠٠٢ قرية موزعة كالتالى طبقة للأسبقية ٣٧٣ قرية تضم ٥٦ مركز شباب تم تنفيذها بالكامل بنسبة ١٠٠٪ بتكلفة قدرها ٤٥ مليوناً.

مصر بلا غارمات

استمرار الإفراج عن الأمهات الغارمات منذ أن أطلق الرئيس مبادرة «مصر بلا غارمات» لتحقيق الأمن الاجتماعى.

البرنامج الرئاسى لتأهيل الشباب للقيادة

يهدف إلى تخريج قيادات شابة قادرة على الإدارة وتولى المسئولية والمناصب القيادية وفقاً لأساليب الإدارة الحديثة ويهدف البرنامج إلى تأهيل ٢٥٠٠ شاب وشابة سنوياً كمرحلة أولى.

يعمل البرنامج على إنشاء قاعدة شبابية من الكفاءات القادرة على تولى المسؤولية السياسية والمجتمعية والإدارية فى الدولة وذلك من خلال تأهيلها بأحدث نظريات الإدارة والتخطيط العلمى والعملى واختبار قدراتها على تطبيق الأساليب والطرق

الحديثة بكفاءة عالية لتكوين نواة حقيقية لمجتمع يفكر ويتعلم ويبتكر.

بنك المعرفة:

موقع بنك المعرفة المصرى www.ekb.eg «Egyptian knowl- edge bank»، يهدف المشروع الوطنى لتثقيف الشباب والاطفال وأولياء الأمور بأمهات الكتب والمجلات والمواد التعليمية المصورة بالفيديوهات والصور. أكد السيد الرئيس أنه من خلال موقع بنك المعرفة المصرى، التعليم سيكون بالمجان فى كل منزل، وهدفنا الأساسى من المشروع القومى هو نشر الثقافة والمعرفة لكل أفراد الأسرة.

تطوير مراكز الشباب وقصور الثقافة:

-تطوير مركز شباب الجزيرة وتطوير وإنشاء عدد ٢٥ مركز شباب فى القرى ذات الكثافة السكانية والمناطق العشوائية.

-إنشاء منتدى شباب إمبابة، ومركز التنمية الشاملة بشبرا الخيمة.

-تطوير عدد «٥» بيوت للشباب بمحافظات «بورسعيد/الإسماعيلية/الإسكندرية /مطروح/الغردقة».

-الانتهاء من تطوير المدن الشبابية حيث تم الانتهاء من إنشاء المدينة الشبابية بشرم الشيخ، واستكمال المرحلة الثانية من تطوير المدينة الشبابية بابى قير بالإسكندرية، تطوير المدينة الشبابية بمحافظة اسوان بتكلفة قدرها ٤٠ مليون جنيه.

-تم إنشاء مركز التعليم المدنى بمطروح بتكلفة قدرها ٣٠ مليون جنيه، وبالإسماعيلية ودمياط.

- الانتهاء من تنفيذ عدد «٣» مراكز شباب «قلشمه تطوم الغرق قبلى» محافظة الفيوم.

-الموافقة على البدء فى تنفيذ أعمال إنشاء لعدد «٧» ملاعب بمدارس « راس غارب - الغردقة - سفاجا - القصير - مرسى علم - الشلاتين - حلايب» القيمة التقديرية ٥,٥ مليون جنيه

أولاً:- تطوير البنية الأساسية الرياضية:

أ- مشروعات تم تنفيذها:

١- مشروع الملاعب الرياضية: تم تنفيذ ١١٩ ملعباً بـ«٢٠» محافظة.

٢- مشروع تطوير مركز تدريب الفرق القومية بالمعادى:

تطوير مركز تدريب الفرق القومية بالمعادى «المركز الاولمبى» على مساحة ١٥ فداناً بتكلفة قدرها ٢٣٠مليون جنيه، ويضم المركز «١٤ صالة تدريب مغطاة للألعاب الفردية والجماعية، ملعب كرة قدم قانونى، عدد ٣ ملاعب كرة قدم خماسى، مضمار ألعاب قوى، وحدة طب رياضى، ساونا وجاكوزى، فندق يتكون من ١٥٠ غرفة «فردى + مزدوج + ثلاثى» غرف مجهزة لذوى الاحتياجات الخاصة، قاعات محاضرات».

٣- تنفيذ المرحلة الثانية من مشروع المدينة الشبابية بشرم الشيخ:

تنفيذ المرحلة الثانية بمدينة الشباب والرياضة بشرم الشيخ، إنشاء حمام سباحة - ٤ ملاعب اسكواش ملعب قانونى تراك.

٤- استاد القاهرة الدولى:

تطوير الصالة المغطاة «١» لاستضافة بطولة الامم الافريقية ال ٢٢ لكرة اليد للرجال التى اقيمت باستاد القاهرة الدولى خلال الفترة من ٢٠ يناير ٢٠١٦ حتى ٣١ يناير ٢٠١٦.

٥- حمامات السباحة:

تنفيذ عدد «٤٤» حمام سباحة بـ٢٠ محافظة بإجمالى تكلفة ٢٠٠ مليون جنيه

تم الإنتهاء من «٢٣» حمام سباحة وجارى الانتهاء من عدد «٢١» حمام سباحة

٦- مقر نادى الإسماعيلى الجديد بأرض النخيل:

تم تخصيص قطعة أرض مساحتها «٢٢ فداناً» لنادى الإسماعيلى وقامت وزارة الشباب والرياضة بدعم النادى بعدد من المنشآت الرياضية وتم التعاقد مع قيادة الجيش الثانى الميدانى «الشعبة الهندسية» لتنفيذ المرحلة الثانية «مبنى اجتماعى سور صالة منازلات ملعب قانونى تراك» بإجمالى التكلفة ٥٨,٧٠٠,٠٠٠ جنيه

ب- مشروعات سيتم تنفيذها:

١- مشروع نادى التميز الرياضى:

المساحة الكلية = ١٨, ١٧ فدان مسموح بالبناء على ٥٪ من المساحة الكلية للأرض والتى تبلغ ٣٦٠٨ أمتار

٢- مشروع إنشاء الغابة الترفيهية بالإسكندرية:

٣- مشروع ملاعب الهوكى ببورسعيد:

جار التعاقد مع الشركة الوطنية للمقاولات العامة والتوريدات التابع لجهاز الخدمة الوطنية لاستكمال المشروع على هيئة مجمع رياضى بإجمالى التكلفة ١١٠ ملايين جنيه.

٤- تطوير مركز التنمية الرياضية بمصر الجديدة:

سوف يتم البدء فى اسناد أعمال مشروع تطوير مركز التنمية الرياضية بمصر الجديدة «إنشاء حمام سباحة أولمبى حمام سباحة للأطفال نادى صحى متكامل تطوير وإعادة تخطيط جميع الملاعب واستحداث مكان لألعاب النزال وآخر للجمباز تطوير المبنى القائم صيانة وعمل مصعد وسلم كهربائى تغطية المبنى من الأعلى» إلى آخر أعمال التطوير.التكلفة المتوقعة لأعمال المشروع ١٠٠ مليون جنيه

٥- استاد المنيا:

جار تنفيذ الأعمال المطلوبة لإنشاء استاد المنيا ومشتملاته

«حمام سباحة أولمبى «٤» ملاعب اسكواش ملاعب خماسية ملاعب تنس تطوير الصالة والمبانى القائمة».

٦- حمام السباحة بالمركز الرياضى لتدريب الفوق القومية بالمعادى:

تم إسناد أعمال تطوير حمام السباحة بمركز تدريب الفرق القومية بالمعادى إلى إدارة الأشغال العسكرية بتكلفة ١٥,٢٥٠,٠٠٠ جنيه للمشروع.

٧- انشاء مدينة للصناعات الرياضية بكفر الشيخ:

تم تخصيص مساحة ١٦٠ فداناً بمحافظة كفر الشيخ على أن يتم إنشاء مدينة صناعية متكاملة على جزء من تلك المساحة.

٨- مشروع انارة المنشآت الرياضية بالطاقة الشمسية:

تمت دراسة مشروع إنارة كافة المنشآت الرياضية بالطاقة الشمسية الأمر الذى يثمر عنه بعد بضع سنوات عدم الاعتماد على الكهرباء من الدولة، تكلفة المشروع ١٥,٢٥٠,٠٠٠ جنيه.

منظومة الأمن ومكافحة الإرهاب:

تواجه الدولة المصرية إرهاباً وموجات متوالية من العنف من قبل الجماعات الإرهابية التى تسعى جاهدة إلى نشر الفوضى وزعزعة الأمن والاستقرار، وذلك لفرض إرادتهم على الشعب المصرى بالقوة والعنف، من خلال التحريض واستهداف قوات الجيش والشرطة ورجال القضاء، وقطع الطرق وإتلاف

الممتلكات العامة والخاصة. وفى ظل ما تقوم به هذا التنظيمات من أعمال إجرامية وانتهاكات وحشية تجرمها كل الأديان، تواجه الدوله بقوة هذا التهديدات لتأمين وتمهيد الطريق للبناء وذلك من خلال عدد واسع من عمليات للجيش المصرى والتى نجحت فى حصار الإرهاب.

وبالتوازى لجهود مواجهة الإرهاب تتصدى قوات الأمن المصرية وقوات حرس الحدود فى توجيه ضرباتها القاصمة للعناصر الإجرامية والمهربين وتجار المواد المخدرة التى تستهدف الإضرار بالأمن القومى المصرى على جميع الاتجاهات الاستراتيجية.

و لضمان الأمن والأستقرار الذى تنشده البلاد خلال مسيرتها نحو التنمية وبناء المستقبل، حرصت أجهزة الدولة على الحفاظ على مكانة الجيش المصرى الذى يعد الأول فى القارة الإفريقية والمنطقة العربية وذلك من خلال إبرام عدد من صفقات السلاح لقواتنا المسلحة، ومنها:

١- نوفمبر ٢٠١٤: اتفقت مصر مع روسيا على منظومة الدفاع الجوى «إس ٣٠٠»

٢- فبراير ٢٠١٥ توقيع مصر مع فرنسا، صفقة شراء ٢٤ طائرة «رافال»،

٣- مارس ٢٠١٥ إبرام صفقة بين مصر وموسكو لشراء ١٢ مقاتلة من الجيل الرابع من مقاتلة السيادة الجوية الحديثة «سو ٣٠ كا» وهى طائرة من سلالة مقاتلات «سوخوى» الشهيرة.

٤- مايو ٢٠١٥:

٥- الاتفاق مع روسيا للحصول على ٤٦ من طائرات «ميج ٢٩» وهى مقاتلة متعددة المهام من الجيل الرابع صممت للسيطرة الجوية.

٦- يوليو ٢٠١٥: تسلمت مصر الفرقاطة البحرية فريم والتى جاءت ضمن صفقة تم توقيعها مع الجانب الفرنسى.

٧- يوليو ٢٠١٥: وصول الدفعة الاولى من طائرات الرافال الفرنسية «٣ طائرات».

٨- يوليو ٢٠١٥: تسلمت مصر ٨ طائرات مقاتلة خفيفة الوزن من نوع «إف ـ ١٦ ـ بلوك ٥٢»، من الولايات المتحدة.

٩ ـ أغسطس ٢٠١٥: تسلمت مصر ٥ أبراج أمريكية الصنع لدبابات «إبرامز إم١ إيه١» فى القاعدة الجوية بشرق القاهرة، كما أعلنت الولايات المتحدة تسليم مصر ١٤ برجًا إضافيًّا لدبابات «إم١ إيه١» فى وقت لاحق.

١٠ـ أغسطس٢٠١٥: روسيا تهدى مصر لنشًا عسكريًا من طراز «بى ٣٢ – مولينيا».

١١ ـ أكتوبر ٢٠١٥: توقيع على صفقة حاملتى المروحيات «ميسترال»، حيث تعد مصر أول دولة فى منطقة الشرق الأوسط وقارة إفريقيا والعالمين العربى والإسلامى، تمتلك حاملات مروحيات.

١٠ - ١٢ ديسمبر ٢٠١٥: تدشين أول غواصة مصرية حديثة من طراز«٢٠٩/١٤٠٠» والتى تم بناؤها بترسانة شركة «تيسين جروب« الألمانية، والتى تعد بمثابة إضافة تكنولوجية هائلة لامكانات القوات البحرية ودعم قدرتها على حماية الأمن القومى المصرى، ومواجهة التحديات والتهديدات المختلفة التى تمس امن وسلامة السواحل والمياه الإقليمية المصرية.

١٣ أكتوبر ٢٠١٥: سلمت الولايات المتحدة الأمريكية السلطات المصرية ٤ طائرات مقاتلة من طراز «إف ١٦»

١٤ يناير ٢٠١٦: وصول ثلاث مقاتلات جديدة من طراز «رافال» الفرنسية والتى تمثل الدفعة الثانية من الصفقة وذلك فى إطار الاتفاقية التى أبرمتها مصر مع فرنسا مطلع العام الماضى.

١٥ أبريل ٢٠١٦: احتفلت شركة ترسانة الإسكندرية البحرية بقطع أول لوح معدنى لتصنيع أول سفينة حربية من طراز «GOWIND » فى جمهورية مصر العربية، لتكون المرة الأولى التى تقوم فيها الشركة ببناء وحدة حربية كبرى ذات تكنولوجيا عالية فى مصر والشرق الأوسط، ويأتى هذا الحدث كأول خطوة فى بدء تصنيع أول ٣ سفن حربية من طراز (GOWIND) بشركة ترسانة الإسكندرية طبقاً للعقد الذى تم إبرامه مع الجانب الفرنسى فى ٢٠١٥

١٦ أبريل ٢٠١٦: شركه ترسانة الإسكندرية البحرية بتدشين القاطرة «إسكندرية ٦» من طراز «تركتورز» وتتميز القاطرة

بقدرات عالية فى مساعدة القطع البحرية بقوة شد تبلغ ٤٠ طنا.

التعليم:

يعد التعليم من أبرز اهتمامات الدولة وكان له الأولويه على قائمة المشاريع القومية لتحقيق حاضر ومستقبل أفضل من خلال سلسله من المشروعات لتطوير وإصلاح التعليم فى مصر، أهمها:

١ـ مدارس المتفوقين:

تم إطلاق مدارس المتفوقين للعلوم والتكنولوجيا، والتى تعد نقلة نوعية فى نظام التعليم المصرى، حيث تعمل هذه المدارس وفقًا لنظام «STEM» وهو اختصار لـ « Since Technology Engi- neering Math» وهو نظام تعليمى يجمع فيه الطالب بين العلوم والتكنولوجيا والهندسة والرياضيات، وتعتمد فيه طريقة التعلم على البحث والتجريب، بحيث يكون الطالب هو مصدر المعلومة.

وبعد نجاح تجربة إنشاء أول مدرستين، وجه الرئيس عبد الفتاح السيسى بالتوسع فى بناء هذا النوع من المدارس فى كل محافظات الجمهورية. وخلال العام الدراسى ٢٠١٥/ ٢٠١٦، افتتحت وزارة التربية والتعليم ٧ مدارس فى ٧ محافظات هى: الإسكندرية، الدقهلية، أسيوط، كفر الشيخ، الإسماعيلية، البحر الأحمر، والأقصر.

٢ـ تعيين ٣٠ ألف معلم:

من أجل القضاء على العجز الذى تعانى منه بعض المدارس من

حـيث عـدد المدرسـين قـامت وزارة الـتـربيـة والتـعليم، بـأطلاق مسابقة لأختيار الـ٣٠ ألف معلم خلال عام ٢٠١٤، لتقليل العجز الذى وصل إلى ٥٥ ألف مـعلم، وتقـدم نحـو ٧٥٠ ألف مـعـلم ومعلمة للمسابقة، وتم أختيار نحو ٣٠ ألف معلم للتعليم العام والتعليم والفنى، وتم تعيين نحو ٢٨ ألف معلم حتى الآن ويتبقى نحو ألفى معلم لإنهاء إجراءات التعيين.

٣ ـ بناء المدارس لمواجهة الكثافة الطلابية:

تمتلك وزارة التـربيـة والتـعليم نـحـو ٥٢ ألف مـدرسـة بمخـتلف مـحـافظات الجـمـهورية لاسـتـقـبـال ١٩ مليونـاً و٣٥٠ ألف طالب بجميع مراحل التعليم سنوياً.. وتواجـه الوزارة مشكلة كبيرة فى الكثافة الطلابية التى تصل إلى ١٤٠ طالباً فى الفصل الواحد فى العديد من المحافظات.

لحل الأزمة تم الآتى:

تم إنشـاء نـحـو ٦ آلاف و١٢٩ فـصـلاً دراسـيـاً بمـخـتلف مـراحل التعليم فى المحافظات.

الانتــهــاء من بناء أســوار لــ٢٢٢ مــدرســة بجــمــيع أنحــاء الجمهورية، كما تم إنشـاء ٦٠ محطة طاقة شمسية على أسطح المبانى المدرسية من خلال مشروع طموح لتغطية ١٢٠٠ مدرسة خلال ٣ سنوات.

تطبيق منظومة الفصل التفاعلى لعدد ٥٨٠٠ فصل للصف الأول الثـانوى «عـام / فنى» بقـدرة اسـتـيـعـاب ٢٠٠ ألف طالـب فى

١٣محافظة. وتواكب ذلك مع تجهيز ٢١٥٠ معمل حاسب آلى لمدارس المرحلة الإعدادية، و٤٣٤ معملاً للمرحلة الابتدائية وتدريب ٣٧ ألف معلم على استخدام تكنولوجيا الفصل التفاعلى.

اعتماد ١٥٩ مدرسة لضمان الجودة فى التعليم، كما تم تأهيل ١٠٠٠ مدرسة أخرى للحصول على اعتماد الجودة.

تدريب المعلمين:

إطلاق مشروع «التعليم أولا عام ٢٠١٥، وخلال المرحلة الاولى تم تدريب عدد ٨ آلاف و٥٧١ من الكوادر الإدارية بالمدارس من إجمالى المستهدفين ٢٠ ألفاً و١٢٢ متدرباً، ويتضمن ذلك ٤ آلاف و٢٧٥ من مديرى المدارس، والمعلمين، والأخصائيين، فضلا عن تدريب ٧٣١ من مديرى المدارس الرسمية للغات، وعدد ٢٨٦ من معلمى اللغة الإنجليزية بالمرحلة الثانية من مشروع «التعليم أولاً » فى يناير ٢٠١٦ .

٤ - المناهج الدراسية:

تم الانتهاء من تنقيح وتطوير نحو ٩٠٪ من المناهج الدراسية فى مختلف المناهج لجميع المراحل التعليمية «ابتدائى وإعدادى وثانوى».

مشروعات المجلس التخصصى للتعليم والبحث العلمى التابع لرئاسة الجمهورية.

١- البرنامج الرئاسى لتأهيل الشباب للقيادة:

أطلق الرئيس عبد الفتاح السيسى، البرنامج الرئاسى لتأهيل الشباب للقيادة، الذى يهدف إلى تخريج قيادات شابة قادرة على الإدارة وتولى المسئولية والمناصب القيادية وفقا لأساليب الإدارة الحديثة.

البرنامج يهدف إلى تأهيل ٢٥٠٠ شاب وشابة سنوياً كمرحلة أولى.

يهدف لإنشاء قاعدة شبابية من الكفاءات القادرة على تولى المسؤولية السياسية والمجتمعية والإدارية فى الدولة وذلك من خلال تأهيلها بأحدث نظريات الإدارة والتخطيط العلمى والعملى واختبار قدراتها على تطبيق الأساليب والطرق الحديثة بكفاءة عالية لتكوين نواة حقيقية لمجتمع يفكر ويتعلم ويبتكر.

والبرنامج عبارة عن كيان مستقل تابع لرئاسة الجمهورية، ويدار من خلال إدارة متخصصة محترفة، ويلتقى الدارسون خلال فترة البرنامج عدداً من رموز الفكر والثقافة لإثراء القاعدة المعرفية لديهم، وتوفير مساحة التواصل المباشر بين الدولة بمؤسساتها ومئات الآلاف من الشباب بشكل مباشر وبدون وسطاء وفى وقت قياسى، ورفع مستويات الوعى السياسى والثقافى من خلال إعطاء صورة شاملة عن النظم السياسية والحكومية ونظم إدارة المؤسسات.

بعد التخرج من البرنامج: سوف تتوفر للخريجين، وظائف

قيادية على مسار تصاعدى سريع مع كبار المسؤولين مع دراسات أعلى فى مؤسسات أكاديمية عالمية، ووظائف تنفيذية فى قطاعات الوزارات والمحافظات بالإضافة الى فرص العمل الأولى مع الشركات الراعية.

يحصل الشاب أو الشابة المتخرج من البرنامج على شهادة أكاديمية احترافية بعد اجتيازه المراحل المختلفة للبرنامج والتى تتضمن ثلاثة محاور رئيسية «علوم سياسية واستراتيجية / علوم إدارية وفن قيادة / علوم اجتماعية وإنسانية» ويتخلل ذلك أنشطة رياضية وثقافية وفنية.

٢- المعلمون أولاً:

«المعلمون أولا» مشروع قومى أعده المجلس التخصصى للتعليم والبحث العلمى التابع لرئاسة الجمهورية بالتعاون مع وزارة التربية والتعليم والتعليم الفنى وشركة إيماجين إيديوكاشين Education Imagine للاستشارات التعليمية، من أجل تمكين المواطنين أن يحققوا أقصى استفادة ممكنة من المعرفة فى مجتمعات التعلم التى نعيش فيها اليوم.

أهداف المشروع:

١- إنشاء جيل جديد من المعلمين خبراء فى موادهم الدراسية وكذلك فى عملية التعليم نفسها، قادرين على تحليل كافة أهداف التعليم وتحديد، بطريقة مختلفة ومبتكرة، بيئة التعليم المثلى، وتجربة التعليم المناسبة وكذلك نمط التقييم الأنسب.

٢- رفع مستوى مخرجات العملية التعليمية للطالب.

٣- تحسين جودة التعليم والرفع من مكانة المعلمين فى المجتمع.

٤- تأسيس أول مجتمع «يتعلم» فى العالم «Society Learning»

تأسيس قوى عاملة على أعلى مستوى قادرة على تحقيق النمو الاقتصادى للدولة.

منهج المعلمون أولاً :

ويعتمد المنهج العلمى للمشروع على فَرق من سفراء التعلم الذين سيكونون موجدين فى المدارس، وسيعملون على بناء ثقافة الابتكار. كما سيبذلون قصارى جهدهم من أجل نقل وتطبيق رسالة المشروع إلى كل الفصول الدراسية، وسيعملون على إحداث تأثير جذرى على كل الطلاب. وسيعمل سفراء التعلم بالتعاون مع المعلمين الآخرين، وسيتعاونون معاً على تطوير شكل ومنظومة التعليم والتعلم داخل الفصول الدراسية.

كما سيقومون بالتركيز على السلوكيات الاحترافية والتربوية. ومن خلال تطبيق هذه السلوكيات فى الحياة المدرسية اليومية، لتطوير عادات وسلوكيات جديدة، وهو ما سيسهم فى إحداث تأثير إيجابى على الطلاب والمعلمين على حد سواء.

الفئة المستهدفة:

فى المرحلة الأولى من المشروع سيتم تدريب ١٠,٠٠٠ معلم ومعلمة من ١٠٠ مدرسة بهدف إحداث تغيير جذرى يؤثر على العملية التعليمية لـ ١,٠٠٠,٠٠٠ متعلم ومتعلمة بحلول مايو ٢٠١٧.

٣- بنك المعرفة:

قام السيد رئيس الجمهورية بتدشين مشروع بنك المعرفة المصرى فى ١٤ نوفمبر ٢٠١٥، ويعتبر بنك المعرفة المصرى أحد أكبر وأشمل بنوك المعرفة الموجودة على مستوى العالم نظراً لما يحتويه من مصادر معرفية وتعليمية وثقافية وبحثية من أكبر دور النشر والإنتاج العالمية وبيوت الخبرة المتخصصة، كما يعتبر أحد المشروعات الرائدة على مستوى العالم من حيث الإتاحة على المستوى القومى.

يعد بنك المعرفة المصرى من أهم المشاريع الوطنية لتثقيف الشباب والأطفال وأولياء الأمور بأمهات الكتب ملايين المعلومات المجانية التى يمكنك تصفحها عبر أمهات الكتب والمجلات والأبحاث.

ويهدف مشروع بنك المعرفة إلى تطوير منظومة البحث العلمى، وإتاحة المحتوى العلمى والمعرفى مجانا لكل المصريين، بما ينعكس إيجاباً على مجالات التعليم والبحث العلمى.

كما أن الباقة المعرفية المكونة «لبنك المعرفة المصرى» تحتوى

على دوريات علمية فى جميع مجالات المعرفة «كتب إلكترونية، مجلات إلكترونية، مناهج دراسية للتعليم الأساسى والجامعى، قواعد بيانات، محركات بحث، مكتبات رقمية للفيديو والصور، وكذلك برامج للحاسبات فى مجالات الرياضيات وغيرها»، وأن هذه الباقة الإلكترونية مصممة ليستفيد منها جميع أطياف المجتمع من مختلف التخصصات والاهتمامات ومختلف الأعمار، حيث يجد الباحث الأكاديمى فيها كل ما يفيده للارتقاء بالبحث العلمى، كما يجد فيها الشاب المتطلع للمعرفة أحدث ألوان المعرفة الإنسانية فى كل المجالات ويجد فيها المعلم كل ما يساعده على تطوير طرق التدريس، ويجد فيها الطالب ما يجذبه إلى التعلم، وأن «بنك المعرفة المصرى» هو طريق مصر إلى التقدم والتنافسية.

وقد صرح السيد الرئيس عبد الفتاح السيسى يوم إطلاق المشروع، «أن التعليم سيكون بالمجان فى كل منزل، وهدفنا الأساسى من المشروع القومى هو نشر الثقافة والمعرفة لكل أفراد الأسرة».

الرعاية الصحية:

بالإضافة إلى المشروعات القومية الكبرى التى تم تدشينها، كان هناك مشروع قومى آخر لا يقل أهمية عن المشروعات السابقة وهو ما يتعلق ببناء الإنسان المصرى وتوفير الحماية والرعاية له وعليه تم تخصيص نسبة من الإنفاق العام تتصاعد تدريجياً لصالح قطاع الصحة وإضافة مرافق طبية جديدة.

١- تم الانتهاء من إنشاء وتطوير عدد « ١٨٦ » مستشفى / مركزاً طبياً / وحدة صحية منها من أصل «٢٠٥».

٢- تم تعديل وتحديث معايير إعتماد المستشفيات ومعايير اعتماد وحدات طب الاسرة والمستوصفات حسب معايير دولية « حسب معايير الجهة الدولية للاعتماد Qua IS وكانت مصر هى الدولة الاولى فى الشرق الاوسط والتاسعة فى العالم فى الحصول على تلك الشهادة».

٣- تفعيل حملة قومية واسعة النطاق للقضاء على أمراض الكبد وفيروس «سى»، ومن خلال منظومة عمل كاملة تضمنت توسيع دور مؤسسات المجتمع المدنى، وأطلق صندوق تحيا مصر استراتيجية سريعه لتنفيذ برنامج مكافحة وعلاج فيروس «سى» بالتنسيق مع وزارة الصحة والسكان.

- استهدف البرنامج حصر وتوفير العلاج والمتابعة لعدد كبير من المواطنين على قوائم انتظار الحالات التى تم لها إصدار قرار علاج على نفقة الدولة بوزارة الصحة والسكان أو التى لا يشملها قرارات العلاج على نفقة الدولة.

- أرقام هامة عن برنامج علاج المليون مصاب «الفترة من نوفمبر ٢٠١٥ الى مايو ٢٠١٦»

توضح الجهة وعدد المصابين وحالات المرحلة الأولى والحالات الجارى علاجها على الترتيب

وزارة الصحة «اللجنة القومية للفيروسات الكبدية» ٤٠٠,٠٠٠/

٣١٢ ,٦٧/ ٧٧٧ , ٤٠

مؤسسات المجتمع المدنى ٠٠٠ , ٢٠٠/ ٨٤٧ , ١٠ /٦٣٩

صندوق تحيا مصر ٠٠٠ , ٤٠٠/ ٢٨٦ ,١٨٨/ ٠٤٩ , ١٩

الاجمالى ٠٠٠ , ٠٠٠ , ١/ ٤٤٥ ,٢٦٦/ ٤٦٥ , ٦٠

٤- تطبيق أربعة مشروعات قومية لخدمة مرضى السكر وجار إنشاء ٢٦ وحدة لعلاج مرضى السكر فى جميع محافظات الجمهورية.

٥- الانتهاء من مشروع قانون التأمين الصحى الجديد: «يناقش حاليا أمام البرلمان»:

ويعتبر نظام التأمين الصحى الشامل الجديد، هو نظام «إلزامى»، يعتمد على توفير الخدمة الصحية الشاملة اللائقة لجميع المصريين المقيمين داخل جمهورية مصر العربية ويربط رقم التأمين الصحى، بالرقم القومى، ويعتمد على الأسرة وليس الفرد، كما أن القانون سيسرى على جميع المواطنين فى كل الفئات العمرية بجميع أنحاء الجمهورى.

ملف السياسة الخارجية:

تسلم الرئيس عبد الفتاح السيسى المسئولية بينما كانت مصر تعانى من وضع غير مستقر على الصعيد الخارجى.. لم يستوعب عدد كبير من الدول والكيانات الدولية ذات التأثير حقيقة ما جرى فى مصر من تغيير فضلاً عن مفاهيم مغلوطة

تعمد البعض تصديرها الى الغرب فى محاولة لتكوين صورة غير حقيقية حول ثورة يونيو العظيمة.

قام الرئيس عبد الفتاح السيسى بـ٤٤ زيارة خارج مصر وقضى ٦٥ يوماً خارج البلاد

من هنا كانت استراتيجية الدولة المصرية فى سياستها الخارجية قائمة على عدد من المحاور:

التحرك بشكل مكثف فى جميع الدوائر الحيوية بالنسبة لمصر.

شرح وجهة النظر المصرية والدفاع عنها والتمسك باستقلالية القرار المصرى.

التأكيد على عدم التبعية والاستعداد للشراكة مع الجميع فى إطار الاحترام المتبادل.

استعادة مصر لدورها فى محيطها الإقليمى عربيا وإفريقيا.

الوجود على مستوى القمة فى جميع المحافل الإقليمية والدولية.

الحصول على مقعد غير دائم فى مجلس الأمن لعامى ٢٠١٦-٢٠١٧

الانطلاق نحو الشرق بأفق جديد وخصوصًا تجاه روسيا والصين لاعادة الاتزان لسياستنا الخارجية.

التأكيد على الثوابت المصرية تجاه القضايا الإقليمية والدولية المختلفة.

-الاستفادة من تجارب الدول المختلفة فى التنمية.

عبرت زيارات الرئيس عبد الفتاح السيسى الخارجية، واستقبالاته لقادة ومسئولين عرب وأجانب داخلياً، وتنظيم مصر العديد من المؤتمرات عن توجه جديد فى السياسة الخارجية المصرية، يولى أهمية كبيرة للتوازن فى علاقات مصر الدولية الذى يولى مصلحة مصر الأهمية الكبرى، والوفاء بمتطلباتها التنموية والاستثمارية.

التركيز على عدم تقديم أى تنازلات لما يطرح بالخارج بشأن سياسة مصر الداخلية. فقد تميز العام الأول لحكم الرئيس السيسى بتحديد خط أحمر لا يتم تجاوزه واستعادة دور مصر الرائد فى مساندة ودعم وحل القضايا العربية

نوعية وحجم الأنشطة الخارجية

تنقسم الأنشطة الخارجية إلى نوعين من الأنشطة وهما: الزيارات الخارجية والمؤتمرات والقمم الدولية وهناك تباين بينهما من حيث اهتمام الرئيس بهما بالقياس إلى جملة الأنشطة الخارجية وهذا ما يوضحه الشكل التالى:

المشروعات الصغيرة والمتوسطة

عملت الدولة على ضخ ٢٠٠ مليار جنيه مصرى «٢٥ مليار دولار» لدعم المشروعات الصغيرة والمتوسطة لتنفيذ برنامج شامل لدعم تلك المشروعات ومن المتوقع أن تمثل قروض المشروعات الصغيرة والمتوسطة ٢٠٪ من إجمالى القروض المصرفية.

مصر الكبرى ٢٠٣٠

استراتيجية مصر للتنمية المستدامة «رؤية مصر ٢٠٣٠».. تعكس الملامح الأساسية لمصر الجديدة خلال الـ ١٥عاما المقبلة، حيث قررت مصر أن تنطلق نحو البناء، والتنمية، ومواجهة التحديات.

«رؤية مصر ٢٠٣٠» تبنت منهجية التخطيط بالمشاركة، حيث أسهم فى إعدادها مجموعة عمل متميزة، ضمت مئات الخبراء فى مختلف التخصصات وآلاف الشباب فى مختلف المحافظات عملوا بكل جد واجتهاد على مدى أكثر من عامين متتاليين لصياغة الوثيقة، والتى حاولت من خلالها رسم صورة لمصر المستقبل، مصر القادرة على مواجهة التحديات والصعاب مصر التى يبذل أبناؤها وشبابها الغالى من أجل أن تتبوأ مكانتها اللائقة بها بين الأمم.

وثيقة «رؤية مصر ٢٠٣٠»، أعدتها وزارة التخطيط، بمشاركة

أكثر من ٢٠٠ خبير ومتخصص فى مجالات التخطيط والاقتصاد القومى والإدارة والسياسات العامة.

وتنقسم استراتيجية مصر ٢٠٣٠، إلى اثنى عشر محورًا رئيسيًا، تشمل محور التعليم، والابتكار والمعرفة والبحث العلمى، والعدالة الاجتماعية، والشفافية وكفاءة المؤسسات الحكومية، والتنمية الاقتصادية، والتنمية العمرانية، والطاقة، والثقافة، والبيئة، والسياسة الداخلية، والأمن القومى والسياسة الخارجية والصحة.

وكانت وزارة التخطيط قد بدأت فى الإعداد لها مطلع عام ٢٠١٤، واستمرت إلى عام ونصف العام بمشاركة القطاع الخاص والمجتمع المدنى حيث أسهما بشكل كبير فى إعدادها لتحقيق الأهداف المرجوة.

واعتمدت الرؤية على البناء على الجهود السابقة والاستفادة من جميع الاستراتيجيات والخطط التى تم وضعها فى فترات مختلفة، بما فى ذلك أخطاء الماضى، وبتطبيق أفضل الممارسات العالمية فى اعداد الخطة والاستراتيجيات وفى تحديد الغايات والأهداف القابلة للقياس الكمى وفى وضع آلية مؤسسية للمتابعة والتقويم والرقابة والمساءلة تكون مبنية على مؤشرات قياس أداء رئيسية متسقة مع الأهداف الأممية للتنمية المستدامة لما بعد عام ٢٠١٥ وحتى عام ٢٠٣٠، والتى أطلقتها الأمم المتحدة فى سبتمبر من العام الماضى، وكذلك مع أجندة إفريقيا ٢٠٦٣.

ولا شك، أن نجاح هذه الاستراتيجية فى تحقيق أهدافها يرتبط بتبنى المجتمع بكل فئاته، السياسة، والبرامج، والمبادرات التى تتضمنها هذه الاستراتيجية.. وأن يرى فيها ما يحقق آماله وطموحاته.

وأكد الدكتور عبد الحميد سامى القصاص رئيس معهد التخطيط القومى، أهمية التخطيط فى بناء المجتمعات، ووضع حلول واقعية للتحديات، وصياغة رؤية مستقبلية وسيناريوهات للانطلاق نحو المستقبل، لتفادى الأزمات فى مختلف القطاعات، مشيرا إلى أن «رؤية مصر ٢٠٣٠»، تقوم على تنفيذ استراتيجية متكاملة تتناول الأبعاد الاقتصادية والاجتماعية والبيئية للتنمية المستدامة فى ١٠ محاور تشمل: التنمية الاقتصادية، والطاقة، والمعرفة، والابتكار، والبحث العلمى، والشفافية، وكفاءة المؤسسات الحكومية، والعدالة الاجتماعية، والتعليم، والتدريب، والصحة، والثقافة، والبيئة، والتنمية العمرانية، بالإضافة إلى السياسة الخارجية والأمن القومى والسياسة الداخلية. ومن ثم سيكون للاستراتيجية الدور الرئيسى فى تخطيط مستقبل التنمية المستدامة لمصر حتى ٢٠٣٠، كما أنها ستمكن مصر من المقارنة فى مدى تحقق أهداف التنمية المستدامة ٢٠٣٠ على المستوى الدولى.

وقد تم الاعتماد على عدة تجارب دولية حققت التنمية المستدامة، منها الهند والإمارات وزامبيا والكويت وتركيا وسنغافورة وماليزيا.

آفاق التنمية

معهد التخطيط القومى شارك، بجهود ملموسة فى إعداد الاستراتيجية، وأدرج المعهد فى خطة بحوثه لعام ٢٠١٥/ ٢٠١٦، أربعة بحوث لخدمة استراتيجية التنمية المستدامة، بالإضافة إلى تقديم الاستشارات، وعقد البرامج التدريبية لدعم قدرات العاملين بالوزارة، وذلك من الموازنة العامة للدوله المخصصة للمعهد. كما أن المعهد يعد لمؤتمر دولى عن «آفاق التنمية المستدامة مع التركيز على دور التعليم والتعلم»، ويجهز المعهد أيضاً مشروعاً للتعاون من المعهد الدولى لتحليل تطبيقات النظم بالنمسا IIASA– لبناء مجموعة من النماذج الرياضية لوضع نماذج التشابكات بين الأبعاد الاجتماعية والاقتصادية والبيئية لاستراتيجية مصر ٢٠٣٠ لتساعد فى قياس مؤشرات الأداء لأهداف، وغايات الاستراتيجية، وحساب السيناريوهات البديلة لتحقيقها، ويمكن أيضاً أن يكون للمعهد دور فاعل من خلال منظومة المجلس الأعلى للتخطيط بحيث يكون المعهد الوعاء الفكرى لوزارة التخطيط، ويلعب دوراً فى إجراء دراسات جدوى، وتقييم المشروعات، وتحديد أولويات الاستثمار، ووضع نظم للمتابعة، وتطوير مناهج التخطيط.

عودة الدول التنموية

النظام السياسى الجديد الذى ينبثق من ثورة ٣٠ يونيو، كما يقول علم الاجتماع السياسى– يعيد فى الواقع صياغة دور الدولة، ويفسح الطريق واسعا وعريضا، لعودة نموذج «الدولة

التنموية» التى رسختها ثورة يوليو ١٩٥٢، باعتبار أن مهمتها الرئيسية هى التنمية الشاملة من خلال القيام بمشروعات قومية كبرى، وقد بدأ الرئيس عبد الفتاح السيسى هذا العصر التنموى الجديد فى مصر، بمشروع قناة السويس الجديدة، التى اعتمد فيها لأول مرة فى تمويلها على الاكتتاب الشعبى، الذى نجح نجاحا ساحقا، مؤكدا أنه فى بداية عهد الرئيس السيسى، عادت الدولة التنموية لتلعب الدور الأساسى فى التنمية، ما يعنى أن الدولة هى الطرف الأساسى فى أى نظام سياسى، وأصبحت مهمة التنمية القومية هى رسالتها الأساسية، وليس فى ذلك أى استبعاد لرجال الأعمال مصريين، أو عربا، أو أجانب، ولكن بشروط الدولة، وتحت رقابتها، وبدون الفساد، الذى نهب ثروتها القومية. وعلى ذلك، لابد من التوافق مع الدولة التنموية العائدة– والمشاركة فى التنمية المستدامة بكل قوة، تخطيطا وتنفيذا وتعبئة وحشدا، وينبغى على مؤسسات المجتمع المدنى، أن تصبح مؤسسات تنموية تشارك بفعالية فى جهود التنمية الشاملة.

الاعتماد على الذات

تكتسب مقومات التنمية الأساسية، كما يقول خبراء الاقتصاد فاعلية أكبر كلما كان ذلك فى إطار توجه استراتيجى للتنمية، مفاده الاعتماد على الذات، واكتساب القدرة على حل المشكلات، وإعطاء الفرصة لرأس المال المصرى، والاعتماد عليه فى قيادة عملية التنمية، وحتى لا تذهب أرباح المشروعات

للمستثمر الأجنبى، ولا يستفيد منها الوطن، ولا مانع من أن يكون دور رأس المال الأجنبى مكملا ومساعدا، على أن يكون ذلك تحت رقابة الدولة، وإشرافها، حيث تعكس استراتيجية التنمية المستدامة فى مصر حتى عام ٢٠٣٠، تعكس اهتمام الدولة، وحرصها على بناء مجتمع متطور، ومنتج، ودعم اقتصاد سوق منضبط، يتميز بالاستقرار، وقادر على تحقيق نمو شامل ومستدام، ويتميز بالتنافسية، والتنوع، ودعم القطاع الخاص، وتعظيم القيمة المضافة، وتوليد المزيد من فرص العمل، وجذب المزيد من الاستثمارات.

بين الواقع والمأمول

كان من الضرورى إعداد استراتيجية للتنمية المستدامة، تضمن وضع مؤشرات على الطريق لتحقيق التنمية، والتنمية المستدامة، اى التى تراعى متطلبات النمو فى الفترة الحالية، وتراعى فى نفس الوقت حق الأجيال القادمة.

ووفقًا للمحور الاقتصادى للاستراتيجية، فإن الحكومة تلتزم بالعمل على تحقيق معدل نمو اقتصادى يصل إلى ٧٪ فى المتوسط، ورفع معدل الاستثمار إلى ٣٠٪ وزيادة معدل نمو الصادرات بنسبة ٢٥٪، وخفض معدل البطالة ليصل إلى نحو ٥٪، كما تهدف أيضًا إلى زيادة مساحة العمران فى مصر بنحو ٥٪ من مساحته الكلية وإنشاء ٧,٥ مليون وحدة سكنية، والوصول لحلول جذرية لمشكلة المناطق العشوائية، ورفع إنتاجية المياه بنحو ٥٪ سنويًا ومضاعفة معدل التحسن فى

فعالية استخدام الطاقة بحلول عام ٢٠٣٠، وأن تصبح مصر من أفضل ٣٠ دولة فى مؤشر جودة التعليم الأساسى والوصول بمعدل الأمية إلى الصفر، كما تستهدف الاستراتيجية العمل على وجود ١٠ جامعات مصرية على الأقل فى مؤشر أفضل ٥٠٠ جامعة فى العالم، وأن تصبح الجامعات المصرية من أفضل ٢٠ مؤسسة تعليم عالٍ فى الأبحاث العلمية المنشورة فى الدوريات المعترف بها عالمياً.

التمويل الذاتى

على الرغم من أهمية هذه الاستراتيجية، فإنها كما يقول خبراء الاقتصاد يجب أن تهتم بتعظيم التمويل الذاتى لعملية التنمية المستدامة، ودفع القطاع الخاص المصرى للمساهمة بفاعلية فيها، وتشجيع المواطنين على المساهمة فى عملية التنمية من خلال اقتصاد المشاركة، أو تحفيز التعاونيات للقيام بدورها فى عملية التنمية، لكى نحقق ما نصبو إليه من آمال وطموحات. تحديات وطموحات والحال كذلك، فإن استراتيجية مصر حتى عام ٢٠٣٠ كما يراها الخبراء تعد ضرورة وإطارا عاما متكاملا للتنمية الاقتصادية والاجتماعية يتضمن محاور رئيسية، ومشروعات محددة، نتمنى ان تنجح فى مواجهة المشكلات الرئيسية، وأبرزها الفقر، والمرض، والجهل، والبطالة والعشوائيات، وضعف الإنتاج والتصدير، واختلالات ميزانية الدولة، وميزان المدفوعات مع العالم الخارجى، وغيرها من المشاكل شبه المزمنة.

ومن الواضح الجهود المبذولة فى وضعها، والدعم من القيادة السياسية، والاهتمام الرسمى بإطلاق الاستراتيجية، والشفافية فى إعلانها بتفاصيلها عبر الموقع الإلكترونى وخصوصا فيما يتعلق بتحديد أهداف كمية واضحة، فى أن تصبح مصر من أفضل ٣٠ دولة على مستوى حجم الاقتصاد، وتنافسية الأسواق، ومكافحة الفساد، والتنمية البشرية.

وعلى الرغم من أن تطبيق الاستراتيجية على أرض الواقع، وتحقيق أهدافها، ومنها مضاعفة متوسط دخل الفرد المصرى من ٣٥٠٠ دولار إلى ١٠ آلاف دولار سنوياً، وخفض نسبة السكان تحت خط الفقر من ٢٦ إلى ١٥ ٪، ورفع معدلات النمو والإنتاج والتشغيل، قد تواجهها تحديات عديدة داخلية وخارجية، وبالرغم أيضا من الثقة فى القائمين على وضع الاستراتيجية، واستفادتهم من جهود الجهات الأخرى فى هذا المجال، وإشراكهم لممثلين عن منظمات المجتمع المدنى، والقطاع الخاص، والوزارات، والخبراء، والأكاديميين فإنه لابد من إعادة دراسة أسباب إخفاق الخطط التنموية السابقة على الصعيد التنفيذى والإجرائى وكشفها للقيادة السياسية، ومجلس النواب، وللرأى العام، حتى يمكن مواجهتها عند تنفيذ الاستراتيجية الحالية والخطط والسياسات والبرامج والمشروعات المنبثقة عنها.

ويمثل التمويل التحدى الأبرز لتنفيذ الاستراتيجية خصوصا مع قرب استنفاد بديل الاقتراض والمساعدات الخارجية وصعوبة رفع

معدلات الاستثمار الأجنبى فى ضوء التحديات السياسية والأمنية المحلية والإقليمية وترتيب مصر غير المتقدم فى مؤشرات بيئة أداء الأعمال جراء البيروقراطية وعوائق التشريعات، كما أن فرض مشروعات خلافية لم يثبت جدواها أو احتلالها مرتبة متقدمة فى سلم أولويات مصر خلال الـ١٥ سنة المقبلة ضمن الاستراتيجية، قد يعوق تنفيذها فى ضوء محدودية الموارد ومنها مشروع العاصمة الإدارية الجديدة، إضافة إلى المشروعات الطارئة التى يتم فرضها لأسباب اجتماعية وسياسية، ولابد من توفير دعم غير تقليدى، لتنفيذ الاستراتيجية بعد إقرارها النهائى، لاسيما أنه تم إعدادها بعد مراجعة مختلف الجهات وأبعاد الأمن القومى، لضمان مشاركة ودعم جميع الجهات الفاعلة للتنفيذ، دون استثناءات، وخصوصا الجهات السيادية. والمؤكد أن إنشاء وحدة متابعة لتنفيذ الاستراتيجية داخل رئاسة الجمهورية، من خلال آليات واضحة ومؤشرات لقياس الأداء، خطوة مهمة وضرورية، وينبغى مواجهة كل المعوقات الإدارية التى قد تعطل تنفيذ تلك الاستراتيجية.

محاور رئيسية

تنقسم استراتيجية مصر ٢٠٣٠ إلى اثنى عشر محورًا رئيسيًا تشمل، محور التعليم، والابتكار والمعرفة والبحث العلمى، والعدالة الاجتماعية، والشفافية وكفاءة المؤسسات الحكومية، والتنمية الاقتصادية، والتنمية العمرانية، والطاقة، والثقافة، والبيئة، والسياسة الداخلية، والأمن القومى والسياسة الخارجية والصحة.

وتشمل التوجهات الرئيسية للاستراتيجية التنمية المستدامة، أنه بحلول عام ٢٠٣٠ ستكون مصر من أكبر ٣٠ دولة على مستوى سعادة المواطنين مقارنة بترتيبها الحالى فى المركز الـ١٣٠ من أصل ١٥٦ دولة، كما ستكون من أكبر ٣٠ دولة فى مستوى التنافسية مقارنة بالترتيب الحالى ١٤٨ من أصل ١٨٨ دولة، فضلا عن تحسين مركزها كأقوى اقتصاد فى العالم لأكثر من ١٠ مراكز وصولا إلى أكبر ٣٠ اقتصاداً مقارنة بترتيبها الحالى ٤١ من أصل ١٩٢ دولة.

على الصعيد الاقتصادى

شملت الملامح العامة لخطة التنمية المستدامة ٢٠٣٠ عدداً من الاستراتيجيات العامة، منها:

خفض نسبة الدين العام الى الناتج المحلى الإجمالى فى حدود ٥٠ بالمئة، وألا تزيد نسب العجز الكلى على الناتج المحلى الإجمالى ٢٥ بالمئة، فضلا عن المحافظة على استقرار مستوى الأسعار بحيث يتراوح معدل التضخم ما بين ٣ – ٥٪.

تحقيق النمو الاحتوائى المستدام من خلال تحقيق الاقتصاد معدل فى المتوسط وتحقيق نمو متوازن إقليميا مقارنة بالأقاليم الاقتصادية المختلفة.

- من أهداف الإستراتيجية أيضًا أن تكون مصر لاعباً فى الاقتصاد العالمى قادرًا على التكيف مع المتغيرات العالمية، حيث يتضمن الهدف زيادة مساهمة الاقتصاد المصرى فى الاقتصاد

العالمى لتصبح مصر من أكبر ٣٠ دولة فى مجال الأسواق العالمية، ومن ضمن أفضل ١٠ دول فى مجال الإصلاحات الاقتصادية، وضمن دول منظمة التعاون الاقتصادى والتنمية خلال عشرة أعوام وضمن الدول حديثة التصنيع خلال ٥ سنوات.

ـ وفيما يتعلق بالتنافسية وتشمل زيادة مساهمه الخدمات فى الناتج المحلى الى ٧٠ ٪، وزيادة مساهمة الصادرات الى نحو ٢٥ ٪من معدل النمو، والعمل على أن يصل صافى الميزان التجارى فى الناتج المحلى الإجمالى إلى ٤٪، وكذلك العمل على جعل الاقتصاد المصرى لاعبا فى الاقتصاد العالمى من خلال ان تصبح مصر ضمن دول منظمة التعاون الاقتصادى خلال ١٠ سنوات، وانضمامها إلى دول BRICS خلال خمس سنوات.

كما تشمل الخطة توفير فرص عمل لائقة وخفض معدل البطالة ليصل الى ٥٪ بحلول عام ٢٠٣٠ ومضاعفة معدلات الانتاج، والوصول بنصيب الفرد من الناتج المحلى الإجمالى إلى مصاف الدول ذات الدخل المتوسط المرتفع، بحيث يصل نصيب الفرد فى حدود ٧:٨ آلاف دولار سنويا.

وعلى صعيد محور الشفافية وكفاءة المؤسسات الحكومية فى الخطة:

تشمل الانتهاء من جمع بيانات خريطة مصر التنموية على نظام

معلومات جغرافى فى كل القطاعات بحلول عام ٢٠١٦، والانتهاء من وتنفيذ آلية مشاركة المحليات والمواطنين فى وضع الموازنة بحلول عام ٢٠١٧، والعمل على خفض الشكاوى بنسبة ١٥ ٪، وتحقيق خفض سنوى بنسبة ٥٪ فى الباب الثانى والعمل على خفض الموازنة بنسبة ٠,٥٪ سنويا.

والعمل على تقدم ترتيب مصر ضمن اقل ٢٠ دولة عالميا فى مؤشر الفساد ومن أفضل ٣٠ دولة فى مجال كفاءة المؤسسات، ومن بين أفضل ٤٠ دولة فى مجال غياب الهدر فى الإنفاق الحكومى.

كما تتضمن خطة النهوض بالمؤسسات الحكومية تقديم خدمات مميزة مرتفعة الجودة باستخدام الأساليب التكنولوجية والوصول إلى ١٠٠٪ شيكات ومدفوعات إلكترونية بحلول ٢٠٢٠ وزيادة عدد الخدمات المقدمة من القنوات الجديدة لتصبح كافة الخدمات مقدمة إلكترونيا بنسبة ١٠٠٪.

وكذا وضع نظام رقابى حكومى محكم بوضوح وشفافية عبر صدور قانون تنظيم الإفصاح وتداول المعلومات، وخلق آلية لتلقى آراء المواطنين على ما تقوم به الحكومة، إضافة الى رفع ترتيب مصر كأفضل ٢٠ دولة فى مجال غياب المدفوعات غير الرسمية والرشاوى.

التعليم

تضمنت الخطة عدة محاور فى مقدمتها:

إعادة هيكلة وصياغة التعليم قبل الجامعى من خلال إنشاء المجلس الوطنى للتعليم وتفعيل دوره ليتولى مسئولية وضع

وتطوير سياسات التعليم فى مصر فى ضوء الرؤية الوطنية للتعليم والأهداف الاستراتيجية للدولة على أن تكون هيئة ضمان جودة التعليم والاعتماد وأكاديمية المعلم تابعين له.

ـ تحسين القدرة التنافسية لمنظومة التعليم المصرية، عبر تصنيفها كأفضل ٣٠ دولة فى مؤشر جودة التعليم الأساسى، وأفضل ٣٠ دولة فى مؤشر جودة النظام التعليمى، ومن أفضل ٢٠ دولة فى إتاحة التعليم الأساسى.

والعمل على محو الأمية الهجائية والرقمية لتصل الى الصفر الافتراضى ٧٪، والانتهاء من وضع إطار وطنى للمؤهلات.

وكذلك تضمنت الخطة إتاحة رياض الأطفال وتمكين الأطفال فى المراحل العمرية ٦ سنوات من مهارات التعليم المبكر عن طريق رفع نسبة القيد العام فى مرحلة رياض الأطفال ٤-٦ سنة لتصل الى ٨٠٪ وتضمين كل الأطفال فى تلك المرحلة العمرية فى مراحل التعليم التمهيدى قبل المدرسى فى إطار مؤسسى ومناهج معلنه بحلول عام ٢٠٣٠، وإعداد برامج تربوية للفئة العمرية ٣ سنوات بحلول عام ٢٠١٦.

وفيما يخص التعليم العالى، تشتمل الخطة على عدة محاور ومنها: تطوير نظم التقويم والامتحانات من خلال إقرار نظام قبول بالجامعات الحكومية مرتبط باحتياجات سوق العمل بنهاية عام ٢٠١٦ بحيث لا يعتمد على مكون واحد فقط ولكن على قدرات الطلاب كما تقيسها اختبارات القطاعات المختلفة.

تطوير مناهج الجامعات لتكون أكثر تطورًا ومتوافقة مع المناهج المعترف بها دوليًا.

وعن التعليم الفنى، سترتفع نسبة الورش المحدثة بالمدارس الفنية لتتواكب مع المناهج الجديدة المقترح تطبيقها بنهاية عام ٢٠١٨، وكذلك إقرار منظومة جديدة تسمح بالتحاق طلاب القطاع بالتعليم فوق المتوسط والتعليم العالى فى نفس مجالات الدراسة حتى درجات البكالوريوس والماجستير فى مجال الدراسة الفنية المتخصصة.

- العمل على إتاحة التعليم لكل طفل فى مصر فى إطار متوسط الزيادة السكانية المتوقع بمعدل ٢ مليون طفل فى السنة.

الارتقاء بالتعليم العالى

وفيما يتعلق بمحور الارتقاء بالتعليم العالى، أن تكون جميع مؤسسات التعليم العالى معتمدة مرتين على الأقل قبل حلول عام ٢٠٣٠ من الهيئة القومية لضمان الجودة والاعتماد محليا ودوليا، ووجود ١٠ جامعات على الأقل فى مؤشر أفضل ٥٠٠ جامعة على مستوى العالم، ووجود ٤٠ جامعة فى مصر كأفضل جامعات، وأن تحتل الجامعات المصرية أفضل ٢٠ مؤسسة تعليم عال فى الأبحاث العلمية المنشورة فى الدوريات المعترف بها عام ٢٠٢٠.

العمل على إقرار منظومة لتمويل الطلاب وتطبيقها بحيث لا يحرم طالب من الدراسة لا يملك القدرة المالية.

ومضاعفة تمويل الحكومة للتعليم العالى مرة كل ٣ سنوات حتى عام ٢٠٢٣ وإقرار نظام يسمح بالمرونة فى عدد سنوات التعليم العالى حسب الاحتياج التخصصى بحول عام ٢٠١٦.

وكذلك العمل على تدويل الجامعات المصرية من خلال رفع معدل عدد الطلاب الوافدين فى الجامعات المصرية وزيادة نسبة التبادل بين أساتذة الجامعات والمشرفين على الرسائل والبرامج التعليمية وذلك على المستوى الإقليمى والدولى.

الصحة

ويشتمل محور الصحة على ٦ أهداف أهمها:

تحقيق نتائج صحية أفضل وأكثر إنصافاً من أجل زيادة الرفاهية ودفع التنمية الاقتصادية، من خلال عدة خطوات على رأسها: تمديد سنوات الحياة الصحية بحيث يمكن للجميع التمتع بحالة من الرفاهية البدنية والعقلية والاجتماعية حتى سن التاسعة والسبعين.

خفض معدل وفيات أطفال حديثى الولادة والرضع والأطفال حتى سن الـ٥ سنوات بنسبة ٥٠٪ وخفض معدلات وفيات الأمهات بنسبة ٦٠٪، والعمل على إنهاء كل أشكال سوء التغذية فى مصر وتلبية الاحتياجات الغذائية للفئات الأكثر تعرضاً للمخاطر خصوصاً فيما يتعلق بالتقزم والهزال بين الأطفال أقل من خمس سنوات.

- العمل على الوصول بالإنفاق الحكومى على الصحة إلى ٥٪

من إجمالى الناتج المحلى، وتطوير برامج الصحة العامة من خلال خفض انتشار التهاب الكبد إلى أقل من ١٪ بين الأطفال حديثى الولادة، وخفض انتشار التهاب الكبد سى إلى ١٪ من السكان، وخفض ثلث الوفيات المبكرة التى تنتج عن أمراض القلب والسرطان والسكرى وأمراض الجهاز التنفسى المزمنة، فضلا عن العمل على الحد من انتشار مرض ارتفاع ضغط الدم بنسبة ٢٥٪.

- خفض استخدام التبغ بين الأشخاص من سن ١٥ فأكثر إلى أقل من ٢٠٪، والقضاء نهائيا على ظاهرة الإدمان.

كما تشكل خطة تطوير قطاع الخدمات الطبية، تطوير برامج الصحة عبر خفض الوفيات والإصابات الناجمة عن حوادث الطرق الى النصف من خلال زيادة عدد النقاط الإسعافية على الطرق والدفع بأعداد كبيرة من سيارات الإسعاف وخدمة الإسعاف الطائر، والقضاء على الأمراض الاستوائية المهملة، وضمان تغطية بنسبة ١٠٠٪ لكل تطعيم فى الجدول القومى وتوسيع نطاق جدول التطعيم القومى، والحفاظ على مصر خالية من مرض شلل الأطفال.

وتتضمن خطة تطوير الصحة أيضاً ضمان جودة وسلامة الخدمة الصحية، من خلال اشتراط الاعتماد كشرط للتعاقد مع المنشأة الصحية لتقديم الخدمات الصحية للمواطنين، وخفض نسبة الوفيات للأمهات داخل المنشآت الصحية بنسبة ٥٠٪ وخفض عدوى جروح العمليات بنسبة ٥٠٪ وخفض نسبة العدوى المكتسبة من المستشفيات بنسبة ٥٠٪.

الثقـافة

يتضـمن المحـور ٦ أهداف لتطوير الثقـافـة، أهمـهـا: التـأكيد على اكتـشـاف مـوهـوبين ونابغين من الأطفـال والشـبـاب بمعدل ٣٪ سنوياً من مـجـموع الأطفـال والشـباب فى كل أنحـاء الجـمـهورية وفى كل المجالات المتنوعة.

كمـا تضـمنت الخطة زيادة عدد مراكز التميز التى تسـتوعب كل الموهوبين فى جميع المجالات الثقافية والفكرية بواقع ٥٠ مـركزًا سـنويًا وتخـصـيص ١٪ من الموازنة العـامـة للدولة سـنويا لاكـتشـاف المواهب على أن تزيد تدريجـيا لتـصل إلى ٣ ٪ عـام ٢٠٢٠، وزيادة عـدد المكتـبـات العـامـة ونوادى المعلـومـات بالمدن والقرى والأحـيـاء بحـيث يتوفـر بحلول عـام ٢٠٣٠ مكتـبة عـامة ونادى معلومات واحد على الأقل بكل قرية.

زيادة عـدد الموهوبين ورعـايتـهم سنويا فى مـجـالات المواهب الأكاديمـيـة التى تسـاهم فى رفع القـدرة الإنتاجـيـة للاقـتصـاد المصرى بنحو٣٠ ألف موهوب سنويا فى مختلف المحافظات.

وفيما يتعلق بآليات تحويل الثقافة مصدر قوة لتحقيق التنمية الشـاملة لمصـر، تطرح الخطة زيادة فـرص التـدريب الحـرفى وتنمية المهارات لشباب فى مجال الصناعات التقليدية والتراثية بواقع ألف شـاب وفـتـاة كل عـام للعـمل فى مـجـال الصناعـة الحـرفية والتراثية خلال ١٥ عامـا، بالإضافة إلى إنشـاء اتحـاد للحـرف التـراثية يجمع المشـتغلين بهذه الحـرف، والعـمل على

زيادة نسبة الصادرات الثقافية من منتجات الصناعات الثقافية بمعدل ٢٠٪ سنويا.

تضمن الخطة أيضـًا، زيادة عدد دور العرض السينمائى لتتناسب مع عدد السكان بواقع دار عرض لكل ١٠ آلاف مواطن، وزيادة عدد الأفلام المنتجة بنسبة ٥٠٪ باعتبار الثقافة كأحد مصادر القوة الناعمة لمصر.

فيما يتعلق بإعادة هيكلة وتحديث المؤسسات الثقافية، تتضمن النص على إعادة هيكلة وزارة الثقافة ووزارة الدولة للآثار لتكونا وزارة واحدة للثقافة والتراث تتبعها كيانات مرنة قابلة للتطور ومواكبة التغيرات يعمل بها العدد المناسب للاحتياجات الفعلية للعمل بها تدريجيا خلال ٥ سنوات.

تشكيل مجالس إدارة ومجالس أمناء لقطاعات الوزارة وهيئاتها وللبيوت والمراكز الفنية والمتاحف والمكتبات من الخبراء والمهتمين بمجال عمل هذه المؤسسات من غير العاملين بالوزارة.

وتحويل المجلس الأعلى للثقافة إلى كيان مستقل يتولى مهمة تقويم السياسات الثقافية والحكم على أدائها وتوجيه هذا الأداء.

أما الهدف الثالث فهو الخاص ببناء منظومة معلوماتية دقيقة وشاملة عن الواقع الثقافى المصرى الراهن، عن طريق عدد من الخطوات أهمها: صدور مؤشر سنوى للحرية الثقافية يعكس

مدى احترام المجتمع وسماحه للحرية فى الاعتقاد والتفكير والتعبير، وصدور مؤشر سنوى للتمكين الإبداعى يعكس بيانات واضحة عن معدلات ونسب تشجيع المجتمع للجميع للتعبير بطريقة مبتكرة.

وجود قاعدة بيانات قابلة للتحديث المستمر تضم المبدعين فى كل المجالات الثقافية والفنية وإصدار تقرير سنوى عن الحالة الثقافية يشمل الخدمات والصناعات الثقافية والعمل الثقافى بصفة عامة.

التنمية العمرانية

يشمل وضع خريطة قوية تجسد رؤية قومية مستقبلية لمصر تتبناها الدولة ممثلة فى الجمهورية والبرلمان بغض النظر عن أى اتجاه سياسى بعينه، ووضع تشريع عمرانى لمصر بنهاية عام ٢٠١٥، وإنشاء مفوضية تتبع رئاسة الجمهورية ومجلس الشعب لمتابعة تحقيق الخريطة العمرانية الجديدة، ووضع رؤية إقليمية ومحلية لكل إقليم ومدينة مرتبطة بالرؤية القومية تسعى لتنمية المناطق العمرانية القائمة وإنهاء جميع المخططات العمرانية واستعمالات الأراضى لجميع الأقاليم والمحافظات والمدن والمناطق الاستثمارية الخاصة بنهاية عام ٢٠١٧.

كما يتضمن المحور إعادة تقسيم الأقاليم والمحافظات لتتناسب مع الرؤية المستقبلية، والعمل على مضاعفة المساحة العمرانية من خلال زيادة مساحة العمران فى مصر بنحو ٥٪ من

مساحتها الكلية حتى عام ٢٠٣٠ والبيانات الديموجرافية فى سياسة التنمية العمرانية، وإعادة توزيع السكان على مساحة الأرض من خلال تحديد مناطق التنمية على خريطة عمرانية فى إطار رؤية قومية مرنة حتى نهاية عام ٢٠١٥.

وكذلك الوصول إلى حلول جذرية لتنمية المناطق العشوائية الصالحة للتنمية عبر إنشاء ٧,٥ مليون وحدة سكنية نهاية ٢٠٣٠ بواسطة القطاع الحكومى والخاص والتعاون الأهلى، والتأكيد على حل مشكلة العشوائيات بصفة نهائية عام ٢٠٣٠ .

السياسة الداخلية

نصت الخطة على العمل على ترسيخ سيادة القانون عبر إنشاء مفوضية عليا للعدالة الانتقالية من ممثلين لقطاعات قضائية وسياسية وتنفيذية ومجتمع مدنى تعكف على تطبيق المراحل المختلفة للعدالة من ملاحقة قضائية وجبر الضرر وإصلاح المؤسسات ولجان الحقيقة، وكذلك إقرار وتطبيق قانون استقلال القضاء.

إقرار مبادئ حقوق الإنسان من خلال إصدار قانون موحد لدور العبادة وتمكين الشباب والمرأة وباقى الفئات المهمشة سياسيا، وسن تشريعات للمظاهرات والتجمعات بعد حوار مجتمعى جاد ومتعمق وفى ظل خبرات مقارنة والالتزام بنصوص الدستور المصرى وبما ورد فى العهدين الدوليين الحقوق الاقتصادية والسياسية والاجتماعية والمدنية، بالإضافة الى إنشاء آلية لمكافحة التميز بأشكاله المختلفة.

دعم اللامركزية وتمكين المجتمع المحلى فى صنع واتخاذ القرار من خلال إقرار وتطبيق قانون الحكم المحلى بما يمكن الوحدات المحلية من إدارة لا مركزية لمجتمعاتها المحلية فى إطار المساءلة والشفافية.

إقرار قانون جديد للمجتمع المدنى والجمعيات الأهلية يحررها من قيود الجهاز التنفيذى ولا يجعل سلطاناً عليها سوى القضاء.

الفهرس

الفهرس



الكاتب الصحفي والسيناريست

سمير الجمل

● مواليد القاهرة.. خريج كلية الهندسة «جامعة حلوان».. مؤسس ورئيس مركز الجمهورية للسيناريو وملتقى السيناريست العربي.

● كتب للإذاعة سلسلة حلقات «الكباتن» في أكثر من ٥٠٠ حلقة وكتب برامج للأطفال والمنوعات والفوازير الغنائية ويعتبر رائد الأدب الرياضي والدراما الرياضية.

● كتب شعر العامية والأغاني والمسرح ثم اتجه إلى التليفزيون وأعد البرامج الرياضية والمنوعات والدراما وأشرف على الصفحات الفنية في مجلات وجرائد عديدة.

● له آلاف المقالات في كافة التخصصات وأشهرها عمود أكشن «بالجمهورية» ومقهى الحرية بمجلة «حريتي» وهذا الفن أحبه باللواء الإسلامي.

● من أفلامه كريستال «١٩٩٣» - لصوص خمس نجوم «١٩٩٤» - ضربة جزاء «١٩٩٥» - الحرب العائلية الثالثة «١٩٩٨» - الأستاذ نعم والأنسة لا وأكثر من مسلسل تليفزيوني.

● قاد أول حملة صحفية في الوسط الفني لحماية أخلاقيات المجتمع وقضى على صحافة النميمة وغرف النوم وكان صاحب أول خطوة في هذا الطريق.

● يعتبر من أشهر كتاب السيرة الذاتية.. وله في ذلك مؤلفات - جمال عبدالناصر - عبدالفتاح السيسي - سعد الدين الشاذلي - محمد حسنين هيكل - عادل إمام - نور الشريف - شريهان - محمود ياسين وغيرهم.

وأهم ما كتب في هذا الميدان المسلسل التليفزيوني «محمد» صلى الله عليه وسلم وباركه الأزهر الشريف بهيئة كبار العلماء وأوصى بترجمته إلى عدة لغات دولية ليكون رسالة إلى العالم عن سماحة الإسلام وتعايشه مع الجميع بكل الحب ومازال المسلسل قيد التنفيذ بالمستوى الذي يليق به نظراً للحروب التي تعرض لها العمل ومؤلفه عقاباً على حملته ضد فساد الدراما ودخول الأموال المشبوهة إلى معظم انتاجها وهو ما كشف عنه بكل صراحة.

له أكثر من ٤٤ كتاباً

رقم الإيداع : ٢٠١٧/١٤٨٤٩

الترقيم الدولى : I.S.B.N -978-977-236-925-6

طبع بمطابع دار الجمهورية للصحافة


الثمن ٢٠ جنيهًا